كتب قومية
إسرائيل
الزائفة
تأليف فريد عبد الله جورجي
ماجستير في العلوم العسكرية

كتب قومية

إسرائيل الزائفة

تأليف فريد عبد الله جورجي
ماجستير في العلوم العسكرية

وعد الله حق ..   اما وعد بلفور فباطل

((لأنه هكذا مكتوب بالنبي . وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لسـت الصغرى بين رؤسـاء يهوذا . لأن منـك يخرج مدبر يرعى شـعبي اسرائيل

(متى ٢ : ٦)

اهداء الكتاب

الى العائدين لديارهم باذن الله .... برهانا على حقهم في العودة الى البـاحثين عن الحق ... شعاعا يهديهم سواء السبيل الى ذوى الضـمائر الحية في العالم .... مرشدا يقـودهم في طريق العدل حتى لايكون في العالم ظلم باسم وعد الله .

مقدمة

بعد أن ألقى مســـتر أرنســـت بيفن خطابه فى مجلس العمــوم البريطانى فى الثالث عشر من نوفمبر عام ١٩٤٥ بشأن فلسطين ومطالب اليهود فى اقامة وطن قومى لهم فيها أضاف فى لهجة مسرحية « اننى سأجعل مستقبلى السياسى كله رهنا بحل هذه المشكلة » .

وفى مؤتمر عقده عقب انتهاء جلسة المجلس أوضح مستر بيفن رغبته الشديدة فى أن يدرك العالم كله المقدرات العالمية الخطيرة المغرضة للضياع والتى تمس الجنس والعقيدة ثم انتهى بقوله « وهــــــذا مالا يمكنكم ادراكه تماما ما لم تقرءوا الكتاب المقدس والقرآن كما فعلت » .

ومهما يكن من امر فمن المؤكد أن مستر بيفن لا يمكن أن يكون قد قرأ القرآن كما يجب أن يقرأ . ولا بنفس الايمان الصادق الواجب توافره فى قارئه حقا . أما عن الكتاب المقدس فان مثله فى ذلك مثل الكثيرين فى العالم المسيحى فى الغرب ، وخصوصــا فى الدول التى تدين بالمذهب البروتستانتى ، فانهم يظنون أن ارتباط اليهود بفلسطين له سند من الدين ، وأن تجمعهم فى هــذا المكان هو احقاق لنبوءات وردت فى العهد القديم من الكتاب المقدس .

وبالرغم من أن الصهيونية مبدأ سياسى يستهدف فى المقام الأول اقامة دولة يهودية لها مقومات القــوة والســيادة . وليست دينا أو معتقدا . بدليــل أن تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية كان يوافق عام ١٩٠٣ على الاقتراح الذى تقدمت به الحكومة البريطانية بجعل « أوغندا » معقــلا للاستعمار الصهيونى ، لولا أن أغلبيــة رفقــائه من الصهيونيين القدامى عارضوه وتحولوا الى فلسطين لتكون غنيمتهم . وبالرغم من

ان « وعد بلفور » نفسه أباح لهم فلسطين وطنا قوميا ، فانهم أصروا على اقامة دولة يهودية ، ولم يكتفوا بأن تكون فلسطين وطنا روحيا تهفو الى مقدساته قلوبهم ونفوسهم كما تهفو قلوب ونفوس المسيحيين والمسلمين فى العالم أجمع بل وكثير من اليهود أيضا وهم الذين يعارضون فكرة انشاء الدولة اليهودية .

وعلى كل فان ادعاء اليهود ، بل ان ادعاء الصهيونية العالمية فى أن لليهود حقا فى فلسطين وأن هذا الحق مبنى على أساس من الدين والنبوءات هو ادعاء باطل ، يجب ألا يسلم به الناس وخصوصا فى العالم المسيحى ، كما سنفصله فى هذا الكتاب .

أما حل مشكلة فلسطين حلا نهائيا واقعيا ، فلا يمكن ان يتم الا برفع الظلم الذى أوقعه الاستعمار متعمدا ـ مستخدما فى ذلك الصهيونية العالمية ومتعاونا معها ـ بالعالم العربى عامة وبشعب فلسطين خاصة ، وبأن يعود هذا الشعب المعتدى عليه الى موطن آبائه وأجداده ، مع تعويضه تعويضا كاملا عما أصابه من عسف وأذى ، ليكون لبنة قوية صالحة فى صرح البنيان العربى الناهض للعمل الخير الانسانية ورفاهيتها وللسلام العالمى .

المؤلف

سبتمبر ١٩٦٤

تمهيد

فى ١٣ من نوفمبر عـام ١٩٤٥ وفى مجلس العموم البريطانى وقف المستر أرنست بيفن وزيرخارجية انجلترا فى ذلك العهد ، وأدلى بتصريح خطير قال فيه ان الولايات المتحدة الامريكية ستتعاون مع بريطانيا فى محاولة للوصول الى حل فى المشكلة اليهودية ، وأن حـكومة الولايات المتحدة الأمريكية قد وافقت على انشاء لجنة تحقيق أمريكية ــ انجليزية مشتركة لبحث أوضاع وحالة اليهود فى أوروبا وكذلك لبحث الأحوال فى فلسطين ، وان هذه اللجنة سـترفع نتيجة أبحاثها للأمم المتحدة وعلى أن أبحاث هذه اللجنة ستدور فى نطاق الموضوعات الآتية :

١ ــ بحث الموقف السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى فلسطين بالنسبة لهجرة واستيطان اليهود بها .

٢ ــ بحث حالة اليهود فى دول أوروبا التى أصاب المقيمين بهـا منهم الاضطهاد النازى والفاشى ، وتقدير عدد الذين يرغبون فى الهجرة أو الذين تضطرهم الظروف الى ذلك .

٣ ــ الاتصـال بمندوبى كل من اليهود والعرب والتعرف على وجهات نظر كل منهم لتقدم اقتراحها للحكومتين الامريكية والانجليزية تبعا لتلك الاتصالات .

٤ ــ تقديم اى اقتراحات اخرى للحـكومتين لمواجهـة الموقف المباشر والاحتياجات العاجلة .

وكانت العواقب النهـائية لهـذا التصريح وذلك الاجراء احداثا

جسـاما أصابت العالم العربى بأجمعه ، وشـعب فلسطين على وجه الخصوص ، بأكبر نكبة حلت به فى تاريخه الطويل الحافل .

ولقد كان كثير من المؤرخين يعتبرون خروج العرب من الأندلس من أعظم النكبات — ان لم تكن أعظمها — التى حلت بالعالم العربى منذ بدأ العرب تحت راية الاسلام وفى ظل تعاليمه السمحة ينشرون حضارتهم الأصيلة العريقة النابعة من مهد الرسالات السماوية وموطن الوحى الالهى . الا أن تلك النكبة على فداحتها لا يمكن أن تقارن بنكبة العالم العربى فيما اصاب شعب فلسطين وفيما هو مبيت لباقى شعوبه .

أما شعب فلسطين ، فقد اخرج من دياره وموطن آبائه وأجداده، وصار أفواجا من اللاجئين يعوزهم المسكن والمأكل والملبس ، وذلك لتحل محله اشتات متفرقة من شعوب متباينة لا يجمعهم ببعضـهم البعض ولا يجمعهم بهذه الأرض وتلك الديار التى اغتصـبوها صلة من قرابة أو اقامة او جوار ولا حتى القليل من المعرفة . فأغلب ذلك الخليط يهود من جميع أطراف العالم دفعتهم الصـهيونية تحت حراسـة أسـلحة الاستعمار وفى حمايته من مناطق تختلف اختلافا تاما من حيث البيئة والمناخ وطبيعة الأرض ، ولم يكن لهم فى فلسطين قبل ذلك اليوم ولد أو قريب .

أما بقية العالم العربى ، فقد حدثنـا السـيد الرئيس جمـال عبد الناصر عما بيته لهم المستعمرون فيما ذكره « الميثاق » الذى قدمه سيادته للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى ٢١ مايو ١٩٦٢ فى البـاب الرابع منه : ((**ان قطعة من الأرض العربية فى فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعة أو التاريخ لحركة عنصرية عدوانية أرادها المسـتعمر لتكون سوطا فى يده يلهب به ظهر النضال العربى اذا استطاع يوما أن يتخلص من المهانة وأن يخرج من الأزمة الطاحنة . كما أرادها المستعمر فاصـلا يعوق امتداد الأرض العربية ويحجز الشرق عن الغرب . ثم أرادها عملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتى للأمة العربية تشغلها عن حركة البناء الايجابى**)) .

وبالرغم من أن الصهيونية حركة عنصرية قديمة كانت ولا تزال تسيطر على عقول بعض غلاة اليهود وتحركها مطامع المسـتعمرين على حسب تطورات الأحوال وتغير الظروف فى العالم ، وبالرغم من أن جذور تلك الحركة قديمة جدا ، فانها لا تجد اقبالا يذكر من يهود العالم الذين

كانوا يعيشون حيث يولدون وحيثما ينشأون كما يعيش باقى النـــاس لا يهاجر منهم الا قلة ممن نبت بهم اوطانهم او عز عليهم العيش السهل فيها لسبب أو لآخر من الأسباب • وحتى الذين كانوا يضـــطرون للهجرة ، كانوا فى معظم الأحيان يتوجهون الى مناطق أخرى غير فلسطين كالولايات المتحـدة الأمريكية أو كندا أو جنوب أمريكا او اســـتراليا أو جنوب افريقية حيث فرص العيش والثراء اكثر وحيث المناخ والعمل أطيب •

الجزء الأول

من التاريخ

الباب الأول

البداية والحرب العالمية الأولى

(أ) انحياز بريطانيا :

عندما بدأت نذر الحــرب العالمية الاولي عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨ـ تلوح فى الأفق كان العالم العربى كله يرزح تحت عبء الاستعمار التركى. وكانت الامبراطورية العثمانية فى طريقها الى التحلل برغم اتساع مواردها وكبر رقعتها • وكان الاستعمار الغربى يقف متربصا موجها التفاته نحو « الرجل المريض » يحاول أن يستخلص من براثنه ما يستطيع استخلاصه ليكون لنفسه امبراطوريات شابة قوية . وكانت الحركة الصــهيونية أيضا ترقب الفرصــة محاولة الحصول على غرضها فى الوصــول الى « أرض الميعاد » • ولقد عملت كل هذه الاطراف مســـتغلة فترة القلق والتربص السابقة للحرب ثم مستخدمة ظروف القتال وتطوراته فى تهيئة السبيل للوصول الى أغراضها •

وقد بدأت الصهيونية مساعيها لتعزيز قوتها فى فلسطين بمحاولات كثيرة لدى السلطان عبد الحميد الثانى . وكانت آمالها فى ذلك الوقت تنحصر فى ان يسمح لها بزيادة عدد اليهود فى فلسطين . ولكن السلطان عبد الحميد رفض هذه الطلبات برغم المساعى العـــديدة التى بذلت لديه ولدى المقربين منه من الحكام . ولما بدأ كيان حزب تركيا الفتاة يلوح فى الأفق ، جددت الصهيونية مساعيها لديهم ، وبالنســبة للنفوذ الكبير الذى كان لليهود فى دول وسط أوربا ، فقد مال قادة حزب تركيا الفتاة فى البداية نحو مسايرة وجهة النظر الصهيونية . ولكن فى خريف عام

١٩١٢ ، ثار الفلاحون العرب فى فلسطين لما استولى اليهود على منطقة زراعية كبيرة فى سهل « أزدرائيلون » وهــددوا بطرد الزارعين العرب منها . وعنـدئذ ، لم ير قادة تركيـــا الفتاة بدا من أهمـال المطالب الصهيونية • أو على الأقل ، عدم التحمس لمساعدتها فى تنفيذ أغراضها

وعند بداية الحرب العالمية الاولى ، كان مقر الحركة الصهيونية فى برلين • ولما دخلت تركيا الحرب الى جانب ألمانيا استقر رأى « الدكتور حاييم وايزمان» على أن يوثق علاقته بالحلفاء أيضا ، حتى اذا ما انتصر أى الفريقين لم يعدم أن يجد لقومه نصيرا • وعلى هذا الاساس بدأ اتصالاته فى انجلترا • ولكن الرأى العـــام البريطـــانى كان لا يستسيغ فكرة الصهيونية العالمية فى احتلال فلسطين • وعلى ذلك ، وفى بداية عـــام ١٩١٥ رفضت حكومة المســـتر « اسكويث » فكرة ضـــم فلسطين الى ممتلكات بريطانيا العظمى توطئة لتوطين اليهود فيها ، والتى تقدم بهـــا « مستر هربرت صمويل » (لورد فيما بعد) أحد أعضاء الوزارة ومن القلائل المتحمسين للصهيونية فى بريطانيا • ولكن وايزمان لم ييأس ، بل استمر فى محاولاته واتصــالاته وخصوصا عن طريق صديقه « آرثر جيمس بلفور» • وبعد عامين ، تولى «المستر لويد جورج» رياسة الوزارة وضم اليه «مستر بلفور» كوزير للخارجية ، وبذلك أصبحت المحادثات دائرة فى نطاق رسمى بين قادة الحركة الصهيونية وعلى رأسهم «اللورد روتشيلد» وبين عضو الوزارة ووزير الخارجية والممثـل الرسمى لهـــا مستر بلفور • وبالتالى اتجه الموقف فى بريطانيا اتجاها مغايرا تماما •

(ب) تركيا والعرب :

كان العرب تحت الاستعمار التركى ، وكان السلطـــان هو خليفة المسلمين ، وكانت الآستانه كعبة الراغبين فى رضاء الخليفة وكسب وده وعطفه والطـــامعين فى الحكم والسلطان ، ولكن العرب كانوا يطلبون الحرية والاستقلال . وقد كان الحكم التركى كأى حكم استعمارى غير مرغوب فيه ، فضلا عن أنه كان يتسم بالشدة والعنف والاستغلال ، وكان جواسيس الحـــاكم منتشرين فى جميع أرجاء الامبراطورية العثمانية ، والويل لمن يشـــتبهون فيه أو لا يرضون عنه • ولذا بدأت الجمعيات السرية فى التكوين فى مختلف أنحـاء الامبراطورية وحتى فى الآستانة نفسها ، ولكنها كانت أنشط ما تكون فى سورية • وبدأت تضم اليها ذوى الرأى والهمة وكل من له نفوذ أو سطوة بين قومه ، وبدأت دعوى الحرية والاســـتقلال تنتشر فى شبه جزيرة العرب والاردن والعراق ولبنـــان

وفلسطين · أما في مصر ، التي وضعها الانجليز تحت «الحماية البريطانية»، فقد كان «اللورد كتشنر» في القاهرة يتلفت ذات اليمين وذات اليسار منصتا لهمسات التذمر يطلقهـــا العرب كرها للحكم التركي ، وأحاديث الأمل في الحرية والاستقلال · وكانت بريطانيا تخشى أن يعلن السلطان «الجهاد» أو الحرب المقدسة ضدهم وضد حلفائهم بما له من حقوق الخلافة، فهو خليفة الله وواجب المسلمين أن يطيعوه عملا بقوله تعالى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم» (قرآن كريم) ·

لهذا ، تحركت أذرع الأخطبوط البريطاني في كل مكان · ولما كان شريف مكة وأولاده الامراء يحلمون باعادة أمجاد الدولة العباســية اذا ما استطاعوا أن يتخلصوا من الاســتعمار التركي ، فقــد سارع الامير عبد الله ثاني أبناء «شريف مكة» بزيارة القاهرة ومقابلة كتشنر · وعندئذ أتيح للاستعمار البريطاني أن يلعب لعبته الكبرى في العــالم العربي ، فثار العرب في يونية عام ١٩١٦ على تركيا يشجعهم وعد الانجليز لهم على لسان «السير هنري ماك ماهون» في اكتوبر عام ١٩١٥ بالاعتراف لهم بالاستقلال ·

ولكن ، كانت للأخطبوط البريطاني في الوقت نفســه ذراع أخرى تسعى خفية بوساطة «سير مارك سايكس» الى عقد اتفاق مع الفرنسيين والروس لتوزيع أسلاب الامبراطورية التركية ·

وما كاد « السير هنري ماك ماهون » ينتهي من عقد صفقته مـع « الشريف حسين » حتى كانت الاتصالات قد دارت بين وزارة الخارجية البريطانية وبين الحكومة الفرنسية دون أن يدري « الشريف حسين » شيئا عن ذلك ، ودون أن تحاط الحكومة الفرنسية علما بالاتفاق والوعد اللذين عقدتهما بريطانيا مع العرب في شخص «الشريف حسين» وأولاده·

واجتمع « السير مارك سايكس » بزميله الفرنسي « مسيو جورج بيكو » الذي كان يعمل قنصلا لفرنسا في بيروت في السنوات السابقة على الحرب وتوجها معا في منتصـــف مارس ١٩١٦ الى « بتروجراد » لمناقشة مقترحاتهما واتفاقهما مع الحكومة «القيصرية» · أما نصيب روسيا في هذه الاتفاقية فقد كان خارج نطاق الأراضي العربية ، بل ان نشوب الثورة في روسيا واستيلاء الثوار على السلطة في نوفمبر عــام ١٩١٧ أخرج روسيا من الاتفاق ، وأصبح الاتفــاق بين انجلترا وفرنسا ثنائيا عرف فيما بعد باتفاقية «سايكس ــ بيكو» · وتهدف هذه الاتفاقية الى وضع العالم العربي تحت سيطرة انجلترا وفرنسا مناصفة · وكان الثوار

عند استيلائهم على الحكم في روسيا قد نشروا أصل وثيقة الاتفاق مما أذاع سرها وأدخل القلق الى قلوب العرب أجمعين • ولكن في ذلك الوقت، وعند اعلان هذا السر ، كانت ثورة العرب تسير بنجـاح بمسـاعدة « لورنس » الذى كان قلبه ينبض بالايمان الصادق بحق العرب وبعدالة قضيتهم ، فاستطاع أن يحثهم على الاستمرار في ثورتهم فمضت متعللة بأمان وآمال كبار ، وبأن العرب عندما يمثلون في مؤتمر الصلح ضمن المنتصرين يستطيعون أن يصلوا بقضيتهم الى بر الامان ويأخذ كل ذى حق حقه •

(ج) وعد بلفور :

في وسط كل هذه الاحداث لم تنس الصهيونية هدفهـا • وصمم « الدكتور وايزمان » على أن يحصل على وعد من بريطانيا بالتمشى معهم في أملهم الكبير • واستطاع بمساعدة صديقه « بلفور » أن يحصل من الحكومة البريطانية على ما يحقق أمله • ومن الواضـح أن الكتاب الذى وجهته وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ الثانى من شهر نوفمبر ١٩١٧ بامضاء «بلفور» وزير الخارجية الى « اللورد ردتشيلد » كان يمكن أن يصدر قبل موعده هذا بوقت طويل لولا وجود عارضين قويين عملا على تأخير توجيهه • أولهما معارضة اليهـود غير الصهيونيين من الانجليز أنفسهم (ممثلين في لجنة مندوبى اليهود الانجليز وفي الاتحاد الانجليزى-اليهودى) والذين كان يدافع عن وجهة نظرهم « أروين منتاجو » الوزير المختص بشئون الهند • وهؤلاء كان يزعجهم أن تتطور الصهيونية كنظرة روحية تجعل من فلسطين وطنا روحيا الى صهيونية سياسية تريد أن تجعل لليهود قومية وجنسية مرتبطين بأرض فلسطين ولاترتبط بجنسيتهم الاصلية • وتكهنوا بأن مثـل هذا الاجراء سـيجعل كل من يستوطن فلسطين من اليهـود تحت جنسية اسرائيلية يوصم في بلده التى هاجر منها بأنه أصبح أجنبيا عنها ، وبذلك تتهدم الجهود الطيبة التى يكون قد بذلها ذلك المواطن في الحصول على مركزه في بلده الاصيلة • أما العارض الآخر فكان اصرار فرنسا على عدم التفريط في فلسطين باعتباره جزءا لا يتجزأ من سورية التى كانت تعدها من نصيبهـا في اتفـاقية «سايكس ـ بيكو» • وعارضتها بريطانيا في ذلك بشدة ، وأصرت على وضع فلسطين تحت سيطرتها بأية وسيلة حتى تملك ميناءا في خليج «يافا ـ عكا» يكون تحت سيطرتها ويكون مخرجا للعراق ـ الذى كان من نصيبها في اتفاقية «سايكس ـ بيكو» ـ على البحر الابيض المتوسط •

وفى الوقت نفسه حتى لاتصبح أية دولة قوية على مسافة قريبة من قناة السويس وطريق الهند البحرى • وهو السبب الذى نتج عنه التقسيم المقترح فى اتفاقية « سايكس – بيكو » تمشيا مع العقيدة الاستعمارية البريطانية وعداء « بالمرستون » لفكرة وجود كتلة عربية متحررة ذات سيادة وكيان عبر الطريق البرى الى الهند • كما أن هذا التقسيم سيصبح حاجزا مصطنعا بين وحدة العرب •

وفى النهـــاية •• نجح وايزمان فى الحصول على الكتاب السالف الذكر وجاء فيه : « أن بريطانيا تعد بالنظر بعين الرعاية والعطف الى أمل الصهيونية فى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين • وأن بريطانيا ستستخدم كل ما بوسعها لتحقيق هذا الامل • على ألا ينتج عن ذلك أى اضرار أو تعويق للحقوق المدنية والدينية للهيئات غير اليهودية الموجودة فى فلسطين أو أن يؤثر ذلك على الحقوق أو الاوضاع السـياسية لليهود فى البلاد الاخرى » • وطلب «بلفور» فى نهاية هذا الخطاب الموجه الى «اللورد ردتشيلد» أن يعلن هذا الوعد الى المنظمة الصهيونية •

وكان هذا الكتاب هو ما سمى بعد ذلك «وعد بلفور» ذلك الوعد الذى وصفه الرئيس جمال عبد الناصر أدق وأبلغ وصف حينما قال عنه (انه وعد من لا يملك لمن لا يستحق) •

وتضاربت الآراء وتعددت الاقوال فى الاسباب التى حصل بسببها هذا الوعد ، لان الاسباب الحقيقية أخفيت عمدا خلف ستار كثيف من الدعاية والاساطير • وقيل انه صدر لاكتساب العناصر الصهيونية القوية التى كانت فى ألمانيا والنمسا الى جانب الحلفاء وحتى لا يفقدوا عطفهم على قضيتهم اذا ما أصدرت ألمانيـا وتركيا وعدا مماثلا ، أشيع يومئذ أنهما كانتا على وشك اصداره ، وفى الوقت نفسه للتقليل من عنف اليهود الموجودين فى دول الحلفاء تجاه روسيا واعطاء هؤلاء اليهود الذين كانوا يبذلون أقصى الجهود فى القضاء على الحكم القيصرى حافزا لابقاء روسيا فى الحرب • كما قيل ان السبب الثـــانى يرتبط بتكوين الامبراطورية البريطانية والرغبة فى جعل فلسطين تحت سيطرة بريطانيا كحلقة اتصال لتعزيز مواقع قواتها فى مصر وقناة السويس • وقيل ان السبب الثالث هو أن اليهود فى العالم قد اكتتبوا بمبـــالغ كبيرة فى سندات الحرب البريطانية وانهم كذلك ساعدوا على سرعة دخول الولايات المتحدة الامريكية الحرب الى جانب الحلفاء • كما قيل أيضـــا ان ذلك الوعد صدر مكافأة للدكتور وايزمان على اكتشافه نوعا جديدا من المفرقعات قدمه الى الحكومة

البريطانية فى الوقت المناسب . ومهما كانت حقيقة الاسباب التى دعت الى اصدار هذا الوعد **فانه من المؤكد انه لم يصدر الا بعد أن اطمأن «لويد جورج» الى أن قادة الصهيونية العالمية ـ وكانوا لا يعلمون بحقيقة اتفاقية «سايكس ـ بيكو» حتى ذلك الوقت ـ قد وافقوا على ابعاد فرنسا عن حكم فلسطين لا بمفردها ولا بالاشتراك مع بريطانيا . وانه ما دامت بريطانيا تعد بمساعدتهم على الحصول على آمالهم فانهم سيبذلون امكانياتهم لتصبح بريطانيا المسيطرة الوحيدة على فلسطين .**

أذيع « وعد بلفور » رسميا بعد بضعة أيام من صدور خطاب وزارة الخارجية السالف الاشارة اليه ، أى بعد ثمانية عشر شهرا تقريبا من بدء ثورة العرب التى قادها « الشريف حسين » اعتمادا على وعد بريطانيا له باحترام استقلال البلاد العربية بما فيها فلسطين التى هى جزء لا يتجزأ منها .

وكان لاعلان « وعد بلفور » وقع سيىء فى جميع أنحاء العالم العربى، وكان كله تقريبا على صلة بالحلفاء وبمجهودهم الحربى . وحتى الذين كانوا لا يدركون تماما مدى وعود الانجليز « للشريف حسين » بالنسبة لاستقلال البلاد العربية فقد ساءهم أن تصـــاب فلسطين بكارثة على هذا النحو القاسى . بل انهم اعتبروا أن ذلك الوعد ـ على الأقل ـ هو حرمان لعرب فلسطين من الحرية الكاملة فى وطنهم .

وكانت الاخبار قد وصلت أول ما وصلت الى مصر ، وكان بعض من قادة العرب مجتمعين بهـــا ، فأثارت موجة عارمة من السخط بينهم ، وتتابعت احتجاجاتهم . ووصلت أصوات تلك الاحتجاجات الى كل مكان من العالم العربى . وبالرغم من أن السلطات البريطانية كان لديها فى ذلك الوقت رقابة قوية على الاخبـــار بحكم الموقف العسكرى ، وبرغم انتظام وشدة الدعاية البريطانية ، فقد عانت تلك السلطات الكثير حتى لا تنهار ثورة العرب .

وفى الجزء المحتل ـ حين ذاك ـ من فلسطين اجتهـــدت السلطات البريطانية كثيرا وعملت القيادة العسكرية بكل قوتها على اخفاء هذا الخبر . أما « الملك حسين » ـ كمـا أصبح يسمى ـ فقد نزل عليه الخبر نزول الصـــاعقة ، وطلب أن يعرف القصد بهذا الوعد ومداه . فأرسل اليه «دافيد جورج هوجارث» أحد رؤساء المكتب العربى بالقاهرة ، حيث قابله فى « جده » فى الاسبوع الاول من ينـــاير عـــام ١٩١٨ . واستطاع «هوجارث» طمأنة الملك حسين فى المقابلتين اللتين عقدهما معه، وبالرسالة

التي حملها اليه شفويا باسم الحكومة البريطانية اذ أكد له تأكيدا صريحا أن اقامة أو استيطان اليهود في فلسطين لن يسمح به الا تمشيا مع مبادىء الاستقلال السياسى والاقتصادى للسكان العرب • وقد اقتنع «الملك حسين» بهذا التأكيد حتى انه عمل فى الايام التالية على تهدئة الجو العربى ، وأرسل لأعوانه البارزين فى مصر وفى قوات الثورة يبلغهم انه أعطى التأكيدات القاطعة من الحكومة البريطانية على أن استيطان اليهود لفلسطين لن يتعارض مع استقلال العرب فى هذه المنطقة ، وحثهم على استمرار التمسك بوعود بريطانيا عاملين جهدهم على انجاح الثورة للحصول على حريتهم • كما أمر أولاده أن يعملوا جهدهم على ازالة التأثير السيىء الذى أوجده اعلان وعد بلفور فى نفوس أتباعهم ، كما أرسل رسولا خاصا الى «فيصل» فى العقبة بتعليمات مشابهة •

ثم صدر مقال فى جريدة « القبلة » فى مكة فى ٢٣ من مارس عام ١٩١٨ — ومن المعتقد أن الملك حسين كتبه بنفسه — واعتبر هذا المقال بالاضافة الى أهميته التاريخية • مرآة للشعور العام للعالم العربى تجاه اليهود قبل ظهور الصهيونية العالمية على حقيقتها السياسية على مسرح الحوادث •

أما فى مصر ، فقد لاقت الجهود التى بذلتها السلطات البريطانية لتخفيف وقع «وعد بلفور» ولتفسيره تفسيرا مرضيا مهدئا بعض النجاح • وفى مارس وصلت القاهرة لجنة صهيونية برياسة وايزمان نفسه فى طريقها الى فلسطين ، وبذلت اللجنة مجهودات جبارة لازالة قلق العرب وتصفية الجو بينهم وبين من استطاعوا مقابلتهم • وتقابل وايزمان وبرفقته « الماجور أو رمزباى جور » مبعوث وزارة الخارجية البريطانية ، والذى كان يعمل مع اللجنة كمندوب سياسى ، ببعض القادة العرب فى محاولة لتسكين خواطرهم وابعاد القلق عن نفوسهم ، وقد نجحوا فى مسعاهم الى حد ما •

(د) اتفاقية سايكس — بيكو :

فى ربيع عام ١٩١٨ افتضحت اتفاقية «سايكس — بيكو» ، وانكشف الستار عن محتوياتها ، فثار شعور العالم العربى ثانية ثورة عارمة جامحة • فقد كان افتضاحها مما يلقى شكا كبيرا على نوايا الحلفاء نحو العرب ونحو وعد بلفور • وتعرضت العلاقات العربية — الانجليزية الى هزة عنيفة كادت تقتلعها من جذورها وخصوصا فى القاهرة حيث كان

يقيم سبعه من زعماء العــــرب كانوا على علم تام بمدى وعود وتأكيدات بريطانيا للعرب ، فأيقنوا أن وراء هذه المناورات ما يزعزع الثقة في وعود الحكومة البريطانية للعالم العربى · ولذلك ، أصدروا بيانا الى الحكومة البريطانية فى شكل مذكرة رفعوها اليهـا وشرحوا فيها بكل جلاء الموقف كمـا يرونه فى محيطيه الداخلى والخــارجى ، وطلبوا فيه من الحكومة البريطانية تفسيرا واضحا ومسهبا عن سياسة «حكومة بريطانيا العظمى» بخصوص مستقبل البلاد العربية جمعاء ، وطلبوا بالتخصيص أن تبين الحكومة البريطانية وجهة نظرها فى نوع وطبيعة الحكومات العربية التى ستقوم فى سورية وفلسطين والعراق بعـد الحرب · كمـــا أدلى بعض العاملين تحت امرة «الملك حسين» بتصريحات منسوبة اليه يفهم منها أنه قرر ، عند الانتصار على الاتراك ، أن يقيم اداراته الخاصة فى تلك البلاد بحيث تكون مسئولة أمامه فى «مكة» · أما مذكرة الزعماء السبعة فقد سلمت الى « المكتب العربى » فى القاهرة رسميا لارسالها الى لنـــدن · وطلب الزعماء أن تظل شخصياتهم طى الكتمان الى أن يعود رد الحكومة البريطانية ويمكن نشر المذكرة والرد عليها معا فى وقت واحد ·

وفى ١٦ من يونيو عام ١٩١٨ ، ورد رد وزارة الخارجية البريطانية، وعملت بعض المراسيم الرسمية عند تسليم الرد فى اجتماع عقد خصيصا لذلك فى مركز قيادة الجيش ، وقدم الرد أحد كبـــار المسئولين من قلم المخابرات · وأخطر زعماء العرب الحاضرين(١) أن صورة من الرد الذى سلم اليهم والذى سمى « الوعد الى السبعة » قد أرسلت فعلا الى الملك حسين · ويعتبر هذا الرد أو الوعد أهم بيان أصدرته بريطانيا بخصوص ثورة العرب ، وتتمثل أهميته فى أنه يؤكد جميع وعود بريطانيا السابقة للعرب بأجلى بيان ، بل والأهم من ذلك أنه اعتبر تأكيدا رسميا للمبادىء التى قامت على أساسهـــا تلك الوعود · ولقد عالج رد وزارة الخارجية البريطانية المنطقـة كلهـــا التى اعتبرها الملك حسين « منطقة استقلال العرب الشرعية » وحدد سياسة الحكومة البريطانية المستقبلة تجاهها على أساس أربع حالات كانت تصور الموقف العسكرى وقت ذاك ·

أما الحالتان الأوليان ، فتشملان الاراضى العربية التى كانت حرة ومستقلة قبل الحرب ، ثم الاراضى التى حررت من الحكم التركى نتيجة

---

(١) كان السبعة الموقعون على المذكرة هم : رفيق العظم ، والشيخ كامل القصاب ، مختار الصلح ، عبد الرحمن شهبندر ، خالد الحكيم ، فوزى البكرى ، حسن حمادة ·

لعمليات قام بها العرب أنفسهم • وتشمل هاتان الحالتان شبه الجزيرة العربية فيما بين «عدن» باعتبارها خارجة الى «العقبة» باعتبارها داخلة فى المنطقة ــ وكانت الاخيرة قد تم للعرب تحريرها أخيرا ــ وقد اعترفت الحكومة البريطانية « بحق سكانها فى الاستقلال التام والسيادة على أرضها » •

أما الحالة الثالثة ، وتتكون من الاراضى العربية التى حررت من الحكم التركى نتيجة للعمليات الحربية التى قامت بها جيوش الحلفاء ، وتشمل العراق من الخليج (الفارسى) العربى الى خط شمال « بغداد » بقليل ، وفلسطين من الحدود المصرية الى خط شمال القدس ويافا بقليل: فقد قررت الحكومة البريطانية أن سياستها حيال سكانها هى « أن حكوماتهم المستقبلة ستكون على حسب رغبة أهالى المنطقة » •

أما الحالة الرابعة ، وتتكون من الاراضى التى كانت لا تزال تحت الحكم التركى وقتئذ ، وتشمل الجزء الأكبر من سورية ولواء الموصل فى العراق • فقد قرر الرد « ان الحكومة البريطانية ترغب فى تحرير سكان تلك المنطقة لينالوا حريتهم واستقلالهم ، وأن سياسة الحكومة ستكون مواصلة العمل للوصول الى هذا الغرض » •

وبذلك تكون خلاصة الرد أو الوعد الذى سلم الى الزعماء السبعة فيما يختص بسوريا والعراق وفلسطين أن أكدت الحكومة البريطانية للعرب حقيقتين ، أو أن هذا الرد قد حقق تأكيدين هامين ، أولهما أن الحكومة البريطانية تعمل وستظل تعمل لا لتحرير هذه البلاد من الحكم التركى فحسب ، بل أيضا على انالتها حريتها واستقلالها ، أما التأكيد الثانى ، فانها أخذت على نفسها عهدا بعدم قيام حكم فى أى من هذه البلاد دون رضاء ورغبة أهليها •

وكان اعلان هذا البيان وهذه قوته ، حتى بعد اذاعة «وعد بلفور» وافتضاح اتفاقية «سايكس ــ بيكو» ، عاملا لازالة مخاوف كثيرين من قادة العرب ، بل انه زاد من همتهم ورغبتهم فى الاشتراك فى الهجوم النهائى على العدو • وعده كثيرون منهم ردا طبيعيا على سياسة حق تقرير المصير التى كان قد نادى بها الرئيس الامريكى « ويلسون » قبل ذلك ببضعة شهور • ولهذا ، قوبل ذلك الرد بترحاب شديد وقال عنه البعض أنه دليل قاطع مانع على أن بريطانيا مصممة على تطبيق هذه السياسة عند تقرير مصير الاراضى العربية التى كانت تحت سلطان تركيا •

وعم الفرح والاستبشار أرجاء العالم العربي عندما أذيعت محتويات المذكرة والرد وأسماء الموقعين عليها ، وأرسلت نسخ من كل ذلك فى طول البلاد وعرضها ، كما أرسلت نسخة خاصة « للأمير فيصل » فى معسكره في العقبة • وزال ما كان مخيما على قوات الثورة العربية من غيوم القلق وعاودتها حماستها واقدامها في موجة من العزم والاقدام • وحقا فان هذا الرد كان أقوى من الاتفاق الذى عقد بين «حسين ومكماهون» ، فقد كان أكثر وضوحا وتحديدا ، خاليا من أية تحفظات اقليمية أو سياسية ، كما امتاز بعلانيته فقد عرفه العالم العربى كله من قاصيه الى دانيه •

وفي الشهر التالى ، وبعد بضعة أسابيع من اعلان الرد أو « الوعد الى السبعة » ، وصلت أخبـــار وتفصيلات خطـــاب الرئيس الامريكى «ويلسون» ، والذى كان قد ألقاه فى الرابع من شهر يوليو عام ١٩١٨ ، والذى تضمن المبادىء الشهيرة التى نادى بها هذا الرئيس في خطابه • وكان المبدأ الثانى من تلك المبادىء يتفق تماما مع ما جاء بالرد من أن ترتيبات ما بعد الحرب ستبنى على الرغبات الحرة للشعوب وأهالى المناطق• وبذلك أصبح مبدأ « حق تقرير المصير » موافقا عليه من الحـــكومتين الامريكية والبريطانية بحيث يصبح كل من « وعد بلفور » واتفاقيـــة « سايكس ــ بيكو » أو كلاهما معا لا قيمة لهما أمام هذا الاتفـــاق على السياسة المستقبلة لشعوب العالم العربى •

وأخيرا ، وقبل اعلان الهدنة ببضعة أيام ، صدر وعد آخر مشترك انجليزى ــ فرنسى حافلا بعهود بذلت للعرب عن مستقبل المناطق الشمالية للبلاد العربية •

ففى السابع من نوفمبر ١٩١٨ ، صدر بلاغ رسمى الى صحافة البلاد في فلسطين وسورية والعراق موجه من القيادات العسكرية البريطانية فى هذه المناطق ، قيل فيه ان أهداف الحكومتين البريطانية والفرنسية من هذه الحرب في الشرق هو تحرير الاهالى تحريرا كاملا ونهائيا من نير الحكم التركى واقامة حكومات وطنية يختارها السكان اختيارا حرا • واستطرد البيان في توضيح أن الدولتين البريطانية والفرنسية متفقتان فى رغبتهما أن تريا اقامة هذه الحكومات وأن تساعدا على استقرارها وأن تعترفا بها بمجرد أن تستقر • وينتهى البيـــان بأن تؤكد الدولتـــان نبل وصفاء نواياهما ، وتصفان نفسيهما بأنهما راغبتان فى أن تكونا شاهدتين فقط على مستقبل البلاد العربية التى تحكم نفسها بنفسها بحزم وعزم •

وكان هذا البيان ، الذى سمى فيمـــا بعد « البيان الانجليزى ــ الفرنسى المشترك » والذى أعطى كل التسهيلات الممكنة للذيوع والانتشار ،

وليد ما حدث فجأة في الاراضي العربية التي كانت تحتلها قوات الحلفاء العسكرية ، وقد بدأت بحادث انزال العلم العربي في بيروت • ففي الثالث من اكتوبر وقبل دخول أول قوات انجليزية أو فرنسية ببضعة أيام ، أعلن العرب استقلالهم وسيادتهم بأن رفع « شكري باشا الأيوبي » باسم الامير فيصل العلم العربي في بيروت • ولكن ذلك العمل ساء الفرنسيين واحتجوا لدى « الجنرال اللنبي » الذي أمر ازاء ذلك بانزال العلم العربي ، وكان انزاله سببا في هياج شديد في دمشق • ووجد فيصل نفسه في موقف حرج لا يكاد يقوى على اخماد ثورة وشيكة في صفوف جيشه ، وزاد الهياج اشتعالا عندما عرف أن بيروت والموانى الاخرى في الاراضي السورية قد وضعت تحت الاحتلال الفرنسي • كذلك وفى الوقت نفسه افتضح في دمشق نشاط الصهيونية في فلسطين مما زاد الموقف اضطرابا • وكان احتلال الحلفاء لدمشق وحلب قد مكن القادة من السوريين واخوانهم العراقيين الذين كانوا يحاربون في صفوف الثورة من الالتقاء باخوانهم في الجهاد الذين كانوا مرغمين على البقاء في الوطن أو في المنفى تحت الارهاب التركي • وقد أتاح لهم هذا اللقاء فرصة تبادل الأحاديث والمشاعر ووجهات النظر ، وكان لدى المتخلفين في الوطن كثير من المعلومات حصلوا عليها من المصادر التركية • وحين نقلوا هذه المعلومات الى اخوانهم المحاربين جعلتهم يفكرون كثيرا في مغزاها وأصبحوا يشكون في صدق نوايا الحلفاء نحوهم • وانتشرت موجة من الشك والقلق عمت جميع البقاع مما اضطر «فيصل» الى الاحتجاج لدى «اللنبي» معلنا له أنه لن يستطيع كبح جماح قواته العربية ما لم يصدر تحديد رسمي مطلق لنوايا الحلفاء نحو العرب فورا • وكان من الواضح أن زمام الامور قد يفلت وتقع اصطدامات عسكرية بين قوات الحلفاء وقوات الثورة العربية ، فصدر البيان «الانجليزي ـ الفرنسي المشترك» على وجه السرعة ، وكان له أثر عاجل في تهدئة الاحوال ، وخمد الهياج تماما في مدى بضعة أيام • فكان لهذا البيان النتيجة نفسها التي كانت « للوعد الى السبعة » السابق اعلانه ووقف الخطر من احتمال وقوع اشتباكات مسلحة بين بريطانيا وبين حلفائها العرب •

(هـ) مؤتمر الصلح :

وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها وحركة التحرير العربية تنتظر جني ثمار مجهوداتها وثمن دماء شهدائها الابرار ، وتطلب الوفاء بالوعود والتعهدات التي بذلت لها بسخاء طوال سني الحرب الشاقة • وكان من

الواضح أن الثورة العربية قد أدت واجبها الأكمل فى احراز النصر النهائى فى ميادين الشرق الاوسط مما ساعد على الوصول الى النصر النهائى للحلفاء ٠

ولكن حينما بدأت اجراءات مؤتمر الصلح ٠ اتضح أن هناك بونا شاسعا بين ما وعد به العرب وبين ما تنوى كل من بريطانيا وحليفتها فرنسا أن تقدماه لهم ٠ فقد اتفقتا كلتاهما على تسوية الموقف فى البلاد العربية على أسس تختلف تماما عن الوعود السابقة ، بل انه خالف تماما المبادىء الأساسية التى أعلنتا أنهما ستكون ديدنهما عند وضع أسس السلام المستقبل ٠ ولو كانت هاتان الدولتان قد استمسكتا بشرف اتفاقهما ووعودهما للعرب لما اجتاحت العالم العربى تلك الموجة الجارفة من السخط والهياج التى ضاع خلالها آلاف من أرواح الأبرياء والملايين من الجنيهات سواء ابان ثورة العراق عام ١٩٢٠ أو الثورة السورية عام ١٩٢٥ أو الحوادث المتكررة المتلاحقة التى حدثت فى فلسطين ٠

أما فى مصر فكانت الثورة الكبيرة التى بدأت عام ١٩١٩ ، هذه الثورة التى لم تقف منذ بدأت فى ذلك التاريخ وان حجبتها لفترة طويلة العناصر التى كانت تسعى لمصالحها الشخصية وأحداث الحرب العالمية الثانية ٠٠ احتجبت فى أيدى الباشوات والبكوات الذين تلقفوها من جهاد الشعب ، وألفوا أحزابا باسم مصر وباسم شعب مصر فى البداية ، ثم تطورت هذه الأحزاب فسخروها لخدمة مصالحهم ومصالح عائلاتهم ، ولعب بها وبهم دخيلان اتفقت مصالحهما ضد مصالح مصر وهما الاستعمار البريطانى وحاشية الملك الدخيل ٠ وهكذا ظلت هذه الثورة كامنة فى الأعماق تشع من أحداثها وتطوراتها دروسا غالية فجرت النهاية بثورة الجيش والشعب معا بقيادة الضباط الأحرار وعلى رأسهم القائد الملهم والزعيم المخلص الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠

وعندما توجه الأمير فيصل فى يناير ١٩١٩ الى باريس على رأس وفد الحجاز لمؤتمر الصلح كانت تواجهه عقبات ثلاث ٠ أولاهما ، طمع الاستعمار البريطانى وأحلامه الامبراطورية فى امتلاك العراق وفلسطين الى جانب احتفاظه بقواته فى مصر وقناة السويس ٠ وثانيهما ، طمع الاستعمار الفرنسى فى سورية كلها بما فيها لبنان لتكون امتدادا للامبراطورية الفرنسية فى شرق البحر الأبيض المتوسط ٠ وثالثهما ، طمع الاستعمار الصهيونى فى فلسطين ليجعل منها وطنا قوميا لليهود

ولتكون نقطة ارتكاز له فى البلاد العربية وللتسلل الى افريقية . وكانت البلاد العربية تكاد تكون جميعها غاصة بقوات الحلفاء باعتبارها أرضا مغتصبة من العدو (تركيا) ولذا ، كانت تسيطر عليها الأحكام العسكرية وينظم اداراتها حكام عسكريون ، فيما عدا جزء صغير من سورية بين « العقبة » و « حلب » كان تحت الادارة العربية ، و «الحجاز» حيث بقى حسين ملكا عليه ، و « نجد » وابن سعود سلطانا لها وعاصمته فى « الرياض » ، و « شمر » وابن رشيد حاكما عليها - وان كان نفوذه قد تأثر بهزيمة الأتراك - ، ثم الادريسى وقد بسط نفوذه فى منطقة « عسير » ، وأخيرا « الامام يحيى » مطالبا « باليمن » .

وكان الأمير فيصل قد ذهب فى أول زيارة له لأوربا فى ٢٦ من نوفمبر ١٩١٨ بعد الهدنة ، فمر بفرنسا حيث دعى لمشاهدة ميادين القتال فى الجبهة الغربية بصفته الشخصية كزائر كبير المقام دون أن يعترف له بأية صفة كممثل رسمى للعرب ، ثم توجه منها الى لندن فوصلها فى العاشر من ديسمبر ١٩١٨ . وهناك تكشفت له بوضوح حقيقة اتفاقية « سايكس - بيكو » التى كانت حين ذاك محور الحديث والجدل بين « لويد جورج » ممثلا لوجهة النظر البريطانية وبين « كليمنصو » ممثلا لوجهة النظر الفرنسية . وأفهم فيصل أن الحكومة الفرنسية تعارض بشدة فى وضعه على رأس الادارة العربية فى القطاع بين « العقبة وحلب » ، كما أنها تعارض فى اعتباره ممثلا للحجاز فى مؤتمر الصلح . كما علم بملخص مايدور بين الحكومتين البريطانية والفرنسية من آراء واقتراحات بخصوص ولاية « الموصل » وبخصوص « فلسطين » ، كما أحيط علما بمحاولات بريطانيا لابعاد فرنسا عن فلسطين . ووقع تحت ضغط شديد من الساسة البريطانيين ليعترف نيابة عن العرب الذين يمثلهم بآمال الصهيونية فى فلسطين كاجراء يساعد بريطانيا على التخلص من الحاح فرنسا فى الحصول على حقها فى فلسطين . وفى الوقت نفسه ، وتحت هذه الظروف ، نشطت الصهيونية فى بريطانيا ، وبذل « وايزمان » كل مجهوداته نيابة عن المنظمة الصهيونية فى الحصول منه على هذا الاعتراف ، حتى يمسك بالطرف الآخر من العصا ، فقد ملكته بريطانيا من قبل أحد الطرفين باهدائها اياه « وعد بلفور » .

وفى غمار الموقف الذى وجد فيصل نفسه غارقا فيه ، وتحت ضغط بريطانيا والحاح المحيطين به من ذئاب الاستعمار ، ولجهله التام بالسياسة الغربية وأساليبها ، ولشعوره بضعفه وعزلته الى جانب عداء

فرنسا السافر له ، ظن أن فى الاستجابة لطلب الانجليز ما قد يقلب ضعفه الى قوة ، بالرغم من أنه لم يعط من العرب أى تفويض أو تصريح ليتصرف فى مقدرات قطعة عزيزة مقدسة من الوطن العربى .

ولما كانت وزارة الخـــارجية البريطانية تحت ضغط الصهيونية واستجابة للعقلية الاستعمارية الامبراطورية تريد أن تنتهى من مشكلة فلسطين قبل دخولها مؤتمر الصلح ، وأن تواجه المؤتمر بحل متفق عليه بين العرب واليهـــود ، فقد كان الحاحهم على فيصل فى هذا الشأن متواصـــلا شديدا . وقيل ان فيصل لثقته فى « لورانس » وفى حسن ادراكه لقضية العرب وايمانه المطلق بحقوقهم فى مطالبهم فقد استشاره فيما يفعل . وقيل ان « لورانس » أشار عليه بأن يوقع الاتفاق بشرط أن يصبح الاتفاق نافذا بعد أن يحصل العـــرب على الاستقلال الذى وعدوا به .

وبالرغم من أنه من وجهة نظر العرب يجب أن تكون فلسطين بما تحويه من الأماكن المقدسة والمزارات الدينية التى تخص الأديان السماوية الثـــلاثة بعيدة عن أى تعصب دينى أو عنصرى ، وأن فى بقاء فلسطين عربية ما يضمن احترام هذه الأماكن جميعا ومعاملة زائريها وقاصديها بروح الايمان والسماحة ، الا أن « فيصل » سمح لنفسه أن ينقـــاد الى آراء « وايزمان » وادعاءاته التى سبق أن ادعاها أمامه فى معسكر فيصل فى العقبة فى الاسبوع الأول من يونية ١٩١٨ . وهى أن اليهود لا ينوون اقامة حكومة مستقلة بهم فى فلسطين ، وانما يريدون فى نظير مساهمتهم فى انماء ثروة فلسطين الزراعية والصناعية أن يشتركوا مع العرب فى خيراتها دون اضرار بهم أو اعتداء على حقوقهم ، وأن هذه الادعاءات جاءت واضحة فى « وعد بلفور » نفسه الذى تضمنه الحكومة البريطانية .

وفى الثالث من شهر يناير عام ١٩١٩ (كما هو واضح فى تاريخ الاتفاقية) وقع فيصل فى لندن باعتباره ممثلا لحكومة الحجاز العربية اتفاقا بينه وبين « وايزمان » باعتباره ممثلا للمنظمة الصهيونية للتعاون بينهما فى فلسطين وادارته ، وتشجيع هجرة اليهود الى فلسطين على نطاق واسع مع احتفاظ السكان العرب بحقوقهم فى الارض على أن يساعدهم اليهود على زيادة غلة أراضيهم . كذلك اتفق على أن المنظمة اليهودية ستضع اخصائيين اقتصاديين فى خدمة العرب لانعاش وتنمية الموارد الاقتصـــادية لفلســـطين ، واتفق أيضا على أن تكون الأماكن المقدسة الاسلامية تحت سيطرة المسلمين وألا يكون للدين أى دخل فى تمييز

السكان أو أن توضع أى قيود على حرية العبادة وممارستها • وانتهت الاتفاقية على أن الطرفين سيعملان بتعاون تام بكل ما جاء بالاتفاقية أمام مؤتمر الصلح وأن أى نزاع قد ينشأ بينهما يعرض على الحكومة البريطانية للتحكيم •

ومن المضحك أن ديباجة الاتفاقية جاء فيها « **أنه بالنسبه للتقارب العنصرى والروابط التاريخية القديمة التى تربط بين العرب واليهود •• ورغبة فى تأكيد التفاهم المتبادل بينهما** » وهذا القول لا يمكن أن يسلم به منطق سليم ولا يمكن أخذه أساسا حقيقيا لاتفاق بين العرب والصهيونية • وقد كتب « فيصل » بخطه على أصل الاتفاقية التى وقعها وباللغة العربية (**اذا حصل العرب على استقلالهم الذى طلبته فى مذكرتى المرفوعة الى وزارة خارجية حكومة بريطانيا العظمى بتاريخ الرابع من شهر يناير ١٩١٩ « ؟ » فانى سأعمل وفق المواد المدونة بعاليه • أما اذا حصل أى تعديل أو تغيير بالنسبة للطلبات الواردة بالمذكرة المذكورة • فانى حين ذاك لا أصبح مرتبطا بكلمة واحدة من هذا الاتفاق الذى يصبح لا غيا ولا قيمة له وغير سار • وأصبح غير مسئول بأى حال من الأحوال عنه** *) • وواضح أن الشرط الذى اشترطه «فيصل» لتصبح لهذه الاتفاقية قوتها لم ينفذ بأى شكل من الأشكال ، مما لا يجعل لهذه الوثيقة أية صلاحية أو دلالة كاتفاق يقيد « فيصل » نفسه • وطبعا فهو لا يقيد العرب بأى حال • الا أن هذه الوثيقة مرآة تعكس ما كان يمكن أن يكون عليه سلوك العرب نحو اليهود لو أن العرب نالوا حقهم الطبيعى فى الاستقلال فى بلادهم ووطنهم ، وطالما لن يتعارض وجود اليهود فى تلك الارض مع ما يقتضيه هذا الحق فى حكم العرب لبلادهم وادارتها بالطريقة التى تناسبهم •

وعندما تمكن « فيصل » من الحصول على حق « وفد الحجاز » فى الاشتراك فى مؤتمر الصلح ، وفى الاجتماع الذى عقد فى السادس من فبراير سنة ١٩١٩ ، بين « فيصل » الأسباب التى تدعو الشعوب الناطقة بالضاد فى آسيا الى الاتحاد معا والى الاستقلال مدعما ذلك بالأسباب الجغرافية والتاريخية والثقافية والاقتصادية التى تربط بينهم جميعا ، كما أبرز الدور الكبير الذى لعبه العرب فى الحرب ، وأوضح التضحيات التى بذلوها ، وأعرب فى أصدق لهجة وأبلغ مقال عن عدم شرعية

* ـ ان الاتفاقية « فيصل ـ وايزمان » محررة فى الثالث من يناير ١٩١٩ كما سبق الاشارة اليه •

اتفاقية « سايكس ـ بيكو » • ثم ختم كلمته بشكر كل من بريطانيا وفرنسا على المساعدات التى قدمتاها للعرب فى نضالهم من أجل حريتهم وطالب الحكومتين البريطانية والفرنســية بالوفاء بوعودهما للعــرب والتزاماتهما نحوهم •

وعند المناقشة ، أصر فيصل على حق العرب فى تقرير مصيرهم عملا بالوعد البريطانى الفرنسى المشــترك ، وعملا بخطاب الرئيس الأمريكى « ويلسون » ، والمبدأ الثانى من المبادىء التى ذكرها فى ذلك الخطاب • وطالب بتعيين لجنة تحقيق لمؤتمر الصلح ، تتبين مطالب الشعب العربى بزيارتها لسورية وفلسطين • وقد وافق هذا الاقتراح هوى فى نفس الرئيس « ويلسون » وأيده ، على أن تكون لجنــة التحقيق من عضوين يمثلان كل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وايطاليا •

ولقد ساء هذا الاقتراح فرنسا ، وأثار بعض المخاوف فى نفس « لويد جورج » ، ولكنه أقلق الصهيونية قلقا بالغا • بل انها رأت عند ذاك أن آمالها فى تحقيق حلمها قد لا يتحقق دون اللجوء الى العنف والقوة فى فلسطين • وكانت الصهيونية قد عملت على ايجــاد قوة عسكرية يهودية اشتركت فى الحرب مع الحلفاء واستقرت فى فلسطين •

وكان السير « مارك سايكس » قد عاد حديثا الى باريس بعد جولة فى سورية وفلسطين ، وقد فتح ما رآه فى أثناء زيارته هذه من أعمال وتصرفات اليهود فى فلسطين عينيه على حقيقة الصهيونية وأغراضها ، وتجلت له بوضوح الهوة العميقة بين ماكان يظن من أهداف لليهود فى فلسطين وبين الحقيقة التى طالعته سافرة فى أثناء الزيارة ، بل ووضح له تأثير تلك الأعمال والتصرفات على عقول العرب وسلوكهم• وبالاختصار فان مستر « مارك سايكس » بعد أن كان من كبار المتحمسين للصهيونيين فى أثناء الحرب ، أصبح يرى ـ بعد تلك الزيارة ـ أنها غلطة جسيمة يجب اصلاحها بأى ثمن • كما أصبح يرى أيضا أن اتفاقيته التى رسمها مع « مسيو بيكو » أيضا غير ممكنة التطبيق طبقا للظروف الفعلية ، بل اعتبر أن محاولة تطبيقها عبث لا طائل من ورائه • وراح المستر «سايكس» بمجرد عودته من تلك الزيارة يعمل فى نشاط كبير ، وبدأ حملة شديدة واسعة لارجاع العقول الى صوابها ، وقابل فى أثناء ذلك « لويد جورج » و « بلفور » وكثيرا من أصدقائه من الانجليز والفرنسيين والصهيونيين• ولكنه ـ وقد كان يبذل هذا الجهد الكبير وهو مجهد من آثار رحلته ـ قد وقع بعد أيام قلائل فريسة مرض عضال أودى بحياته • ولعل موته

المبكر هذا كان سببا فى كثير من الأحداث الهامة المؤلمة التى وقعت فيما بعد ٠

أما لجنة التحقيق المقترحة فلم يكتب لهـا أن تخرج الى حيز الوجود ، وقادت فرنسا الحركة ضدها ٠ ولما رأت بريطانيا أن تحقيق اللجنة سيشمل العراق أيضا انضمت الى فرنسا بحجة عدم رضاء فرنسا والصهيونية عن اللجنة ٠ أما ايطاليا فكانت بالطبيعة لا صالح لها فى الأمر كله ولا تود أن تغضب طرفا من الأطراف الثلاثة ، بريطانيا ، فرنسا ، الصهيونية العالمية سعيا وراء مصالحها فى مؤتمر الصلح ٠

أما الرئيس « ويلسون » فقد أمر مندوبيه ــ برغم أنهما كانا يريان امكان الحصول على المعلومات المطلوبة فى باريس دون الطواف فى تلك البلاد ــ باصطحاب من يلزمهما من المستشارين والفنيين وهيئة المكتب وأن يقوما باتمام المهمة التى أمرا بها ٠ وفعلا وصلت اللجنة الأمريكية الى « يافا » فى العاشر من يونيو وأمضت ستة أسابيع فى زيارة فلسطين وسورية وبذلت ما وسعها من وقت وجهد فى استجلاء الحقائق ٠ وفى نهاية المدة عادت اللجنة وكتب عضواها « دكتور كنج ومستر كرين » تقريرا رفع للرئيس « ويلسون » ، وعرف هذا التقرير فيما بعد باسم تقرير « كنج ــ كرين » ٠ ولم يظهر ذلك التقرير الا فى أواخر عام ١٩٢٢ حين سمح بنشر التقرير بأكمله فنشر كاملا فى احدى الصحف الأمريكية على الأقل على حين تناولته بعض الصحف الأخرى مختصرا (١) ٠

ويمكن أن يلخص هذا التقرير الهام الذى بنى على أساس صحيح من عدم التحيز والأمانة ومن الواقع وحوى الكثير من رجاحة العقل وصحة الحكم فى الموضوعات الآتية :

١ ــ أى انتداب يجب أن يكون لأقصر مدة ممكنة وبقصد تمكين البلاد التى ستوضع تحت الانتداب من الوصول الى مرحلة الاستقلال بأسرع ما تسمح به الظروف ٠

٢ ــ اقتراح معاملة « العراق » على أساس أنها دولة واحدة دون استثناء جزء منها ٠

---

(١) ظهر التقرير بأكمله فى جريدة **Edtor & Publisher** الصادرة فى نيويورك بتاريخ ٢ من ديسمبر عام ١٩٢٢ ٠

٣ ـ حفظ وحدة سورية وفلسطين معا كدولة واحدة على أن يكون للبنان حق الحكم الذاتي في اطار الوحدة السورية ٠

٤ ـ وضع العراق كله تحت انتـــداب دولة واحدة ، ووضع سورية وفلسطين معا تحت انتداب واحد ٠

٥ ـ أن يكون نظام الحكم ملكي ، ويكون الأمير فيصل ملكا على سورية واختيار ملك عربي آخـــر بالانتخاب العلني الشـــامل ملكا على العراق ٠

أما عن موضوع الدولة صاحبة الانتداب فقد بين التقرير أن الرأى في سورية كان لا يريد انتدابا كاملا بل في شكل مساعدات تقدمها أمريكا أو بريطانيا ولكن ليس فرنسا على أى حال ، واقترحا لذلك أن تقوم أمريكا بالانتداب على سورية مجتمعة كما تقوم بريطانيا بالانتداب على العراق ، أما اذا لم يمكن لأمريكا أن تقوم بالانتداب على سورية فيوكل أيضا الى بريطانيا ٠ ورأيا أن أية محاولة لانتداب فرنسا على سورية قد تؤدى الى اشتباكات بين العـــرب والفرنسيين مما قد يسبب خطرا على بريطانيا أيضا ٠

أما عن الصهيونية ، فقد أفردا لها جانبا مطولا من التقرير ، قالا فيه : انه بالرغم من أنهما حاولا أن يكونا في صف الآمال الصهيونية ، فان ماشاهداه في فلسطين قد أرغمهما على التوصية بالحد من الأطماع الصهيونية ٠ وان ما وصل الى علمهما عن لسان مندوبي اليهود ، قد أقنعهما **بأن الصهيونية ترمي الى التخلص نهائيا من سكان فلسطين غير اليهود بطرق الشراء المختلفة (شراء الاراضي والممتلكات) ٠ وأن من رأيهما أن مثل هذا العمل وان كان مباحا طبقا للقانون ٠ الا أن فيه اضرارا واجحافا كبيرين بحقوق شعب فلســطين وبالمبادىء التي أقرهـا الحلفاء والرئيس « ويلسون » ، وأن جميع من استشاراهم من الرسميين البريطانيين يعتقدون أن هذا البرنامج الصهيوني لن يمكن تنفيذه الا بقوة السلاح ٠ وأنهما ازاء ذلك يجدان لزاما عليهما أن يوصيا بتخفيض البرنامج الصهيوني الى أقصى حد ، وأن تخفض الهـجرة اليهودية وأن تحدد ٠ كذلك يريان أن يغض النظر عن فكرة تحويل فلسطين الى دولة يهودية ضمن نطاق الممتلكات البريطانية (الكومنولث) ٠**

(و) الانتــداب :

مما لا شك فيه أن هذا التقرير لم يوافق هوى « صانعى السلام فى فرساى » وكذلك لم يرض الصهيونية ، وعلى ذلك فقد حفظ التقرير ولم يلتفت اليه حتى فى « واشنطن » نفســـها · وفى خلال السنوات الثلاث التى مضت قبل أن تصبح حقيقة التقرير معروفة علنا ، كانت بريطانيا وفرنسا قد ابتكرتا ونفذتا « الاستقرار » الذى ارتأتاه ، دون أن يكون لتقرير « كنج ــ كرين وما حواه من أفـــكار جديرة بالاتباع أى تأثيره · بل بكل غطرسة وغباء ولأسباب استعمارية خالصة أغفل أمره ·

وأخيرا فى « سان ريمو » فى ٢٥ من ابريل ١٩٢٠ ، استقر الرأى على أن توضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ، وأن توضع كل من العراق وفلسطين تحت الانتداب البريطانى كل على حدة · وقيل فى الانتداب على فلسطين ان ذلك يتضمن واجب تنفيذ « وعد بلفور » · وأعلن ذلك القرار فى ٥ من مايو عام ١٩٢٠ ·

وكان للمقررات التى صدرت فى « سان ريمو » ولاحتلال الفرنسيين لكل « سورية ولبنان » ، ولتعزيز السلطات البريطانية فى العراق بشكل لم يدع مجالا للحكم الذاتى ، ولظهور خطة فى فلسطين تستهدف زيادة نشاط وقوة الصهيونية ، كان لكل ذلك ما أعطى عام ١٩٢٠ اسما بشعا فى العالم العربى فسمى « عام النكبة » وشاهد هذا العـــام قيام أول الثورات المسلحة احتجاجا على هذا « الاستقرار » فى العـــالم العربى ! وحدثت فى هذا العام اضطرابات خطيرة فى سورية والعراق وفلسطين ، أما فى مصر فكانت ثورة ١٩١٩ فى أوج شدتها وعنفها · وبالاختصار فان العـــالم العربى كله كان يموج بالثورة وأعمال العنف ومن أظهرها ما حدث فى فلسطين فى « عيد الفصح » من ذلك العام حينما قام ســـكان القدس مدفوعين بأعمـــال الاستفزاز والاشـــاعات الصهيونية واعملوا أسلحتهم فى اليهود * » ·

ولم تنشر نتيجة لجنة التحقيق التى ألفها الحاكم العسكرى للبحث فى أسباب تلك الثورة وان كانت الأسباب لا تحتاج الى شرح ولا الى اعلان ، فانها لا تخرج عن خوف السكان العرب مما كان يبيته لهم قادة

---

* ــ كان اليهود فى فلسطين وفى القدس يرددون قول « وايزمان » الذى أعلنه مرارا وفى أكثر من مناسبة من أن غرض الصهيونية أن تجعل فلسطين دولة يهودية تماما كما أن الجلترا انجليزية وأمريكا أمريكية ·

الصهيونية فى فلسطين عامة وفى القدس على وجه الخصوص · كذلك حدث صدام مسلح فى سورية فى قطاعى « حلب » و « أنطاكية » بين المتطوعين السوريين والقوات الفرنسية · وفى العراق لما أحس الناس أن الحكم أصبح للانجليز وحدهم ، ونتيجة لتعسف «الكولونيل ويلسن» الحاكم الادارى فيهم ، حدث انفجار مروع قام به الشعب · وكان لكل هذه الأحداث مجتمعة أثر اقتصادى سيىء على انجلترا نفسها مما دعا مستر « ونستون تشرشل » وزير المستعمرات وقتئذ الى عقد مؤتمر فى القاهرة فى الثانى عشر من مارس عام ١٩٢١ ، وانتهى هذا الاجتماع بتولية «فيصل» عرش العراق · ثم اجتمع مستر تشرشل « بالامير عبد الله » الذى كان يطالب بضم فلسطين الى شرق الاردن فى دولة عربية موحدة ، ولما كان مثل هذا الاجراء يتعارض مع التزام بريطانيا بانشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، فقد أمكن مستر تشرشل أن يقنع الامير عبد الله بالبقاء فى شرق الاردن منفصلة عن فلسطين على أن يمنح مساعدة مالية بريطانية يستطيع بها أن يجند قوة كافية تقر السلام فى شرق الاردن · وبذلك احتسب شرق الاردن وكأنه وضع أيضا تحت الانتداب البريطانى ·

وفى صيف عام ١٩٢١ ، بدأت الحكومة البريطانية محادثات مع « الملك حسين » ملك الحجاز لعقد معاهدة معه ، على أن تتضمن تلك المعاهدة اعترافا منه بأن لبريطانيا « وضعا خاصا » فى العراق وفى فلسطين وبذلك يعترف بحق بريطانيا فى الانتداب على هذين الاقليمين ، وذلك فى مقابل أن تضمن له «سلامة الحجاز» من أى اعتداء مع استمراره فى الحصول على المعونة المالية التى كانت تصرف اليه من الخزانة البريطانية · ولما كان «الملك حسين» يعتقد أن هذه ليست الطريقة المثلى التى يمكن لبريطانيا أن تجمع بها العالم العربى حولها ، بل يعتقد أن بريطانيا يجب أولا أن تربط أجزاء العالم العربى المستقل بعضه ببعض ثم ترتبط بهذا الكل مرة واحدة ، فانه تخوف من عقد هذه المعاهدة وداخله الشك والقلق الذى سبق أن عاناه عام ١٩١٧ عندما علم باتفاقية « سايكس ــ بيكو » وعندما سمع « بوعد بلفور » ، وأعادت اليه تلك المحادثات ذكرى ما أصابه من خيبة أمل فى حلفائه وما أصابه من عنت من عشيرته من العرب · وفى عام ١٩٢٣ لما أعيدت عليه الكرة لعقد محالفة «انجليزية ــ حجازية» تردد ، وبالرغم من أن المساعى المبذولة لعقد تلك المحالفة امتدت حتى صيف عام ١٩٢٤ فانها لم تثمر الثمرة المرجوة ·

وكانت العقبة التي تعثرت عليها هذه المساعى هذه المرة أيضا هى نفسها العقبة السابقة وهى مستقبل فلسطين ٠

وبالرغم من طول الوقت الذى استغرقته هذه المحادثات والذى أمكن خلاله تصفية بعض الخلافات بين الملك حسين وبين الانجليز فان الخلاف الرئيسى بينهما ظل قائمـــا على وجهة نظر كل من الطرفين نحو المشكلة اليهودية ٠ واقترح الملك حسين أن تصبح فلسطين دولة مستقلة تحكمها حكومة وطنية تمثل كل سكانها بما فيهم اليهود كل على حسب تعداده ، وأن يســـمح لهذه الدولة أن تنضم الى اتحـــاد الدول العربية الاخرى المستقلة ، وبذلك يحصل عرب فلسطين على أمان لحقـــوقهم السياسية والاقتصادية أيضا الى جانب حقوقهم المدنية والدينية التى جاء ذكرها فى « وعد بلفور » ٠ ولكن هـــذا الاقتراح لم يلق قبـــولا ، اذ كان اليهود لا يزالون أقلية فى فلسطين ولا يمكنهم تبعـــا لهذا النظـــام أن يحققوا أغراضهم المرســـومة فى فلسطين ٠ وكان هذا الخـــلاف بالطبع نقطة جوهرية ، فان عدم الوصول الى اتفاق حول هذا الخلاف يعنى عدم تعاون العرب بل ومقاومتهم ٠ وبمعنى آخر كان الاتفاق يعنى استسلام العرب، وكان الخلاف يعنى الخصام واستمرار الهياج فى الأراضى المقدسة وما يتبع ذلك من ألا يكون فى فلسطين راحة لا للانجليز ولا لليهود ٠ ومهما يكن الامر فان الانجليز لم ينتهوا مع الملك حسين الى حل فوقعت الواقعة ، فقبل أن يصله رد على خطاب أخير كان قد أرسله فى الرابع من أغسطس ١٩٢٤ الى « رامزى ماكدونالد » رئيس الوزراء البريطانى شخصيا يلح فيه على ضرورة تنفيذ بريطانيا للوعود التى قطعتها معه شخصيا فى أثناء الحرب ، هاجمته حشود الوهابيين المتقدمة على الحجاز وأنهت حكمه كملك للحجاز فى أوائل اكتوبر عام ١٩٢٤ ٠

الباب الثانى

مابين الحربين العالميتين

(أ) الاستعمار الغربى يمالىء الصهيونية :

لاشك أن بريطانيا مالأت اليهود على حساب عرب فلسطين فى الوقت الذى كانت فيه الدعايات الصهيونية بمالها من قوة المال ، وامتلاك وسائل الاعلام العالمية على اختلاف انواعها ، وتنظيمها يغطى جميع أرجاء العالم وخصوصا دول الغرب والمتكلمة منها بالانجليزية على الأخص . وفى الوقت الذى كانت الدعاية الصهيونية توضح للعالم الموقف فى فلسطين خلال وجهة نظرها الخاصة وفى ضوء آمالها وأمانيها ، كان عرب فلسطين ، بل كان العالم العربى كله — حتى الى وقت قريب — لا يكاد يسمع صوته الا بين جدرانه . فقد كانت تقف دون صوته حوائل كثيرة ، أهمها الايمان الكامل بالقضية الكبرى وخطورتها ، ثم السخاء فى بذل المال فى مواضعه الصحيحة ، ثم حوائل حسن الترجمة الى اللغات الأجنبية ، وأخيرا سعة النشر والاعلام وقوته . كذلك كانت أخبار اليهود ودعاية الصهيونية تسير فى قنوات الادارة البريطانية للانتداب فى فلسطين ، وكان الاداريون الانجليز أنفسهم أقرب فى صلاتهم واتصالاتهم وعاداتهم وتقاليدهم الى مهاجرى اليهود الذين يفدون الى فلسطين من دول العالم غير العربية . كذلك كان بعض أعضاء مجلس البرلمان البريطانى فى كل الأوقات يهودا ، وبالطبع كانوا قادرين على تسميم أفكار زملائهم فى المجلسين بالدعايات المتكررة أو بالاكاذيب المنمقة أو بالاختلاقات ينسبونها الى العرب . ولهذا لم يكن يرى من

القضية الفلسطينية وخصوصا لدى جمهرة الناس فى بريطانيا وفرنسا ودول العالم الغربى الا الوجه الصهيونى . أما الوجه العربى الذى يمثل الحقيقة والحق فلم يكن من الممكن رؤيته بوضوح حتى للذين ذهبوا الى فلسطين خصيصا لذلك الا بعد جهد وجهاد .

كذلك نشطت المنظمة الصهيونية العالمية فى جمع المال بمختلف الطرق على مدى عالمى وحتى من البلاد العربية نفسها ، كما عملت على تنظيم مراكز الهجرة ووسائلها . وأخيرا على شراء الأراضي أو استلابها في فلسطين . ولم تمالئها في كل ذلك بريطانيا وحدها فحسب ، بل الغرب بأسره ، فضلا عن أمريكا أيضا . وليس أدل على ذلك مما جاء بصك انتداب بريطانيا على فلسطين الصادر عن عصبة الأمم فى الرابع والعشرين من يوليه ١٩٢٢ وفيه تحريض سافر لبريطانيا ، بل الزام لها على العمل جهدها لانالة الصهيونية مطامعها وتحقيق آمالها فى استعمار فلسطين ، فقد جاء في مقدمة هذا الصك « حيث أن دول الحلفاء الكبرى **قد اتفقت على أن المنتدب مسئول عن تنفيذ الوعد الذى صدر أول ماصدر فى الثانى من نوفمبر ١٩١٧ عن حكومة صاحب الجلالة البريطانية** والذى وافقت عليه واعترفت به دول الحلفاء المذكورة **بشأن انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين** .. وحيث أن هذا الاعتراف **أعطى بناء على الصلات التاريخية للشعب اليهودى بفلسطين وعلى** أساس انشاء وطنهم القومى فى ذلك القطر . وحيث أن دول الحلفاء الكبرى قد انتخبت حكومة صاحب الجلالة البريطانية كمنتدب على فلسطين .. فان مجلس عصبة الامم بتصديقه على الانتداب المذكور يحدد شروطه ... الخ ثم جاء فى مواده مايأتى :

المادة ٢ ـ يكون المنتدب مسئولا عن جعل البلاد في ظروف سياسية وادارية واقتصادية بحيث يضمن انشاء الوطن القومى لليهود وفقا لما جاء فى الديباجة ، وتنمية مؤسسات الحكم الذاتى ، وأيضا لتأمين الحقوق المدنية والدينية لكل سكان فلسطين دون تمييز لأى عنصر أو دين .

المادة ٤ ـ ستكون الوكالة اليهودية هى الهيئة التى تقدم المشورة والتعاون مع سلطات الادارة فى فلسطين فى المسائل الاقتصادية والاجتماعية والمسائل الأخرى التى قد يكون لها تأثير على انشاء الوطن القومى أو مصالح السكان اليهود فى فلسطين .. وستتخذ الخطوات

اللازمة بموافقة حكومة صاحب الجلالة البريطانية للحصول على تعاون اليهود الراغبين في المساعدة على انشاء الوطن القومي لليهود •

وفى عام ١٩٢٢ وافقت الحكومة الامريكية فى كلا مجلسى البرلمان وباتفاق جميع الآراء على ماجاء بصك الانتداب على فلسطين بخصوص انشاء وطن قومي لليهود فيها • وبذلك أصبح الغرب كله ممثلا فى عصبة الامم واصبحت أمريكا متواطئين جميعا مع الصهيونية على ابتلاع فلسطين • ولقد أحدث ذلك الاتفاق أثرا كبيرا فى نفوس العالم العربى الذى خدع فى مصيره واستقلاله ، وعم العرب فى الشرق الأوسط شعور جارف بقوميتهم وثاروا لكرامتهم ثورات كبيرة تطورت الى كثير من اعمال العنف واراقة الدماء ، وقصدوا بذلك معارضة ادخال اليهود الى فلسطين . وكان من نتيجة ذلك كله أن أصدرت الحكومة البريطانية التى وقع عليها عبء هذه الفوضى كتابا أبيض فى السابع عشر من مايو ١٩٣٩ ، حددت فيه عدد اليهود الذين يسمح لهم بالهجرة الى فلسطين خلال السنوات الخمس التالية بخمسة وسبعين ألفا ، وعلى ألا يسمح بعد هذه الفترة بأية هجرة لليهود الى فلسطين مالم يأذن العرب فى ذلك (١) • ولكن ظروف العالم كلها فى ذلك الوقت كانت قد بدأت تدخل فى طور جديد •

(ب) الهجرة اليهودية الى فلسطين :

مما يدل دلالة واضحة على أن انشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين هى فكرة استعمارية عنصرية تحركها أصابع الصهيونية العالمية ويؤازرها الاستعمار لأغراضه السياسية ، أنه بالرغم من صدور « وعد بلفور » ، وبالرغم من انتداب بريطانيا على فلسطين والزامها بتنفيذ ذلك الوعد ، وبالرغم من نشوء « حكومة يهودية » الى جانب سلطات الانتداب فى شخص الوكالة اليهودية والمنظمات اليهودية الاخرى ، فان هجرة اليهود الى فلسطين من عام ١٩١٩ الى عام ١٩٤٢ (وكان هتلر

---

(١) فى عام ١٩٣٧ عرف قرار لجنة التحقيق الملكية فى فلسطين بتقسيمه بين العرب واليهود وباختصاص اليهود بالجزء الأكبر مع اجلاء العرب عن المنطقة اليهودية ، وضم المنطقة العربية الى شرق الأردن واستقلال كل من المنطقتين على أن يعقد بين كل منهما وبين بريطانيا معاهدة بدلا من الانتداب الذى سيقتصر على منطقة تشمل القدس وبيت لحم والناصرة •

قد بدأ اضطهاده لليهـــود فى ألمانيا ووســـط أوربا) لم تبلغ ســوى ٣٥٨ر٩٠٠ مهـاجر . وكانت الهجرة فى بعض الأعوام ولفترات تمتـــد اربعة أو خمسة أعوام متتالية ضئيلة جدا . ففى السنوات من ١٩٢٠ ـ ١٩٢٤ كان عدد اليهود الذين هاجروا الى فلسطين ٢٩ر٩٢٨ مهاجرا ثم اشتدت الدعاية الصهيونية ووسائل الترغيب فى عام ١٩٢٥ دون ما سبب عالمى آخر فدخل فلسطين فى هذا العام وحده ٣٣ر٨٠١ مهاجرا (أى ما يزيد على عدد المهاجرين فى السـنوات الأربع السـابقة) . ثم تحول الموقف الى فترة أخرى من الاحجام شملت السنوات السـبع التالية ، ففى سنوات ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ لم يزد عدد المهاجرين كل سنة عن الألفين الا قليلا . ثم عاودت الصهيونية نشـاطها لتملأ الأرض التى كانت تشـتريها أو تسـتولى عليها فدفعت الى فلسـطين عام ١٩٣٥ ٦١ر٨٥٤ مهاجرا وكان قد سبقهم فى عام ١٩٣٣ ٣٠ر٣٢٧ مهاجرا، وفى عام ١٩٣٤ ، ٤٢ر٣٥٩ ، ثم دخل فلسطين عام ١٩٣٦ ، ٢٩ر٧٢٧ مهاجرا. اما فى المدة من عام ١٩٣٧ الى عام ١٩٤٧ فدخل فلسطين ١٤٤ر٣٣٧ مهاجرا كما دخلها فى الفترة الحرجة بين أول يناير ١٩٤٨ و ١٤ مايو من السنة نفسـها ١٧ر٠٨٤ مهـاجرا أغلبهم ممن يمكن اسـتخدامهم للقتال (١) .

ولكن الطرف الآخر والأكثر أهمية فى انتظام عملية الهجرة والذى كان فى استطاعة الصهيونية العالمية معالجته بكفاية تامة وسرية مطلقة فهو شراء وامتلاك الاراضى فى فلسطين . فحتى نهاية عام ١٩١٩ كانت الممتلكات والاراضى المملوكة لليهود فى فلسين قليلة ومبعثرة حول«يافا» « وبحيرة طبرية » ، وكان جملة ما يملـكه اليهود عنـد انتداب بريطانيا حوالى ٦٥٠ر٠٠٠ دونم لم تكن كلها مستغلة تماما . أما فى عام ١٩٣٩ فقد أصبحت تلك الممتلكات تشمل الساحل الفلسطينى كله تقريبا وتمتد بعمق الى الداخل فى حين اتصلت الاراضى حول بحيرة طبرية بالأراضى اليهودية فى حيفا ويافا بل وامتدت حتى قاربت حدود سورية ولبنان، كما أصبح النقب يعج بالمستعمرات اليهودية ، وأصـبحت الاراضى التى يمتلكها اليهود فى فلسطين فى مايو ١٩٤٨ حوالى ٢ر٠٠٠ر٠٠٠ دونم ، أى حوالى أربعة امثال ما كانوا يملكونه قبل الانتداب .

وكانت الأراضى التى لا يمكن اليهـود امتلاكهـا لرفض أصحابها

---

(١) كانت نسبة السكان فى فلسطين عام ١٩٣٦ : ٨٥٠ر٠٠٠ من العرب ، ٣٨٠ر٠٠٠ من اليهود وأصبحت عام ١٩٤٦ ١ر٢٠٠ر٠٠٠ من العرب و ٦٠٠ر٠٠٠ من اليهود .

العرب بيعها مهما قدموا ثمنا لهـا تدخل ضمن ما يتقرر نزع ملـكيته من أجل المرافق العامة وتقدم العمران عن طريق سلطات الانتداب . وكانت هذه السـلطات تتآمر مـع اليهود فى رسم التخطيطات الخـاصة بالمرافق العامة بحيث تدخل فيها هذه الاراضى. كذلك كان لتصفية البنك الزراعى العثمانى ، ولفرض الضرائب الباهظة على أصحاب الاراضى المقيمين خارج أرض فلسطين ، ما أوقع الكثيرين من أصحاب الأراضى من العرب فى يد المرابين اليهود الذين سـلبوهم أرضهم بسهولة وبأرخص الأثمـان . أما الأراضى التى كانت مسجلة باسم السلطان العثمانى فقد انتقلت الى الحكومة البريطانية وسجلت باسم المندوب السامى البريطانى ، وكان من السهل حصول المنظمة اليهودية على ما تشاؤه منها .

ولم يكن امتلاك اليهود لبعض الأراضى التى بذلوا فيها أسعارا عالية ما ساعد على تقدم الاقتصاد الفلسطينى ، بل على عكس ذلك ، فان الاراضى التى كانوا يبتاعونها وان كانت تدر على مالكها الأصلى مبلغا كبيرا ، الا أن الفلاحين الذين كانوا يعملون فيها أو المقيمين عليها كانوا يشردون توا . فقد كانت الوكالة اليهودية تشترط عند دفع الثمن أن تخليها من فلاحيها والعاملين العرب فيها حتى توطن اللاجئين اليهود بهـا . وكان عدد هؤلاء قد أصبح عبئا ثقيلا على الأفواه المستهلـكة لأقوات فلسطين وغلة أرضها التى لم يكن من المستطاع مهما بذل فيهـا أن يزيد انتاجها بنسبة زيادة المهاجرين. بل ان هؤلاء المهاجرين وأغلبهم (بالنسبة الى ثقافتهم وتمرسهم) استطاعوا الحصول على وظائف فى الادارة المحلية أو المنظمات الصهيونية ونافسوا السـكان الاصليين فى استهلاك المحصولات الزراعية فارتفعت أسـعارها ، ثم نافسوهم أيضـا فى ميادين التجارة الخارجية والاسواق العالمية فاحتكروا الاستيراد والتصدير ومنعوا عن التجار أرزاقهم .

وهكذا اضطرب حبل الاقتصـاد الفلسطينى وبدأ العرب يشعرون بوطأة المهاجرين على أرزاقهم ، وكان هذا ما اعترفت به الحكومة البريطانية فى كتابهـا الأبيض عام ١٩٣٩ ، وان كانت نسبت المتسبب الى السبب بعكس الحال ، فقالت « ان خوف العرب من الهجرة اليهودية المطلقة انتشر بين السكان العرب وأدى الى اضطرابات عنيفـة أخرت الاقتصـاد القومى للبلاد » . وكان الأحرى بها أن تقول : ان تأخر الاقتصاد القومى بسبب الهجرة المطلقـة لليهود أدى الى خوف العرب من الهجرة اليهودية ثم الى الاضطراب . والا لو أن الخير والتقـدم كانا قد عما البـلاد ونشرا ظلهما على سـكانها من العرب لمـا كان هناك ثمـة سـبب لخوفهم ولا لقيـامهم بالاضطرابات .

وكانت لجنة « شو » التى شكلت للتحقيق فى أسباب الاضطرابات العنيفة التى حدثت فى ١٩٣٠ قد أوصت فى مارس من تلك السنة بالآتى :

١ ـ أن يوضع حد لوقف اجلاء الزارعين والفلاحين عن الاراضى التى كانوا يزرعونها ٠

٢ ـ أن ينظر فى اعادة البنك الزراعى أو ايجاد وسيلة أو وسائل أخرى لاقراض الزارعين ٠

كذلك وصلت من انجلترا لجنة فى ٢٠ من مايو من نفس السنة برياسة القاضى « سمبسون » الى فلسطين لنفس السبب وقد سجل فى تقريره أمرين خطيرين :

١ ـ أن الوكالة اليهودية هى المسئولة عن جميع حوادث مخالفات الهجرة ٠

٢ ـ أن البطالة بين العرب أصبحت من المظاهر الخطيرة فى حياة البلاد الاقتصادية وأن هذه البطالة كانت نتيجة حتمية لازدياد الهجرة اليهودية ٠

وقد تحمل الاقتصاد القومى لتلك البلاد نتيجة للهجرة اليهودية وللانتداب ولمحاولتهما معا تحويل فلسطين الى وطن قومى لليهود أعباء كثيرة غالية ٠ أولها : ضرورة انشاء أجهزة جديدة معقدة لحفظ الأمن بين العرب واليهود ٠ والثانى : عبء ادخال اللغة العبرية كلغة رسمية فى المكاتبات والأعمال الحكومية علاوة على اللغتين الانجليزية والعربية ٠ والثالث : زيادة الأعمال الاصلاحية وأعمال المنفعة العامة بقصد اعطاء أكبر فرص عمل ممكنة لبعض العمال اليهود المهاجرين ٠ وأخيرا ، فرض ضرائب جمركية على بعض الواردات التى بدأت بعض الصناعات اليهودية الناشئة انتاجها محليا لحمايتها من المنافسة ولضمان بيعها بأسعار مرتفعة برغم عدم جودة صنعها ٠

(ج) مقدمات الحرب العالمية الثانية :

بصدور الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ أصيبت آمال الصهيونية فى سرعة الاستحواذ على فلسطين بنكسة ٠ وكانت الاحوال العالمية وخصوصا فى أوربا قد بدأت تنذر بعواصف شديدة ٠ أما بالنسبة لليهود عامة ويهود ألمانيا خاصة ، فان « هتلر » جعل منهم هدفا لانتقامه على اعتبار

أنهم هم الذين تسببوا في هزيمة المانيا في الحرب العالمية الاولى • ولما كان « هتلر » يزمع أن يقوم بمخاطرته الكبرى ، فقد صمم على القضاء عليهم نهائيا في المانيا وفي كل مكان يستطيع أن يصل اليهم فيه ، وبدأ « هتلر » يتعقب اليهود في المانيا وفي كل الاراضي التي ضمها اليه وأصبح حوالى ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ يهودى فى أوربا بين يدى « هتلر » يصنع بهم ما يشاء ، كما أصبح باقى اليهود فى غرب أوربا معرضين لمثل ما أصاب اخوانهم ، وأصبح موقفهم يدعو الى سرعة البت • وكان « وايزمان » فى اجتماع المنظمة الصهيونية العالمية الواحد والعشرين الذى عقد فى «جنيف» فى أغسطس ١٩٣٩ ، قد هاجم بريطانيا هجوما شديدا ووجه اليها انتقادا لاذعا فيما أسماه « تراجع بريطانيا فى وعودها » •

ولكن الشرق الأوسط كان أيضا بقعة حساسة ومنطقة شديدة الخطر على سياسة بريطانيا الحربية اذا أرغمت على الدخول فى حرب مع دول المحور ألمانيا وايطاليا ثم اليابان • وحتى لو أن بريطانيا استطاعت أن تحصر الحرب فى أوربا ضد ألمانيا وحدها ، ولو أنها استطاعت أن تحتفظ بايطاليا واليابان خارج نطاق الحرب ، فانها لا يمكن أن تسمح بوجود اضطرابات وقلاقل فى الشرق الأوسط وفيه طريقاها البرى والبحرى الى الهند واستراليا وباقى أجزاء امبراطوريتها التى لا بد أنها ستعتمد عليها فى خوض غمار الحرب حتى لو انحصرت تلك الحرب فى أوربا • هذا علاوة على حقول البترول العراقية التى تعتمد عليها بريطانيا فى البحر الابيض المتوسط •

وعلى هذا فلم يكن أمام بريطانيا مناص من أن تتبع سياستها المعروفة فتهمل مطالب الصهيونية فى هذه المرحلة من تاريخها — ولحين — وأن تحفظ على الشرق الأوسط هدوءه واستقراره بأى ثمن وبالوعود الكاذبة التى يمكن أن تلجأ اليها فى هذه المرة أيضا • على أن عامل الوقت نفسه لم يتسع لغير ذلك •

الباب الثالث

الحرب العالمية الثانية

(أ) تحرك الصهيونية واستعدادها :

فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ شبت نار الحرب العالمية الثانية . ولقد استطاعت بريطانيا **بما قدمته لها مصر من مساعدات غالية** ، وما وضعته تحت تصرف قواتها من موانى ومطارات وطرق مواصلات حديدية وبرية ، وما قدمته من قوات للدفاع عن قناة السويس والصحراء الغربية ، ولحراسة المنشآت العامة ومعسكرات الأسرى وخطوط القتال الخلفية وخطوط المواصلات ، وما بذلته من أقوات أهليها وأمنهم وأرواحهم ، **وكذلك بما قدمه العالم العربى بأجمعه** من ضبط للنفس ، ومن هدوء ، ومن مساعدات أدبية ومادية أن تكسب معارك كبيرة فى جنوب افريقية أولا (تحرير الحبشة بمساعدة قوات الدفاع السودانية ، ثم القضاء على باقى القوات الايطالية فى المستعمرات الافريقية) مما مكن المساعدات الامريكية أن تصل الى ميادين شمال افريقية بسرعة وسهولة . كما ظل البحر الأحمر بموانيه ، وقناة السويس بمنشآتها وامكانياتها ، مفتوحين يعملان على امداد جيوشها بكل الاحتياجات التى ترسل اليها عن هذا الطريق ، كما مكن قواتها فى مصر وفلسطين من أن تصمد لأحداث العراق وسورية التى سببها عملاء المحور وحكومة « فيشى » . ثم أخيرا ، أن تحرز النصر الأخير فى شمال افريقية وأن تخرج القوات الألمانية من افريقية فى النهاية . ولقد كان العرب يأملون أن تقدر بريطانيا تلك المساعدات الكثيرة التى قدموها لها فتوفى بوعودها الكثيرة التى قطعتها على نفسها لهم مرارا وتكرارا .

أما اليهود فقد استطاعوا تحت قيادة المنظمة الصـــهيونية العالمية وسعيا وراء تحقيق مصالحهم ، وتحت ســـتار من كراهيتهم لهتلر ، أن يجندوا كل امكانياتهم فى العالم وفى الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص فى بذل كل المساعدات الممكنة لبريطانيا • وفى أثناء ذلك وتبعا لخطة مرسومة ، ألفوا لواء يهوديا فى فلسطين عمل ضمن القوات البريطانية بها • وفى الوقت نفسه ، وتحت ستار من حالة الحرب القائمة ، جلبوا الى فلسطين كثيرا من الأسلحة والذخيرة خبأوها فى مستعمراتهم • كمـا أعدوا بعــض الآلات والماكينات فى المســتعمرات النائية لانتاج بعض الأسلحة الخفيفة كالرشاشات القصيرة « ستن » وبعض القذائف اليدوية وقنابل الهاون • وكان غيرهم من يهــود أوربا يعملون ضمن منظمات التحرير السرية فى بولندا وفرنسا وبلجيكا ، واستفادوا خبرة عملية كبيرة فى أعمال النسف والتدمير وحرب العصـابات • كذلك اندمجت النساء اليهوديات فى أوربا وفى فلسطين ضـمن منظمات التحـرير أو منظمات جيوش الحلفاء للمجندات ، وعملن كسائقات أو عاملات لاسلكى أو لأعمال الدفاع الخفيفة وما تبع ذلك من تمرينهن على أسلحة القتال الخفيفة وأعمال النقل والمواصلات واستخدام واصـلاح الأجهزة السلكية واللاسلكية • وأعدت المنظمة الصهيونية مراكز فى فرنسا وايطاليـــا وكثير من بلدان البحر الأبيض المتوسط التى كان يتم تحريرها من قوات المحور لتجميع المهاجرين وتدريبهم وحشد الأسلحة والمعدات من مخلفات الحرب استعدادا لاعتداء مسلح داخل فلسطين التى استطاعوا تحت ظروف الحرب وبسببها أن يدخلوا اليهــا أعدادا كبيرة من اليهود بعيـدا عن أنظار العرب ودون علمهم •

(ب) نفوذ الصهيونية فى أمريكا :

فى الواحد والعشرين من مارس سنة ١٩٤٤ كانت الولايات المتحدة الامريكية قد تحققت من نهاية الحرب لمصلحتها (بدأت أمريكا مرحلة النصر فى نوفمبر عام ١٩٤٣ حين بدأت تتحول الى الهجوم الشــامل بعــد أن تكاملت لديها قوات برية وبحـرية وجوية ســـاحقة واحتياطى زاخر من أسلحة الحرب والذخائر الحديثة) ، أعلن مستر « كوردل هل » وزير الخارجية سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية التى استقر عليها رأى الرئيس الامريكى « روزفلت » ، وتضمنت هذه السياسة سبع عشرة نقطة نستخلص منها القواعد الآتية حسب ترتيبها فى نقاطه :

٤ ــ أي نزاع سياسى يجب أن يفض عن طريق المناقشات والمفاوضات ٠

٥ ــ المنازعات القانونية التى قد تهدد السلام يجب أن تحال للجنة عدل دولية لتحكم فيها طبقا لقواعد القانون ٠

١٢ ــ ان ميثاق الاطلنطي وسيلة تهيىء لكل أمة كبيرة كانت أو صغيرة تأكيدا أكبر لسلام دائم وفرصة أعظم لتحقيق آمالها فى الحرية وتسهيلات أكبر للتقدم المادى ٠

١٣ ــ ان كل دولة كبرت أو صغرت فى حكم القانون تساوى أية دولة أخرى ٠

١٤ ــ ان أية أمة حرة فى أن تختار لنفسها شكل وتفصيلات الحكم الذى ترغب فيه طالما كان ذلك لا يهدد سلام أو أمن الدول الأخرى ٠

أما أهم ما جاء فى هذه النقط فهو القاعدة الآتية :

١٥ ــ ان جميع شعوب العالم كبيرها وصغيرها التى تحترم حقوق الآخرين يجب أن تتمتع بحريتها فى عدم تدخل الآخرين فى شئونها الداخلية ٠

وبرغم صدور هذه النقط التى تحدد السياسة الخارجية الأمريكية فان الحزبين الأمريكيين الرئيسيين فى معركة انتخابات الرياسة التى كانت ستجرى فى نوفمبر عام ١٩٤٤ أعلن كلاهما تأييده لسياسة السماح بهجرة غير محدودة لليهود الى فلسطين ٠ فقال الرئيس روزفلت : « اننا نوافق على فتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية غير محدودة » ٠ فى حين قال الحاكم « ديوى » (اننى أوافق على فتح أبواب فلسطين لهجرتهم غير المحدودة ولتملكهم الأرض) ٠

وليس هناك دليل أقوى من هذين التصريحين على أن **من يرشح نفسه لرياسة الولايات المتحدة لابد أن يسترضى الصهيونية** ، وأن يبذل لها الوعود لحل مشاكلها ولو بالاعتداء على حقوق بادرت حكومته نفسها بتقريرها كحق ثابت لكل الأمم والشعوب يستقر عليها السلام فى العالم٠ ومن الغريب أن الحاكم « ديوى » ، وكان هو أضعف المرشحين ، يزيد فى تصريحه لهم بموافقته على تمليكهم الأراضى كما لو كانت الصهيونية ستشترى هذه الأراضى فى احدى الولايات الأمريكية وليس فى بلد له أهله وسكانه تلتزم شعوب الأرض قاطبة أن تحترم حقوقه ، ويتمتع بحقه فى عدم تدخل الآخرين فى شئونه الداخلية ٠

(ج) وفى بريطانيا أيضا :

وفى ديسمبر سنة ١٩٤٤ . أعلن مستر « اتلى » فى المؤتمر السنوى لحزب العمال القرار التالى الذى صودق عليه من الحزب : « أرى أننا وقفنا فى منتصف الطريق مزعزعين بين سياستين متضاربتين ، ولكن ليس هناك أمل أو معنى فى « وطن قومى لليهود » ما لم نكن مستعدين أن نسمح لهم ــ اذا أرادوا ــ أن يدخلوا تلك البلاد الصغيرة فى أعداد تجعل منهم أكثرية . لقد لقى هذا الرأى تعضيدا كبيرا قبل الحرب ، أما الآن ، وبالنسبة للخطة الجهنمية التى لا يمكن وصفها التى اتبعها النازيون الألمان لقتل كل يهود أوربا ، فقد أصبحت المسألة لا يمكن السكوت عليها . ولكن هناك أيضا فى فلسطين توجد قضية أخرى بالتأكيد ، فعلى أساس من الدواعى الانسانية ولتحقيق استقرار دائم يلزم نقل السكان . **يجب تشجيع العرب على الخروج كلما دخل اليهود** وليعوضوا بسخاء عن أراضيهم وليخطط استقرارهم فى أماكن أخرى بعناية ويمول على نطاق واسع . ان للعرب مناطق أخرى كبيرة خاصة بهم ، ولا يجب أن يعطوا الحق فى منع اليهود من دخول هذه البقعة الصغيرة التى تقل فى مساحتها عن « ويلز » التى هى فلسطين . فى الحقيقة اننا يجب أن نعيد النظر فى امكان توسيع نطاق حدود فلسطين الحالية بالاتفاق مع مصر وسورية وشرق الأردن . وعلاوة على ذلك يجب أن نحصل على رضا ومساعدة كل من الحكومتين الامريكية والروسية الكاملين من أجل تنفيذ هذه السياسة فى فلسطين » .

ولا جدال أن هذا البيان يبدو واضحا ولا يحتاج الى تعقيب ، ولكن أقل ما يمكن قوله هو أنه لا شك أن الصهيونية نفسها هى التى صاغته لتحقيق أبعد أحلامها ومشتهياتها . بل ان مستر « اتلى » فاق الصهيونيين فى خدمته للصهيونية بأن قدم لها مايمكن أن تعتبره منتهى آمالها فى مرحلة واحدة ، مع أن منتهى آمال الصهيونية كان أن توطد أقدامها فى فلسطين أولا . وما كان أجدر بالمستر « أتلى » وقد وجد فلسطين أصغر قليلا من « ويلز » بحيث يحتاج اسكان اليهود فيها الى تعديل حدودها لزيادة رقعتها ، أن يطلب الى أهالى « ويلز » وسكانها أن يخرجوا منها ليدخلها اليهود ، ولا لوم عليه فى هذا الطلب فان «ويلز» مقاطعة بريطانية وسكانها من الانجليز له عليهم الأمر وعليهم له ــ لدواعى الانسانية التى ذكرها ــ الطاعة ولاشك .

بل ويريد مستر « اتلى » مشــكورا أن يعوض العرب النازحين من

ديارهم وأوطانهم بسخاء عن أراضيهم ، ومهما كان الســـخاء الذى يراه مستر « اتلى » فهو لن يتعدى دراهم معدودات لا يمكن أن تعوض نفســا عن وطنها ومنازل الآباء والأجداد ، فالمرء يبـــذل فداء الوطن المال والدم والنفس • ثم أخيرا ، هل يملك مســتر « اتلى » ، وحتى لو حاز رضــا الحكومتين الامريكية والروسية تنفيذ هذه السياسة ان لم يرض أصحاب الأرض الشرعيون بتركها الا عن طريق القسر والاجبار ؟ اذن فنية العدوان كانت مبيتة والغدر واضح لا لبس فيه •

وان أبلغ تعقيب يمكن أن يــكون ردا على هـــذا البيان ما ورد فى « الميثاق » وكأنه الحق يدفع الباطل اذ يقول : « **ان اصرار شـــعبنا على تصفية العدوان الاسرائيلى على جزء من الوطن الفلسطينى هو تصميم على تصفية جيب من أخطر جيوب المقاومة الاستعمارية ضد نضال الشعوب • وليس تعقب سياستنا للتسلل الاسرائيلى فى افريقية غير محاولة لحصر انتشار سرطان استعمارى مدمر** » •

وفى عام ١٩٤٥ ، فى الانتخـابات العـامة البريطانية ، حاز حزب مستر « أتلى » على أغلبية ساحقة ، وتولى العمال حكم بريطانيا • وكانت الصهيونية العالمية ، وقد اكتملت ترتيباتها من أجل احتلال فلســطين ، تملأ الدنيا نواحا على ما أصاب اليهود فى أوربا وما صارت اليه حالهم ، وادعوا أن مليونا ونصف المليون يلزم تدبير اسكانهم وايوائهم فورا • وكانت هذه الأعداد هى ما حشدته المنظمة الصهيونية فى معسكرات خاصة فى فرنسا وايطاليا • وقد قال أحد الكتاب الأمريكيين عنهم « إن اللاجئين لا يزيدون على أن يكونوا كرات سياسية يلعب بها قادة الصهيونيين اليهود فى العالم » ، وكان أكثر هؤلاء المهاجرين من البلاد التى دخلت تحت النطاق الشيوعى •

وبالرغم من أن اليهود الذين كانوا فى فلســطين ممثلين فى منظمة « أرجون زفاى ليومى » كانوا يقومون بأعمال ارهاب ضد سلطات الادارة الانجليزية ، موقعين الخراب والدمار فى كثير من الأماكن والمنشآت ، بل انهم اعتدوا بالضرب والقتل على بعض رجال البوليس الانجليز ، كما حاولوا اغتيال المندوب السامى البريطانى نفســـه ، فان حزب العمـــال

الانجليزى الذى نال الأغلبية الساحقة فى الانتخابات العامة بفضل مؤازرة الصهيونية له ، وثمنا لوعوده لهم بحل مشكلة فلسطين فى الصالح اليهودى ، لم يتخذ من الاجراءات أو التدابير ما يمكن اعتباره ردا حاسما على هذا العدوان . بل انه فى مجلس العموم البريطانى ، وفى صدد هذه الحوادث طلب « ايرل ونتيرتون » من مستر « جورج هل » تأكيدا ينفى أن البوليس البريطانى لديه تعليمات من كبار المسئولين بعدم استخدام الأسلحة ضد هؤلاء القتلة برغم ما قد يتعرض له رجال البوليس انفسهم من أخطار .

الباب الرابع

ما بعد الحرب العالمية الثانية

(أ) جموح الاستعمار :

لاشك أن خروج أمريكا وبريطانيا منتصرتين فى نهاية الحرب العالمية الثانية قد أوحى اليهما أنهما أصبحتا قادرتين ـ ولهما تلك القوات العسكرية الهائلة ـ على فرض الحلول التى تعن لهما لمشاكل العالم . وتبعا لذلك المنطق الأهوج ، وتحت ضغط الصهيونية العالمية التى اشترت الحكم فيهما ، وخدمة لأغراضهما الاستعمارية فى العالم العربى ، سارت السياسة فى الدولتين على أساس انهاء مشكلة فلسطين لمصلحة الصهيونية .

فتقدمت الحكومة الامريكية باقتراح الرئيس « ترومان » بأن يفتح باب الهجرة لعدد ١٠٠٫٠٠٠ يهودى الى فلسطين فورا ، ولاقى هذا الاقتراح قبولا من الحكومة البريطانية ، واتفقت الحكومتان على التعاون معا لبحث وحل قضية اليهود فى فلسطين .

فى هذا الوقت تكونت فى العالم العربى « جامعة الدول العربية » ، وضمت اليها جميع البلاد العربية فى الشرق الأوسط . وكان الشعور عند ذاك أن أية محاولة لحل مشكلة فلسطين على حساب سكانها العرب ستقابل من العالم العربى كله بحرب شاملة من « الجهاد المقدس » ، فان فلسطين مقدسة لا يرضى مسيحيو الشرق أن يضع اليهود أيديهم على مقدساتها ، وهى فى نظر المسلمين جامعة المزارات ومطاف الرسالات للأديان السماوية الثلاثة ، وبالنسبة للفريقين فهى وطن اخوانهم عرب

فلسطين من مسيحيين ومسلمين عاشوا معا جنبا لجنب من فجر التاريخ ، بل ووسعوا معهم فيها أقلية يهودية كان لها فيه كما كان لها فى الاقطار العربية الاخرى مقام موفور وعيش قرير وحرية دينية كاملة .

وتمثل اشتراك الحكومتين الامريكية والبريطانية لبحث هذه القضية فى تكوين اللجنة الانجلو ـ أمريكية من ستة أعضاء بريطانيين ومثلهم من الأمريكيين كما جاء بيانه فى هذا البحث .

وتقدمت اللجنة بالتوصيات الآتية :

أولا ـ هجرة اللاجئين الى فلسطين :

١ ـ أن يصدر فورا اذن يخول اليهود الذين كانوا ضحية اضطهاد النازية وعسف الفاشية دخول فلسطين .

٢ ـ أن تمنح اجازات دخولهم فلسطين هذا العام ان أمكن ، وأن تتم هجرتهم بأسرع وقت تسمح به الظروف .

وكان من رأى اللجنة : أن الأحياء الباقين من الاضطهاد النازى والفاشى الذين أمكن للجنة الاتصال بهم يزيد عددهم على ١٠٠٠٠٠ نسمة ، بل ان عددهم فى المانيا والنمسا وايطاليا وحدهم يفوق هذا العدد . كذلك كان من رأى اللجنة أنه لا توجد بلاد أخرى يمكن للأكثرية الساحقة من هؤلاء اليهود أن يهاجروا اليها سريعا سوى فلسطين ، وأن هذه كانت رغبة أكثريتهم ، لثقتهم أنهم سيستقبلون هناك بالترحاب الذى لايطمعون فى الحصول عليه فى بلد آخر ، فضلا عن أن زعماء الوكالة اليهودية قد أكدوا للجنة أن المهاجرين سيجدون كل عناية ومساعدة وعطف .

وبناء على ذلك أوصت اللجنة فى هذا الصدد « باعطاء مائة ألف ترخيص لدخول فلسطين » . على أن « التنفيذ العاجل لهذا الامر يكون له تأثير عظيم على الموقف برمته » .

وبالرغم من أن اللجنة أدركت أن هذا العدد الوافر من المهاجرين سيكون عبئا ثقيلا على فلسطين فانها قالت «ولكننا على ثقة من أن السلطات المختصة ستحمل ذلك على عاتقها وأنها ستحصل على معاونة الوكالة اليهودية التامة فى حمل هذا العبء، وأن حكومة الولايات المتحدةالامريكية التى أبدت اهتماما كبيرا بهذا الامر ستساهم بقوة وبسخاء مع حكومة بريطانيا العظمى فى العمل على تحقيقه » .

ثانيا ـ لا دولة عربية ولا دولة يهودية :

بالنسبة للبت نهـــائيا (بصفة قاطعة) فى مطالب كل من العرب واليهود بشأن استئثار أحدهما بفلسطين نرى توضيح المبادىء الآتية :

١ ـ لا سيادة للعرب على اليهود ، ولا سيادة لليهود على العرب فى فلسطين ٠

٢ ـ ألا تصبح فلسطين دولة عربية ، ولا دولة يهودية ٠

٣ ـ يجب أن يضمن الشكل النهائى للحكم الذى ينشأ فى فلسطين بضمانات دولية وذلك لحماية مصالح الأديان الثلاثة ، اليهودية والمسيحية والاسلامية فى الأراضى المقدسة على حد المساواة ٠

وعلى هذا الأساس تصبح فلسطين دولة ترعى وتحمى مصالح وحقوق اليهود والمسيحيين والمسلمين على السواء ، وتمنح السكان جميعـا أكبر نصيب من الحكم الذاتى بالشكل الذى يتفق مع المبادىء الثـلاثة السابق ذكرها ٠

ثالثا ـ الانتداب أو وصاية الأمم المتحدة :

ترى اللجنة بوضوح أن العداء المستحكم بين العرب واليهود واصرار كل فريق منهما على السيطرة ولو عن طريق العنف ، يجعل كل محاولة لتأسيس دولة أو دول مستقلة فى فلسطين فى الوقت الحـاضر ، أو بعد فترة من الزمن ، يؤدى الى نزاع داخلى قد يهدد السلام العالمى ٠

لذلك أوصت اللجنة أنه ، والى أن يزول هذا العداء ، يستمر الحكم فى فلسطين على ما هو عليه تحت الانتداب الى أن يتفق على تنفيذ وصاية الأمم المتحدة عليها ٠

رابعا ـ سياسة الهجرة المستقبلة :

ترى اللجنة أنه الى أن تحال فلسطين ـ فى وقت قريب ـ الى منظمة الأمم المتحدة ، وينفذ فيها نظام الوصاية ، تدار فلسطين من قبل الدولة المنتدبة حاليا (بريطانيا) بموجب أحكام نظام الانتداب الذى ينص بشأن الهجرة على « أن ادارة فلسطين مكلفة بتسهيل الهجرة اليهودية فى أحوال ملائمة مع ملاحظة عدم الاضرار بحقوق الطوائف الاخرى ومركزها » ٠

على أن اللجنة أوصت بقبول ١٠٠٠٠٠ مهاجر من ضحايا الاضطهاد

النازى والفاشى بأكبر سرعة ممكنة • أما الموقف بعد دخول هذا العدد ، فلم تستطع اللجنة أن تقدره أو أن تضعقياسا لمعدل الهجرة السنوية بعد ذلك •

خامسا ـ امتلاك الأراضى :

ترى اللجنة الغاء القوانين المتعلقة بانتقال ملكية الاراضى والصادرة فى عام ١٩٤٠، واصدار قوانين تستند الى سياسة حرة فى بيع واستئجار الاراضى أو استغلالها ، دون تفرقة بالنسبة للجنس أو الدين ، مع حماية صغار الملاك والزراع المستأجرين •

(ب) مشروع موريسون لتقسيم فلسطين :

وعلى أساس المبـادىء والتوصـيات التى برزت فى لجنـة التحقيق الانجلو ـ أمريكية، وعلى أساس عدم امكانالتوفيق بين المطامع الصهيونية وبين حقوق السكان الاصليين من العرب ، ممـا لا يترك أملا فى التعاون بينهم يضمن قيام حكومة موحدة، ظهر فى يوليو١٩٤٦ «مشروعموريسون» الذى وضع على أساس تقسيم فلسطين الى أربع مناطق : منطقة عربية ، ومنطقة يهودية ، مقاطعة للقدس ، مقاطعة للنقب •

أما المنطقة اليهودية : فتشمل الجزء الاعظم من مساحة الاراضى التى استقر فيها اليهود ، علاوة على مساحات أخرى بين وحول مستعمراتهم •

مقاطعة القدس : وتشـمل مدينـة أورشليم (القدس) وبيت لحم وضواحيهما المباشرة •

مقاطعة النقب : تتكون من المثلث الواقع جنوبى فلسطين عبر حدود الارض المزروعة ، وهى أرض فضاء غير مسكونة •

أما المنطقة العـربية : فتشمل باقى فلسـطين عدا المنطقة اليهودية ومناطق القدس والنقب •

وتكون الحدود بين هذه المناطق والمقاطعـات حدودا ادارية بحتة ، وتعين الجهة التى يقع فيها المجلس النيابى المحلى للمنطقة أو المقاطعة ، وهو مجلس تخول له سلطة سن القوانين فى أمور معينة • وتعين كذلك هيئة تنفيذية تكون مسئولة عن تطبيق هذه القوانين •

أما هذه الحدود فلن يكون لها صفة أو شكل لا من الناحية العسكرية

أو الجمركية أو المواصلات ، وبعد تعيينها تصبح نهائية غير قابلة للتغيير الا باتفاق بين المنطقتين أو المناطق المختصة ٠

وتخول الحكومات الاقليمية سلطات التشريع والادارة داخل مقاطعاتها فيما تختص بالمسائل ذات الصبغة الاقليمية فقط ، كما تعطى الحق فى تحديد عدد الاشخاص ومؤهلاتهم التى يسمح لهم بالاقامة الدائمة فى أراضى المنطقة ، مع ضمان الحقوق المدنية والمساواة لجميع السكان امام القانون ، كذلك ضمان حرية الانتقال والتجارة بين المناطق ٠ ويكون لهذه الحكومات السلطة فى جمع الاموال اللازمة لقيامها بوظائفها ٠

أما الحكومة المركزية فتنفرد بالسلطة فى وسائل الدفاع والعلاقات الخارجية والرسوم الجمركية والضرائب العامة ، كما يكون لها الحق فى الاحتفاظ بالسلطة فى تطبيق القوانين والمحافظة على النظام بما فى ذلك رجال البوليس والمحاكم وأى أمور أخرى تهم فلسطين بأجمعها ٠

كذلك تستأثر الحكومة المركزية بالسلطات التى لم تمنح للمناطق، ويعين المندوب السامى هيئة تنفيذية من رئيس وزراء ووزراء من بين أعضاء المجالس النيابية بعد استشارة الزعماء ٠

والقوانين التى تقرها المجالس النيابية تستلزم مصادقة المندوب السامى ، ولا تمنع هذه المصادقة الا اذا تعارض القانون المختص مع أداة الحكم المركزى ، حتى يمكن ضمان حفظ حقوق الجميع والمساواة بينهم واقرار السلام فى فلسطين ٠

أما فى حالة الطوارىء أو اذا عجزت حكومة اقليمية عن القيام بتأدية وظائفها الاصلية ، فللمندوب السامى حق التدخل ٠ وكذلك اذا تجاوزت الحكومة الاقليمية حدود وظائفها ٠

ويقوم المندوب السامى فى البداية بمعاونة مجلس تنفيذى يعين أفراده ، بممارسة الوظائف التشريعية والتنفيذية للحكومة المركزية ٠ وكلما اعتبر المندوب السامى أن ذلك أصبح فى حيز الامكان فيرأس الفلسطينيون بعض أقسام الحكومة المركزية ٠

واقترن هذا المشروع بخطة مرتبة لنقل ١٠٠٫٠٠٠ مهاجر يهودى من أوربا الى فلسطين على أن يتم نقلهم جميعا فى مدى اثنى عشر شهرا من بدء عملية الانتقال ، على أن تتولى الهيئات الصهيونية مصروفات نقل واسكان هذا العدد الكبير من المهاجرين الى فلسطين ٠

(ج) مشروع تقسيم ١٩٤٧ :

فى أوائل سنة ١٩٤٧ تأكدت الصهيونية العالمية أن الولايات المتحدة الامريكية ستؤيد قيام دولة يهودية فى فلسطين ، وأيقنت قرب تحقيق أملها وحلمها ، فنشط عملاؤها فى كل البلاد وعلى الأخص فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى بريطانيا حيث كان النفوذ الصهيونى فى الدوائر الحاكمة فى هذين البلدين قد أصبح مسيطرا بل أصبح مسيرا للأمور على حسب رغباته وأهوائه ·

أما بريطانيا ، فقد رأت نية الولايات المتحدة الامريكية واضحة ، كذلك أيقنت الحكومة البريطانية خلال عملائها الصهيونيين أن الأحوال الدولية ستكون فى صالح اليهود اذا ماعرضت القضية على الأمم المتحدة· كذلك كان واضحا أن اليهود فى فلسطين قد أصبح لهم جهاز متمرس بأعمال الحكومة وهو الوكالة اليهودية ، كما أصبح لديهم قوات عسكرية ذات تنظيم ودراية ممثلة فى تشكيلات « الهاجاناه » و « الارجون زفاى ليومى » · وعلى ذلك وتحت ضغط والحاح الصهيونيين فى بريطانيا ، فقد طلب الوفد الدائم لبريطانيا فى الامم المتحدة فى فبراير ١٩٤٧ من السكرتير العام أن يضع مشكلة فلسطين فى جدول أعمال الدورة القادمة للجمعية العامة والتى كانت ستعقد فى خريف ذلك العام ·

ولكن فى ابريل ١٩٤٧ ، كان الموقف فى فلسطين قد أصبح خطيرا جدا ، وتبادل كل من اليهود والعرب الاشتباكات الدامية والغارات المفاجئة ، كما أصبحت القوات البريطانية نفسها ـ برغم انحيازها لليهود ـ عرضة لكثير من أعمال الخطف والاعتداء · لذلك فقد طلبت الحكومة البريطانية دعوة الجمعية العامة الى عقد دورة خاصة لتعيين وتوجيه لجنة من الأمم المتحدة لتعد تقريرا عن فلسطين وعن حكومة المستقبل التى تتولى الأمور فيه ·

وفى الاجتماع الخاص الذى عقد لذلك ، رفضت الجمعية الطلب الذى تقدمت به الدول العربية الخمس أعضاء الأمم المتحدة بانهاء الانتداب فى فلسطين واعلان استقلاله ، وعينت الجمعية لجنة من أحد عشر عضوا يمثلون الدول الحيادية الصغرى لاجراء البحث الذى طلبته الحكومة البريطانية ·

وان الأحداث التى جرت فى هذه اللجنة أو فى الاجتماعات التى عقدتها الجمعية العامة للنظر فى قرار اللجنة ومناقشته ، وكذلك الطريقة التى أمكن بها الوصول الى قرار التقسيم ، أحداث كثيرة حافلة بالغرابة

والمفاجآت ، ولـكنها كلها وليدة ما بذلته المنظمات الصهيونية العالمية فى أروقة الأمم المتحدة فى أثناء انعقـاد جلساتها أو لدى ممثلى الأمم المختلفة ولدى حكوماتهم كبيرها وصغيرها • بل انهم استخدموا الضغط من الحكومة الامريكية نفسها على بعض الدول الأعضاء ليحولوها الى طريقهم •• طريق الغدر والخيانة •

أما عن اللجنة ، فيكفى أن نقول : انها انقسمت على نفسها بخصوص تقسيم فلسـطين أو جعلهـا دولة اتحـادية • وكان رأى الاكثرية تقسيم فلسطين الى دولتين ، عربية ويهودية ، مع وضع مدينتى القدس وبيت لحم تحت نظام وصاية دولى ، وعلى أن تظل المملكة المتحدة (بريطانيا) وحدها أو بالاشتراك مع أعضاء من الأمم المتحدة تدير فلسطين تحت اشراف الأمم المتحدة •

وكان رأى الاقلية تكوين دولة اتحادية ، تكون القدس عاصمتها ، وأن تكون المقاطعتان العربيـة واليهودية كل على حدة متمتعة بحكم ذاتى داخلى •

أما عن اجتماعات الجمعية ومناقشاتها ، فيكفى أن نذكر أن مناقشة التوصـيات استمرت طوال شهرى أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٤٧ • **وكان هذا الوقت الطويل مهلة كافية لتقوم الصهيونية وأتباعها بتحويل مجرى الحوادث الى الغايات التى تقصدها** • وما أن بدأ التصويت فى نوفمبر حتى بذل الصهيونيون آخـر ما فى جعبتهم مسـتخدمين الوعد تارة والوعيـد أخرى ، بل ان وفد « سـيام » الذى صـوت ضـد التقسيم ألغيت أوراق اعتماده • ولا شك أن قوة الصهيونية ونفوذها ظهرا على حقيقتهما فى تلك الحقبـة ، على حين كان ممثلو العرب وان تضافروا قلة أمام أطمـاع دول العالم المختلفة •

وفى النهاية، **عميت ابصار وفود الدول عن الحق والعدالة الواضحين،** وأقرت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين بأكثرية ٣٣ صوتا ومعارضة ١٣ صوتا وامتنع ١٠ مندوبين عن التصويت •

(د) الفرصة الأخيرة :

كانت الفترة التى مرت بين نهـاية شهر نوفمبر عام ١٩٤٧ ويوم ١٤ من مايو عام ١٩٤٨ من أقسى الفترات التى مرت بالعـالم العربى عامة وبشعب فلسطين خاصة •

فما كان اعلان قرار التقسيم واعلان انسحاب القوات البريطانية يوم ١٥ من مايو عام ١٩٤٨ الا انذارا بتسليم فلسطين ومن عليها وما بها من مقدسات وأقوات وأرزاق ، مقدسات العالم وأرزاق شعب فلسطين بل وأجداث آبائهم وأجدادهم الى العصابات الصهيونية لتحقق حلما لا أساس له ولا سند من تاريخ أو دين أو منطق .

بل هو اهدار لحق شعب مكافح سلبته عصابات من اللصوص وطنه وماله وأعراضه وأرواح بنيه أمام سمع وبصر العالم بل وبمساعدته الغاشمة .

وكان من الممكن نتيجة ما قام به عرب فلسطين من أعمال البطولة والتضحية ، أن ينحسر المد وأن تخسر الصهيونية قضية الاثم والغدر فى اللحظة الأخيرة ، لو أن العالم العربى وقتذاك كان قد أعد العدة لمثل هذا اليوم المشئوم . ولكن الاستعمار وأذنابه وألاعيب الصهيونية ودسائسها تمكنت من طمس أبصار عقول وقلوب القائمين بالأمر فى تلك البلاد ، فى الوقت الذى استمرت المؤسسات والمنظمات الصهيونية فى العالم أجمع تبذل الجهود الجبارة فى جلب السلاح والعتاد والجنود والضباط المرتزقة من شتى البلاد وأن تدخلهم الى فلسطين تحت سمع وبصر الانجليز .

أما القائمون على أمور البلاد العربية ، فأضاعوا الفرصة والوقت الثمين فى كلام لا طائل تحته دون أن يعبئوا مقدراتهم ويهيئوا قواتهم لملاقاة هذا اليوم العصيب وذلك العدو الجبار .

أما الانجليز ، فقد أتاحوا لليهود فى فلسطين فرصة ذهبية بقرارهم وقف الادارة المدنية وتصفيتها اعتبارا من أول مارس ١٩٤٨ وتحويلهم المندوب السامى البريطانى الى حاكم عسكرى ، وبدأت قواتهم تنكمش من المناطق اليهودية ليصبح للأخيرين فيها حرية العمل والتنظيم والمبادأة ، وليمكنهم وضع أيديهم على المرافق العامة والموانى والمطارات والمنشآت ، وأن يفتحوا الطريق للسفن القادمة اليهم بالرجال والعتاد . وفى الوقت نفسه ظل الانجليز يحتلون المناطق العربية قابضين على زمام ادارتها معوقين من فيها عن الاستعداد لليوم الكبير ، يحرمونهم فرصة الحصول على السلاح أو اجراء التحركات الا ما ندر تحت اسم الاحكام العسكرية .

وبالرغم من كل ذلك ، فقد وصلت أخبار المقاومة العربية وأخبار الثورة فى فلسطين الى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، حتى ان المندوب الأمريكى تقدم فى ١٩ من مارس ١٩٤٨ باعلان سحب حكومته لتأييد

التقسيم لاقتناعها أنه أمر لا يمكن تنفيذه الا بقوة السلاح مما لا توافق عليه الحكومة الأمريكية • واقترح وضع فلسطين تحت الوصاية واعادة القضية برمتها ثانية الى هيئة الأمم لاعادة النظر فيها ، على أن يدعى العرب واليهود الى عقد هدنة سياسية وعسكرية انتظارا للنتيجة • وقد وافق المجلس على ذلك • ولكن سرعان ما انقلب ميزان القوى الى جانب اليهود الذين تمكنوا من نشر الذعر والفزع بين السكان العرب العزل بمذابحهم الوحشية وهجماتهم الغادرة على القرى الآمنة ، كما حدث فى قرية «دير ياسين» التى تقع على مشارف القدس فى القطاع الذى كان مزمعا تدويله ، مما فت فى عضد الأهالى ونشر موجة من الذعر عمت فلسطين كلها ونتج عنها أن ترك الكثيرون قراهم وديارهم ولجأوا الى المناطق التى كانت تحميها قوات المناضلين العرب تاركين الكثير من الأرض والخيرات دون أن تطلق فى سبيل الدفاع عنها طلقة واحدة أو يصد المعتدى عليها مقاتل •

وكان « الملك عبد الله » ملك شرق الاردن قد اتفق فى « لندن » أن تدخل قواته لاحتلال المناطق المخصصة للعرب فى خطة التقسيم لتوسيع ملكه باعتبار « أن فلسطين والأردن بلد واحد ففلسطين هى الساحل والأردن هى الأراضى الداخلية لنفس البلد » كما جاء على لسان وفد الملك عبد الله فى اجتماع العرب فى القاهرة فى أبريل ١٩٤٨ • وبذلك يكون « الملك عبد الله » قد رضى بالتقسيم وأقره ، بل وأخذ نصيبه من فلسطين حذوه فى ذلك حذو اسرائيل •

وفى صباح ١٥ من مايو ١٩٤٨ ، دخلت الجيوش العربية فلسطين بعد أن كانت قوات المقاومة العربية فيها قد أصبحت على وشك الانهيار لقلة عددها وعدتها •• ويمكن أن تلخص هذه المأساة الكبيرة الدامية فى كلمات قليلة • فان الحقيقة أن ما دخل فلسطين فى صباح ذلك اليوم من الجيوش العربية لم يتعد قوات صغيرة من الجيش المصرى غير مكتملة العدة أو التسليح أو الحملات ، دخلت عن الطريق الساحلى الى رفح وخان يونس ومن ثم الى غزة دون أن يكون لديها المعلومات الوافية الواجبة عن مستعمرات العدو أو قواته التى اعتبرت عصابات ضئيلة لا خطر منها ولا حول لها •

وبالرغم مما أبدته تلك القوات ، ومن انضم اليها بعد ذلك من متطوعى السودانيين ومن المجاهدين من عرب شمال افريقية وبعض القوات السعودية ، الا أن كل تلك القوات كانت ضئيلة ، ناقصة التسليح والتدريب • وبرغم ذلك كله فقد بذلك تلك القوات أشرف البذل وسطر

الرجال ضباطا وجنودا آيات رائعة من البطولة والتضحية • ولـكن ••
كان الاستعمار حريصا على النهاية كما رسمها وكانت الخيانة مبيتة
للعرب • ولا يمكن أن يكتب تعليق أو ترسم نهاية لتلك الأحداث الدامية
أعمق ولا أجلى مما وصفها به « الميثاق » بقوله : « **ان سخرية القدر من
الأمة العربية وصلت الى حد ان جيوشها التى دخلت فلسطين لتحافظ
على الحق العربى فيها كانت تحتالقيادة العليا لأحد العملاء الذين اشتراهم
الاستعمار بالثمن البخس • بل ان العمليات العسكرية تحت هذه القيادة
العليا كانت فى يد ضابط انجليزى يتلقى أوامره من الساسة الذين
أعطوا للحكومة الصهيونية وعد بلفور الذى قامت على أساسه الدولة
اليهودية فى فلسطين** » •

الباب الخامس

الدولة اليهودية

(أ) اعتداء الصهيونية :

فى القرن الأول الميلادى ، وفدت قبائل من أصل تترى من آسيا الى مناطق شرق أوربا عن الطريق البرى المار شمالى بحر قزوين واستقرت غرب جبال الأورال وشمال البحر الأسود وامتدت أراضيها الى الغرب فى أوربا فى منطقة واسعة ، وعرفت تلك القبائل يومئذ « بمملكة الخزر » ، وكانوا فى بداية عهدهم واستقرارهم قبائل وثنية صناعتها الغزو والفتح. واستطاعت هذه الدولة بشدة بأسها وسطوتها أن تسيطر على أكثر من عشرين شعبا ممن غزتهم .

وفى نهاية القرن السابع الميلادى تقريبا ، اعتنق أهلوها الدين اليهودى وتكونت دولة يهودية عاشت منتعشة قوية الجانب مدى خمسة قرون تقريبا فى تحالف مع جارتيها القويتين الامبراطورية الفارسية والامبراطورية البيزنطية الشرقية ، الى أن بدأت فى نهاية القرن العاشر الميلادى قبائل « الفارنجة » مهاجمتها قادمة اليها من الشمال (روسيا). وتحت توالى هذه الهجمات بدأت مملكة « الخزر » فى الاضمحلال وضاعت أخيرا وضاع شعبها فى خضم الدولة الروسية ، ولعل ذلك سببا فى أن عددا كبيرا من أهالى جنوب الروسيا لايزالون يدينون باليهودية .

وفى القرون التالية أصبح جزء كبير من هذا الشعب ضمن أهالى الدول التى تكونت بالاقتطاع من الامبراطورية الروسية كبولندا ، ولتوانيا ،

ورومانيا ، وغاليسيا (التى عاد الاتحاد السوفيتى أخيرا الى إعادة ضمها اليه) •

ومنذ ذلك الوقت وحتى القرن العشرين تقريبا ظلت منطقة جنوب الروسيا جامدة بالرغم من الصراع العنيف الذى دار بين الامبراطوريتين الروسية والعثمانية فى تلك المناطق وظلت مقرا لكل الذين كان أسلافهم أصلا من مملكة الخزر اليهودية • وقد أشار « دزرائيلى » مرة الى ذلك بقوله : ان اليهود شعب قوقازى حسن الاعداد والتنظيم • وأخيرا ، لعب الاستعمار بكل أشكاله وصوره بما فى ذلك الاستعمار الصهيونى على مساعدة هؤلاء التتار على غزو فلسطين وانشاء « الدولة اليهودية » الجديدة به منتحلا لوجودها فيه حقا يستند الى أساطير دينية وارتباط تاريخى تارة وباسم الانسانية تارة أخرى •

أما عن الأسانيد الدينية والتاريخية ، فمطعون فيها ولا تستند على أساس ثابت صريح، ولم يوجد فى فلسطين كله نقش واحد أو أثر أو حجر (عدا حائط المبكى الذى يقول عنه اليهود انه جدار المعبد الذى بناه سليمان) (١) يمكن أن يعتبر دليلا على مثال الأدلة التى توجد عادة وتنبىء عن ارتباط الشعوب بالاراضى التى سكنوها قديما • فى حين أنه ثابت فى التاريخ وبآثار ناطقة ، أن العرب قد أجلوا الرومان عن هذه المنطقة وضموها اليهم وعاشوا فيها منذ أكثر من ألف عام مع اخوانهم الذين كانوا يسكنونها اذ ذاك والذين كانوا يمتون لهم بصلات من القرابة والجوار •

أما عن الانسانية فانها لا ترضى تحت ستار من اسمها الكريم أن يسمح لشراذم متفرقة تضم مختلف الجنسيات والحضارات واللغات أن تطرد شعبا منظما موحدا من الأرض التى أقام فيها منذ فجر التاريخ •

وليس أدل على خطأ هذا الحق بشطريه ما حدث فى أول مؤتمر صهيونى تم عقده فى « بازل » بسويسرا لوضع أسس الحركة الصهيونية

---

(١) بنى سليمان بيت الرب فى السنة الاربعمائة والثمانين لخروج بنى اسرائيل من مصر وفى السنة الرابعة لملكه نحو ١١٠٢ ق • م • (الملوك الأول ٦ : ١) وبناه فى سبع سنين (الملوك الأول ٦ : ٢٨) وأحرق بالنار فى السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذناصر ملك بابل الذى سبى يهوذا ، وكذلك حرقت بالنار جميع أسوار أورشليم (الملوك الثانى ٢٥ : ر١٠) نحو ٥٨٨ ق • م •

اذ دعا « ثيودورهرتزل » (الى استعادة الأرض التي لا سكان لها للسكان الذين لا أرض لهم) · بل ونكرر هنـا أن « هرتزل » هذا نفسه كاد أن يوافق عام ١٩٠٣ علىالاقتراحالذى كانت قد تقدمت به الحكومة البريطانية بجعل « اوغندا » وطنا قوميا لليهود · ولكن كان موقع فلسطين الجغرافى والاستراتيجى قبـلة أنظار اخوانه فى الحركة الصهيونيـة ممن يحلمون بالسيطرةعلى العالم فى يوم منالأيام فأرغموه على رفض «اوغندا» والاصرار على اختيار فلسطين ·

والصهيونية العـالمية برغم قـلة عدد اليهود فى العـالم (لا يزيد تعـدادهم عن ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسـمة) ، وبالرغـم من أن بعض اليهود يناهضون أهداف الصهيونية السياسية ، تمد شباكها فى كل أنحاء العالم مرتكزة على ما يملكه اليهود من ثروات موزعة فى مختلف الاقطار · كذلك فهى تربط بين الأقليـات اليهودية فى دول العـالم كله برباط سرى من التآمر والتواطؤ يجعلها قادرة أن تحرك خيوط مؤامراتها فى كل الدول بما يتفق مع مصالحها مهما اختلفت سياسات وأغراض تلك الدول · ومن الغريب أن معظم الحركات الكبرى التى غيرت وجه التاريخ فى دول كثيرة، بل وأثرت على سير الحضارة والمدنية والاتجاهات الاقتصـادية فى العالم أجمع · كانت دائمـا من تدبير ورسم الصهيونيـة ، بل انه يعزى اليها العمل على اشعال نار الحربين العالميتين اللتين اصطلى العالم كله نيرانهما، كما يعزى اليها النتيجة النهائية لهاتين الحربين ·

ومما لا شك فيه أن دول العالم كله على مر العصور والأزمان كانت تحس بهذه التدبيرات وتلك المؤامرة ، ومن ثم كانت الاضطهادات تلاحقهم دائما فى كل مكان وزمان ، فى مصر الفرعونية ، وفى شـبه الجـزيرة العربية أيام ظهور الاسـلام ، وفى البرتغـال واسبانيا فى عصر محـاكم التفتيش المسـيحية ، وفى روسـيا وبولندا ابان الحـكم القيصرى ، وفى النمسا والمجر ودول وسط أوربا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، وفى انجلترا نفسها فى عهد ادوارد الأول ، ثم أخيرا فى المانيا وايطاليا تحت الحكمين النازى والفاشى · وبرغم كل ذلك ، فان الصهيونية كانت تنقل مراكز قوتها من دولة الى أخرى لتتفادى تلك الضربات ولتدبر خططها متابعة سياستها العدوانية كما تنتقل أوجاع الروماتيزم المفصلى الحاد من مكان الى آخر فى الجسم المريض به ·

(ب) دور الكتلة الشيوعية :

ان الشيوعية ليست غريبة على الصهيونية « فلينين » جرت فى عروقه الدماء المغولية «وكارل ماركس» أبوه يهودى فى الأصل كان اسمه « مردوخ » هجر اليهودية الى المسيحية لأسباب سياسية عندما كان كارل صغيرا • كذلك ستالين فهو قوقازى من ولاية جورجيا •

ولعله ليس من المصادفة أن يصدر « وعد بلفور » الى اللورد «روتشيلد» أحد كبار زعماء المال اليهود فى الشهر الذى وقعت فيه الثورة فى روسيا ضد الحكم القيصرى • وقد قيل فى ذلك الصدد أن وعد بلفور صدر لاعطاء اليهود أملا يدفعهم الى ابقاء روسيا القيصرية فى الحرب الى جانب الحلفاء ، ولعل الوعد المشئوم صدر لابقاء (روسيا ما بعد الثورة) في الحرب الى جانب الحلفاء طبعا •

ولهذا قامت الكتلة الشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى بمساعدات كبيرة **فى خلق وايجاد الدولة اليهودية فى فلسطين عند بدء قيامها •**

عندما عرض مشروع تقسيم فلسطين فى الامم المتحدة عام ١٩٤٧ أيدته الكتلة الشيوعية ، وكان الاتحاد السوفيتى يساعد على أن يحوز المشروع الاغلبية المطلقة •

وفى ديسمبر عام ١٩٤٨ عندما تقدمت « اسرائيل » بأول طلب لها للانضمام الى عضوية الأمم المتحدة وليعترف بها وبحقها كدولةمستقلة ذات سيادة ، أيد الاتحاد السوفيتى هذا الطلب • ولولا أن بريطانيا امتنعت عن التصويت (لسبب غير معروف) لفازت «اسرائيل» بالعضوية فى ذلك الوقت •

وفى ربيع عام ١٩٤٩ عندما تقدمت « اسرائيل » بطلبها مرة ثانية لنفس الغرض أيدها الاتحاد السوفيتى فى هذه المرة أيضا وتمكنت اسرائيل من الحصول على عضوية الامم المتحدة •

أما فى مشكلة « تدويل القدس » فقد كان للاتحاد السوفيتى موقف غير ثابت وغير مفهوم• ففى البداية أيد الاتحاد السوفيتى تدويل القدس، ولكن عند اجتماع الجمعية العامة عام ١٩٥٠ ، غير الاتحاد السوفيتى موقفه الأول وعارض التدويل مما جعل هذه المشكلة معلقة حتى الآن •

وفى عام ١٩٤٨ وفى أثناء القتال الذى دار بين الدول العربية وبين

القوات الصهيونية سمحت روسيا للمصـــانع التشيكية بامداد القوات اليهودية بكثير من احتياجاتها الحربية من أسلحة وذخائر وطائرات ·

وبالرغم من أن الاتحاد السـوفيتى يقف موقفا طيبـا من العرب فى الفترة الأخيرة ويرفض التعامل مع « اسرائيل » وهجرة اليهود منه ، فانه والكتلة الشيوعية الدائرة فى فلكه لايزال يعتبر امدادا بشريا قريب المنال ليهود فلسطين · فمجموع اليهود فى مجموعة الاتحاد السـوفيتى ودول الكتلة الشيوعيـة الآن يبلغ قرابة ثلاثة ملايين وربع المليون ، منهم ثلاثة ملايين تقريبا فى الاتحاد السوفيتى وحده ·

(ج) دور الاستعمار الغربى :

حوى هذا البحث تطورات ممالأة الاستعمار الغربى للدولة اليهودية منذ بداية التفكير فى احلالها فى فلسطين الى أن أمكنها اعلان وجودها ، برغم ما بذله العالم العربى لدول الغرب ولبريطانيا خصوصا خلال الحربين العالميتين · ولـكن دول الغرب (وخصوصا بريطانيـا) ما كادت تخرج منتصرة من الحرب الاخيرة حتى كانت تقدم فلســطين الى مخالب الاطماع الصهيونية· ولايعوزنا دليل على أن السبب فى ذلك هو أن النفوذ الصهيونى فى العالم الغربى استطاع أن يضع حكومات بل وبعض حكام تلك الدول تحت كامل سيطرته ، كما استطاع أن يسير السـياسة الخارجية لدول الغرب فى هذه المشكلة الوجهة التى تحقق المطامع الصهيونية ·

وما أن نبتت « الدولة اليهودية » فى فلســطين ، حتى عمل الغرب على مساندتهـا والمحافظة عليها بكل المســاعى والوسائل ، كمـا حارب الحصار الاقتصادى الذى فرضه العـالم العربى عليها بما سهله لهـا من تعويضــات فرضت على ألمانيا ، وبما سمح لليهـود ومنظماتهم بجمعه من تبرعات أخذت من الشعوب الغربيـة ، وبما قدمتـه حكومات تلك الدول الأخيرة من قروض ومساعدات الى « الدولة اليهودية » بلغ أضعاف ما نالته الدول العربية جميعها ، مع الفارق الشاسع بين تعداد سكان الفريقين وبين مساحة أرضيهما ·

أما فى السياسة الدولية ، فقد تذرع الغرب بكل الحيل الاستعمارية وبالترغيب والارهاب والخداع ليبقى على «الدولة اليهودية» ويثبت أقدامها فى فلسطين كما سيأتى شرحه ·

فدفع « بالملك عبد الله » ، ومعركة فلسطين لمـا تبدأ ، الى الاكتفاء

من الحرب بضم المنطقة الشرقية من فلسطين الى شرق الأردن لتختفي بذلك معالم فلسطين ولا يبقى منه الا أراضي « الدولة اليهودية » ٠

ثم أوقع الشــقاق مرارا بين الدول العربيــة وبين بعضها ــ برغم انتظامها في جامعة الدول العربية ــ بما أغرى به بعض الحكام من سراب كاذب ليفرق كلمتهم ويوهن عزيمة الباقين ٠

وحرض « نورى السعيد » عميــل الاســتعمار الغربى فى العراق بالتلويح « للأردن » بما أسماه مشروع الهلال الخصيب لينضم اليه كبداية لمشروع « سورية الـكبرى » ، واستطاعت مصر أن تفوت على الاستعمار وعلى « نورى السعيد » هــذه الحيلة فقــدمت الى جامعــة الدول العربيــة « مشروع الدفاع العربى المشترك » الذى وقع في ابريل ١٩٥٠ ٠

وفي مايو ١٩٥٠ عقب اعلان توقيع معاهدة الدفاع العربى المشترك سارعت الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، وفرنسا باصدار بيانهم المعروف « بالبيان الثــلاثي » ليضمنوا سلامة « اسرائيل » ، ولــكن هذا البيــان فتح بابا فى مشكلة فلسطين ، اذ لم يجعل من « الأمر الواقع » حلا نهائيا للمشكلة ٠

وفي اكتوبر ١٩٥١ تقدمت الولايات المتحــدة الامريكية بمشروع « منظمة الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط » مشركة بريطانيا وفرنســا وتركيا (وثلاثتهم بينهم وبين « اسرائيل » اتفاقيات أخرى) في واجب الدفاع عن المنظمة ، وجعلتــه مرتكزا على قوات تلك الدول في الأراضى المصرية ٠ ولكن الرئيس جمال عبد الناصر الذى كان يرى في بقاء قوات بريطانيا في الاراضى المصرية عارا وعبئا وحاجزا صــــناعيا رفض هذا المشروع رفضا باتا ٠ بل ووقع في اكتوبر ١٩٥٤ معاهدة جــلاء القوات البريطانية عن قناة السويس وأزال عار الاحتلال البريطانى لمصر وأزاح الحاجز بين القوات المصرية وبين « الدولة اليهودية » ٠

وفي أوائل ١٩٥٥ أعلن اعتزام نورى السعيد ربط العراق بتركيا في معاهدة دفاع مشتركة سميت « حلف بغداد » ودعيت الدول العربية التى ترغب الاشتراك فى هذا الحلف للانضمام اليه ٠ فأحدث المشروع في تكوين هذا الحلف بلبلة وانقساما بين الدول العربية ولما أحست مصر بخطورة هذا الحلف على القضايا العربية ، دعت الى عقد اجتماع طارىء لجامعة الدول العربية لمنع تنفيذ هذه المعاهدة ، ولكن نورى السعيد انفصل بالعراق عن معاهدة الأمن التابعة لجامعة الدول العربية مما نتج عنه أن

أصبحت فى فبراير عام ١٩٥٥ معاهدة الدفاع العربية غير قائمة ، فعقدت معاهدة جديدة بين مصر وسورية وانضمت اليها كل من المملكة العربية السعودية واليمن ٠

وبرغم انضمام بريطانيا لحلف بغداد بعقد المعاهدة الانجليزية - العراقية في ابريل عام ١٩٥٥ فقد تجمد « حلف بغداد » ٠ وحاول الانجليز ربط الأردن بحلف بغداد بما سمى « مشروع تمبلر » ولكن يقظة الشعب الأردني ومقاومته « مشروع تمبلر » قضتا على هذه المحاولة٠ وأخيرا وبقيام ثورة العراق فى يوليه عام ١٩٥٨ انتهى الحلف نهائيا لانسحاب العراق منه ٠

وبالرغم من الاعتداءات المتكررة التى قامت بها قوات « الدولة اليهودية » غدرا على بعض المواقع المصرية ، وأخصها ما وقع فى قطاع « غزة » فى ٢٨ من فبراير عام ١٩٥٥ لارغام مصر على الدخول فى محالفات عسكرية ، فان الرئيس جمال عبد الناصر أصر اصرارا قاطعا على عدم الدخول في أحلاف عسكرية ، وأصر على آن الدفاع عن المنطقة ينبع من داخلها فى نطاق الدول العربية وحدها ٠

فى أغسطس عام ١٩٥٥ ألقى مستر « دالاس » وزير خارجية أمريكا خطابا أمام مجلس الشئون الخارجية تناول فيه مسألة تسوية مشاكل اللاجئين العرب والحدود بين الدول العربية و « الدولة اليهودية » ومياه نهر الاردن ٠ وقد رأت الدول العربية أنه بهذا الخطاب يحاول الانضمام الى « الدولة اليهودية » فى التخلص من قرارات الأمم المتحدة وتجاهل قرار مؤتمر باندونج المطالب بتنفيذ هذه القرارات ، ولاعادة قضية فلسطين الى أيدى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومن يشايعهما بعد أن خرجت الى النطاق العالمى الواسع ٠ وأخيرا فهو يسعى الى تقرير نوع من السيطرة للغرب على منطقة الشرق الأوسط ٠

عادت « الدولة اليهودية » الى اعتداءاتها باجتياز خطوط الهدنة واحتلت فى ٢٢ أغسطس موقعا داخل القطاع المصرى ٠ وفى أواخر أغسطس ، قامت باعتداء آخر على « خان يونس » ، وطبعا كان الغرض من هذه الاعتداءات وخصوصا الأخير منها أن تدخل « الدولة اليهودية » فى محادثات مع الحكومة المصرية بغية الانتقال بالهدنة وحالة الحرب الى حالة سلم واستقرار ٠

وعقدت « الدولة اليهودية » صفقة أسلحة فى فرنسا تضمنت

الدبابات وطائرات « مستير » ، وطلب الرئيس جمال عبد الناصر السلاح من الولايات المتحدة الأمريكية لتعزيز القوات المصرية ومواجهة العدوان اليهودي وللدفاع عن المنطقة بوساطة القوات العربية ، ولـــكن الولايات المتحدة الأمريكية رفضت الطلب ، ولما أبدى لبريطانيا رغبته فى شراء بعض الأسلحة لنفس الغرض رفضت كذلك ، فاتجه الى الكتلة الشرقية وعقد صفقة أسلحة تشيكية فى أواخر اكتوبر وأوائل نوفمبر ١٩٥٥ ، وأسمى سيادته هذه الصفقة « كسر احتكار السلاح » •

فى ٩ من نوفمبر ١٩٥٥ القى مستر « انتونى ايدن » وزير خارجية بريطانيا بيانا فى دار البلدية فى لندن ملوحا بمشروعات الرى التى يعدها « جونستون » الامريكى لمصلحة العرب واسرائيل وباستعداد بريطانيـــا وأمريكا لبذل مساعيهما فى انهاء مشكلة الحدود بين الدول العربيـــة « والدولة اليهودية » على أساس التوفيق بين قرارات الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ وبين « الامر الواقع » على حسب الموقف فى الهدنة عام ١٩٤٩ ، وقال فى هـــذا البيان « أطلب من أصـــدقائنا من العرب والاسرائيليين أن يولونا ثقتهم » • وطبعا كان طلب ثقة العرب فى الاســـــتعمار الغربى وخصوصا فى بريطانيا بعد كل ماحصل مطلبا عسير المنـال • بل مناورة لايمكن لعربى أن يطمئن اليها وخصوصا بعد الاعتداء على المواقع العربية فى « خان يونس » • ولعل هذه الكلمات سيقت كمحاولة لجس النبض أو لتهدئة موقف العرب أو لعلها محاولة جديدة لتغطيـــــة موقف « الدولة اليهودية » بعد اعتدائها الأخير •

ولما لم يجد بيان « ايدن » قبولا من العالم العربى قامت « الدولة اليهودية » باعتداء كبير فى ١١ ، ١٢ من ديسمبر عام ١٩٥٥ على الأراضى السورية على طول المنطقة الشرقية «لبحيرة طبرية» ، فأعلن الرئيس جمال عبد الناصر أن مصر تعتبر أن الاعتداء على الاراضى السورية وكأنه واقع على الأراضى المصرية • وعند نظر شكوى سورية من هذا الاعتداء فى مجلس الأمن ، بات واضحا رغبة الدولة اليهودية فى جر ســــورية الى الاعتراف بحقوق « اسرائيل » فى بحيرة طبرية ولتحديد الحدود بينهما لتصـــــبح حدودا دولية وليست خطوطا للهدنة ولتضطر سورية الى طلب تصاريح لصياديها بصفة رسمية من « الدولة اليهودية » يباشرون بمقتضاها الصيد فى البحيرة ، وتبتعد سورية عن فكرة حالة الحرب القائمة بينهـــا وبين « الدولة اليهودية » مما يطمئن الاخيرة على أحد قطـــاعات حدودها مع العرب •

وفى فبراير عام ١٩٥٦ صدر بيان فى « واشـــنطن » من الرئيس « ايزنهاور » والمستر « ايدن » عن الشرق الأوسط أشير فيه الى البيــان الثلاثى عام ١٩٥٠ · وأعلنا فى بيانهما هـــذا أن حكومتيهما مستعدتان للمساهمة فى حل مشكلة اللاجئين بتقديم المساعدات المالية وباعطـــاء الضمانات اللازمة بشأن الحدود التى يتفق عليها بين الدول العربيـــة « والدولة اليهودية » ·

وفى مارس عام ١٩٥٦ صرح الرئيس « ايزنهاور » فى مؤتمر صحفى أن أمريكا وانجلترا تعتقدان أنه من الممـــكن كفالة الســـلام فى الشرق الأوسط عن طريق تزويد « اسرائيل » بالأسلحة لأن سكانها أقل بكثير من العرب · بكل هذا ، وحتى ذلك الوقت يكون الغرب قد حاول مرارا انهاء مشكلة فلسطين واقرار الدولة اليهودية وتأمين حدودها وتثبيتهـــا واستقرار الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط بما يتفق وســـياستهم الاستعمارية نحو المنطقة ، ولكنه منى بفشل متكرر فى الحصول على غاية واحدة من غاياته هذه ، فقد فشل البيان الثلاثى ، وفشلت محاولة انشاء منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط ، وفشل حلف بغـــداد ، كما لم تأت الرحلة التى قام بها « سلوين لويد » الى الشرق الأوسط والبحرين بفائدة بل انعكست فيها صورة لمشاعر غضب العرب على كل من يمثل الاستعمار الغربى ، وأخيرا فشل وزير خارجية فرنسا فى منع مصر من مساندة ثورة الجزائر التى كانت تحارب من أجل استقلالها وتكلف فرنسا خســـائر فادحة برغم أعمال الوحشية التى كانت تباشرها القوات الفرنســـية فى تلك البلاد · أما الاعتداءات المتكررة التى قامت بها « الدولة اليهودية » على حدود الدول العربية المحيطة بها فى مصر وسورية والأردن فلم يكن لها ثمرة الا أن أظهرتها أمام دول العالم فى مجلس الأمن بمظهر المعتدى الاثيم ·

وفى الوقت نفسه ، نجح العرب ، ليس فى تحطيم مناورات الاستعمار الغربى ومحاولاته ، بل أمكنهم أيضا الحصول على الســـلاح من الـــكتلة الشرقية وبدءوا يتدربون على استخدامه (كان الجيش الانجليزى قد جلا نهائيا عن قاعدة القناة فى ١٨ من يونية ١٩٥٦) ، كما أمكن ابعاد «جلوب» عن الجيش العربى الأردنى · كذلك كان اعتراف حكومة مصر بالصـــين الشعبية ، وفوز العرب فى اقرار مبدأ الحيـــاد الايجـــابى فى « مؤتمر باندونج » للدول الآسيوية الافريقية وأخيرا ، عندما ســـحبت أمريكا وانجلترا معا اتفاقهما باقراض الحكومة المصرية لتنفيذ مشروع « الســـد

العالى » ، أعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٦ من يولية عام ١٩٥٦ تأميم قناة السويس ليمكن لمصر أن تبنى سدها من فائض عوائد قناتها ٠

كان الفشل الذريع المتكرر يجثم على قلوب المستعمرين وكان نجاح العرب يزيد من قــوتهم وتصــــميمهم ويقصر الطريق أمامهم لبلوغ أهدافهم الشريفة ، ولكن ضربة تأميم القناة كان لها وقع هائل ودوى ، ليس فى العالم العربى الذى قابلها بالدهشة والاستبشار ، بل فى العالم أجمع الذى رأى هيبة الغرب ممثلة فى « بريطانيا العظمى » و « فرنسا » تهوى الى الحضيض ، وخصوصا فى منطقة الشرق الأوســـــط وفى قارة افريقية ٠ كما أصبحت الدولة اليهودية تشـــعر بقلق كبير بلا حام أو نصير ٠

وركبت بريطانيا وفرنسا رأســـيهما وسحبتا « اسرائيل » فى أذيالهما وبدأ ثلاثتهم يعدون العدة للخلاص من القوات المسلحة المصرية قبل أن تبلغ مداها ، ومن الحكم القائم فى مصر الذى وقف عن حق عقبــة كأداء فى سبيل تحقيق أطماعهم الاستعمارية فى المنطقة ، والذى وضعهم فى النهاية موضع الامتحان العسير ٠ وبالرغم من أن قضية القناة كانت تنظر فى مجلس الأمن وتتبادل بشأنها مذكرات قانونية حتى جلسة ١٣ من اكتوبر ١٩٥٦ ، فقــــد تحركت فى ٢٩ من اكتوبر « قوات الدولة اليهودية » عبر حدود مصر الشرقية ، فهبت لها القوات المسلحة المصرية ، ولقنتها درسا فى فنون الحرب والقتال جعلها تقف متخبطة فى أوحــال المعركة التى بدأتها ٠ واذا بأبواب الخديعة تفتح بانذار توجهه كل من بريطانيا وفرنسا لسحب القوات المصرية ١٠ أميال وراء القنال فى ظرف ١٢ ساعة من وقت الانذار ٠ وكان هذا الانذار عجيبـــــا من الوجهـــــة الاستراتيجية ولا يمكن تنفيذه تبعا للأوضاع الحربية ، ولكنه كان العذر الذى تذرعت به «الدولتان العظيمتان» لتطلقا قواتهما العسكرية المجهزة للانقضاض على مصر ٠ ووقف الرئيس جمال عبد الناصر كالطود الراسخ ووقف من ورائه شعب مصر الخالد ، واصطفت تحت رايتهما شعوب العالم العربى ، بل وجميع شعوب العالم المحبة للحق والحرية والسلام ٠ وبالرغم من عدم تكافؤ القوات المتقاتلة وخصوصا فى الجو والبحر ، فلم يمــكن القوات المعتدية أن تحرز تقدما حيويا ، وسارع الرئيس جمال عبد الناصر باصدار أوامره للقوات المصرية الرئيسية بالانسحاب الى الدلتا وتغطيــة مداخل القاهرة حيث أعد عدته للمعركة الكبرى ٠ وتدخلت الــــولايات المتحدة الأمريكية لوقف القتال ، كما قدم الاتحاد السوفيتى تحذيرا شديدا

وصل حد الانذار الى بريطانيا بالتدخل ضد الجزر البريطانية اذا لم يوقف الهجوم على مصر ، فوقف ثم انحسر . واتضح للانجليز والفرنسيين فى فترة المعركة أن ماكانوا يتوهمونه عن الأحـــوال فى الوطن العربى الذى مارسوه فى الماضى قد تغير ، فقد قوبلوا بأعمال عدائية فى كل منطقـــة الشرق الأوســـط العربية بما له من تأثير مبــاشر على مجهودهم الحربى والاقتصادى . أما فى مصر ، فبالرغم من النداءات الوضيعة التى أذيعت من قبرص على المصريين ، فانهم كانوا قد انصهروا فى بوتقة ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ، ولم يبق فى مصر ملك يعمل بوحى الاستعمار أو شعب تائه . بل كانت مصر قيادة وجيشا وشعبا تربطهم جميعا غاية واحـــدة ورباط مقدس هو حماية الوطن وافتداؤه . وثبتت مصر بشعبها وبقواتها المسلحة وراء قائدها العظيم الى أن انجابت الغاشية وخرج المستعمر الغاشم يجر أذيال الخزى والعار ، وخرجت « اسرائيل » فى عقبه تحمى ظهرها قوات الطوارىء الدولية حتى لاتأخذها ثورة المصريين لكرامتهم وعز بلادهم بما أذنبت . وفى أثناء انسحاب القوات اليهودية أرادت الدبلوماســـية الاسرائيلية أن تستغل وجود قواتها فى قطاع غزة وفى شرم الشـــيخ لتحصل نظير سحب هذه القوات من هاتين المنطقتين على مساعدة الغرب لها فى حق المرور فى قناة السويس وخليج العقبة وممرات تيران ، أو أن تضمن لها خطوط هدنة عام ١٩٤٩ كحدود ثابتة ، ولــكن العالم الغربى كله كان يصلى حماقة الاعتداء الغاشم ، بل كان العــــالم كله ينــدفع بسرعة نحو ويلات حرب شاملة مدمرة قد تستخدم فيها الأسلحة الذرية. وبالرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية وقفت الى جانب بريطانيـــا وفرنسا أمام التهديد السوفيتى ، فانها لامتهما أشد اللوم على ما أسمته سياسة التهور والحمق التى ارتكبتاها ضد مصر . كذلك لقيت الحكومتان البريطانية والفرنسية من العالم أجمع ، بل ومن شعوبهما (وخصوصا فى انجلترا) الانتقاد اللاذع واللوم الشديد فى الصحافة وفى دوائر الحكم . وتوارى « انتونى ايدن » و « جى موليه » اللذان دبرا هذه المهزلة الشريرة عن مسرح السياسة الى الأبد ، ولم يتحقق غرض واحد من أغراض الاعتداء الغاشم ، فلا القناة عادت الى سيطرة الاستعمار ، ولا « اسرائيل » وقعت صلحا مع العرب أو حتى تحددت حدودها نهائيا أو أمنت على نفســـها كر العملاق فى جولة تالية .

أما قطع أنابيب بترول الشرق فى سورية والعراق ، واعلان المملكة العربية السعودية عن ايقاف تقديم بترولها الى بريطانيا ، وكذلك ســـد قناة السويس ، فقد جعل أوربا ــ وبريطانيا على وجه الخصـــوص ــ فى

مركز اقتصادى بالغ الخطورة ووضع أوربا بأكملها تحت رحمة الولايات المتحدة الامريكية اقتصاديا • وقد أصرت الأخيرة على ايقاف المساعدات الاقتصادية الى انجلترا الى أن توافق الحكومة البريطانية على قبول قرارات الأمم المتحدة وتسحب قواتها من مصر بسرعة بالغة • ولم يكن لانجلترا فى ذلك خيار •

وكان من نتيجة فشل العدوان الثلاثى على مصر تقارب فى الشعور بين الدول العربية ، وبرزت القومية العربية كسلاح ماض ومقدرة هائلة، وأصبح الشرق الأوسط واثقا من نفسه ومن امكانه الوقوف فى وجه الاستعمار اذا دعا الأمر بصلابة وعزم يلين •

ولما أدى فشل العدوان الثلاثى كما سبق أن أوضحت الى انخفاض هيبة بريطانيا وفرنسا وتقلص نفوذهما السياسى فى الشرق الأوسط ، فقد رأى الرئيس الامريكى « ايزنهاور » أن تقلص القوى هذا (الذى عبر عنه فيما بعد بالفراغ) مدعاة لأن يضع مع وزير خارجيته « دالاس » مشروعا (عرف باسم مشروع ايزنهاور) تحل بمقتضاه الولايات المتحدة الامريكية محل بريطانيا وفرنسا فى الشرق الأوسط حتى لا تنتهز الشيوعية (على حد قوله) هذه الفرصة لتحل فى هذا الفراغ • ويقوم المشروع أساسا على النقط الأربع التالية :

١ ـ تخويل الولايات المتحدة الأمريكية السلطة فى أن تتعاون مع وتساعد أية أمة أو مجموعة من الأمم فى منطقة الشرق الأوسط فى تطوير اقتصادياتها وتدعيم استقلالها الوطنى •

٢ ـ تخويل السلطة التنفيذية التعهد بتنفيذ برامج المعونات العسكرية والتعاون مع الأمة التى ترغب فى ذلك •

٣ ـ تخويل الحكومة تقديم المساعدات وزيادة التعاون • بما فيه استخدام القوات المسلحة الأمريكية لحماية استقلال هذه الدول ووحدة أراضيها عند ما تطلب ذلك • ولصد العدوان المسلح من جانب الشيوعية الدولية •

٤ ـ تخويل الرئيس سلطة استخدام الوسائل الاقتصادية والعسكرية ووضع المبالغ اللازمة لتنفيذ معاهدة الأمن المتبادل (عام ١٩٥٤) بدون أية حدود •

وفى ٥ من يناير ١٩٥٧ تلى الرئيس « ايزنهاور » رسالته عن هذا المشروع أمام الكونجرس •

وفى ٩ من مارس ١٩٥٧ وافق الكونجرس على المشروع (لدعم السلام وتوطيد الاستقرار فى الشرق الأوسط) مع تخويل الرئيس سلطة انفاق مبلغ ٢٠٠ مليون دولار ضمن ميزانية السنة الجديدة وذلك على تنفيذ نصوص معاهدة الأمن المشترك ، كما أقر استمراره فى تقديم جميع التسهيلات والمساعدات العسكرية الى قوات الطوارىء الدولية فى الشرق الأوسط للمحافظة على الهدنة فى المنطقة ؛ وأن يكون للرئيس حق تقرير أن الأمن والسلام فى دول الشرق الأوسط قد استقرا .

وفى هذه الأثناء ظهر تصريح سوفيتى (فبراير ١٩٥٧) من ست نقط لبرامج الشرق الأوسط يمكن بموجبها :

١ ـ حل جميع الخلافات بالوسائل السلمية .

٢ ـ عدم التدخل فى الشئون الداخلية لدول المنطقة .

٣ ـ عدم انشاء كتل عسكرية فيها .

٤ ـ تصفية القواعد الأجنبية .

٥ ـ وقف تدفق الأسلحة .

٦ ـ تقديم المعونة الاقتصادية بدون أى قيود سياسية أو عسكرية .

وكان أن زاد صدور هذين التصريحين معا من خلخلة فى علاقات الدول العربية بعضها ببعض ، الا أن معظم الدول العربية لم تكن مستعدة لقبول « مبدأ ايزنهاور » أو « مشروع النقاط الست » على اعتبار أن كليهما غير نابعين من دول المنطقة نفسها ، ولا يؤيدان القضية المصرية بشأن قناة السويس . واقترح « دالاس » ايفاد « جيمس رتشاردز » الرئيس السابق للجنة الشئون الخارجية بالكونجرس فى جولة استطلاعية الى مختلف دول الشرق الأوسط ليرى مدى الاستجابة للمشروع . فقام بزيارة ١٥ دولة ومنها « اسرائيل » . وجاء فى المؤتمر الصحفى الذى عقد خاصا بالمباحثات معها فى مايو عام ١٩٥٧ ، « تقدر حكومة اسرائيل الاهتمام الذى أبدته الولايات المتحدة وشعبها حيال اسرائيل والمساعدات التى قدمتها لها طيلة السنوات الماضية » . أما فى الدول العربية فقد حدثت أزمتان احداهما فى الاردن والأخرى فى لبنان .

ففى الأردن ، كان تيار القومية العربية قد بلغ ذراه ؛ وأسفرت انتخابات أكتوبر ١٩٥٦ عن حكومة النابلسى الوطنية التى بادرت فى

يناير ١٩٥٧ الى عقد اتفاقية التضامن المشترك بين مصر وسورية والمملكة العربية السعودية والأردن ، وألغت المعـاهدة الانجليزية ـ الأردنية ، وأنشأت علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى فى نطاق سياسـة الحياد الايجابى ·

ولكن حكومة النابلسى أقيلت فى ١٠ من ابريل عام ١٩٥٧ ·

وتحرك الاسطول السـادس الأمريكى الى شرقى البحر الأبيض المتوسط ، وأذاع بأن رجال المظلات التابعين له على قدم الاستعداد للهبوط فى الأردن ، وأعلنت الحكومة الأمريكية تقديمها منحة غير مشروطة قيمتها ١٠ ملايين دولار للاردن ، وكان قد سـبق أن تلقى ٣٠ مليـون دولار كمساعدة اقتصادية وعسكرية بموجب مبدأ ايزنهاور ·

وفى لبنان ، فقد قبل « كميل شمعون » مبدأ ايزنهاور ورجا أن يفيد منه شخصيا ، فأعلن فى أول ابريل ١٩٥٨ أنه سيرشح نفسه لرياسـة « لبنان » مرة أخرى (كانت أنباء الوحدة بين مصر وسورية قد أعلنت فى أول فبراير ١٩٥٨) ، وكان ذلك يستوجب تعديلا لدستور لبنـان · وأخذ شمعون يسلح أنصاره بالأسلحة الواردة طبقا لبرنامج المساعدات العسكرية مما أدى الى اشتباكات عنيفة بينهم وبين العناصر الأخرى التى كانت غير راضية عن محاولة تغيير الدستور ، فاندلعت نيران حرب أهلية قدم أثرها « كميل شـمعون » شـكوى الى مجلس الأمن ضد تدخل الجمهورية العربية المتحدة فى شئون لبنان ·

وفى ١٤ من يوليه ١٩٥٨ قامت ثورة العراق الأولى ، فأرسل شمعون نداء الى ايزنهاور يطلب فيه التدخل عسكريا لمسـاعدته فى لبنـان ، فسارعت قوات أمريكية تابعة للأسطول السادس بالنزول الى بيروت ·

وفى النهاية استسلم شمعون ، وانتخب الجنرال فؤاد شهاب رئيسا لجمهورية لبنان ، واختفى مبدأ ايزنهاور · وفى آخر المطاف فشل مبدأ ايزنهاور فى العالم العربى وتلاشى النصر الذى ظن فى البداية أنه حققه· وكان العالم العربى بعد شكوى الأردن ولبنان يبدو وقد تباعد برغم وجود الوحدة بين سورية ومصر · ولكن ، وفيما لا يزيد على شهرين من تلك الأحداث ، كان العرب يحلون مشاكلهم هذه فيما بينهم وحصـلوا على موافقة هيئة الأمم على الاجراءات التى اتخذوها فى هذا الشأن · وأصبح الرئيس جمال عبد الناصر وسيطا بين الدول العربية ينهى خصامهـا ، وتلاشت الاتهامات التى كان حكام الأردن والعراق ولبنان قد وجهـوها

الى حكام الجمهورية العربية المتحدة • ثم توج ذلك كله قرار جامعة الدول العربية الذى جاء مؤيدا تأييدا مباشرا وكاملا لسياسة الرئيس جمال عبد الناصر الذى كان له الفضل الأوحد فى حل مشكلة الأردن وانسحاب رجال المظلات البريطانية منها • وتم انسحابهم فى أواخر أكتوبر ١٩٥٨ •

وعندما تولى الرئيس « كنيدى » رياسة الولايات المتحدة الامريكية كان قد كتب كتابا عن الشرق الأوسط ومشاكل « اسرائيل » ووجهة نظره فى هذه المسائل أسماه « استراتيجية السلام » ، ونشر كتابه هذا قبل أن يتولى الرياسة • وهذا الكتاب ـ بلا شك ـ يعبر تعبيرا صحيحا عن الاتجاهات والنوايا التى كانت توجه سياسة الولايات المتحدة الامريكية مدة رياسة كنيدى لها • وأهم مايلاحظ على رأى « كنيدى » بالنسبة « للدولة اليهودية » أمرين :

الاول : والأهم ، انه قال عنها « ان اسرائيل وجدت لتبقى » •

الثانى : رأيه فى ضرورة تشكيل لجنة لدراسة الحدود وتنسيقها ، وهذا الرأى وان لم يمكن تنفيذه الا أنه رسم خطوطه باقتراح تكوين لجنة دولية يشترك فيها خبراء محايدون فى الجغرافيا والتاريخ والقانون الدولى والدبلوماسية •

أما ملاحظاته عن البلاد العربية ، فتدل على عمق فى التفكير ووعى لأخطاء السياسة الامريكية السابقة فى معاملة العالم العربى ، وقد دلل على وجهة نظره هذه بقوله « لقد ارتكبنا أخطاء جسيمة أخرى فى الشرق الأوسط ، لقد بالغنا فى تقدير قوتنا وقللنا من أهمية القوة القومية فأيدنا الحكومات بدلا من الشعوب » • ثم استطرد « لكن جثة نورى السعيد الممزقة المعلقة على أحد أعمدة النور فى بغداد رمز لسياستنا فى العراق » الى أن قال « أو ليس من السخرية اليوم ـ بعد تلك التكاليف الكثيرة التى أنفقناها والعمل الشاق الذى بذلناه وبعد المكاسب التى حققها الشيوعيون والخسائر التى لحقت بالغرب ـ أن نحاول أن نحقق فى الشرق الأوسط وضعا حياديا كثيرا ما أدرنا له ظهورنا فى الماضى» ، ولكنه اذ يذكر «الدولة اليهودية » يقول « ولنذكر فى الوقت نفسه أننا لن ندير ظهورنا الى اسرائيل » •

وسياسة الرئيس « كنيدى » لا تخرج فى جوهرها أو فى اطارها العمومى عن السياسات الامريكية السابقة من حيث تأييده لبقاء «الدولة اليهودية » بل واصراره على بقائها ، ولكنه أبدى كثيرا من الفهم لما أصبح

عليه المستوى الفكرى لشعوب العالم العربى من حيث الروح القوميـــة والوطنية وطريقة خضوعهم للحكم وللحكام · ويكفى أن نقـدم فى هذا البحث النقط السبع الأساسية التى تدور حولها نظرة الرئيس « كنيدى » لقضية الشرق الأوسط الذى يرتكز أساسا على العـــالم العربى والذى أوجدت فيه « اسرائيل » تلك النقط التى قال عنها فى كتابه انها حقائق :

١ ـ عامل دائم لأهمية الشرق الأوسط القصوى الاستراتيجية فى المعارك العالمية السياسية والحربية والفكرية ، هــو أنه ، فى منتصف الطريق بين عملاقى الشرق والغرب ويسكنه ملايين لم تنحز لأحد منهما ·

٢ ـ عامل دائم فى الشرق الأوسط ، هو البترول ، ولقد أصـــبح واضحا اعتماد العالم على هذا البترول وعلى نقله عبر قناة السويس ، وسيستمر اعتماد أوربا عليه الى أمد بعيـــد جدا بغض النظر عن تطور الطاقة الذرية ·

٣ ـ الحقيقة الثالثة ، هو نجاح التسلل الســـــوفيتى الى الشرق الأوسط ، ويبدو هذا واضحا فى تصريحات الزعماء العرب والشيوعيين، وفى ارسال الشيوعيين السلاح الى تلك المنطقة ، وتبـــادل الاتفـــاقات التجارية والبعثات الفنية والثقافية · وهناك أيضا تسلل شــيوعى فى احتلال مناصب هامة فى حكومات الشرق الأوســـط وفى الصـــحافة والنقابات العمالية وبعض المنظمـــــات الأخرى مما يتزايد معـــه نفوذ الشيوعيين ، فى الوقت الذى فقد فيه الغرب نفوذه فى تلك المنطقة وقل امتيازه ·

٤ ـ لا يجب بحث مشاكل أمم الشرق الأوسط منفصلة عن أحوالها الاقتصادية والاجتماعية ، فان الحياة فى الشرق صراع مستمر ضـــد الصحراء والفقر والجهل والمرض والتخلف ، وهى عوامل تسود المنطقـة التى توجد بها قلة قليـــلة تتمتع بأرباح البترول والأرض · ولقد زاد تدفق رءوس الأموال من تضخم مشكلة التوزيع غير المتكافىء للثروات ، مما يتطلب البحث المستفيض والمساعدة اما من الغرب ـ الذى لايتمتع حاليا بثقة تلك الدول ـ أو من الولايات المتحدة الأمريكية أو من الاتحاد السوفيتى ·

٥ ـ بروز القومية العربية وثورة الشرق الأوسط ضد الاســتعمار الغربى ، فقد أصبحت الرغبة فى التحرر من التسلط الغربى سواء كان مباشرا أو غير مباشر قوية جدا حتى لقد اتخذت فى بعض الأحــوال شكلا

عنيفا • ولم تسفر سياسات محاولة القمع بالشدة الا عن ازدياد اشتعال نيران الغضب والاستياء •

٦ – بروز الجمهورية العربية المتحدة كزعيمة للكتلة العربية ووحدة العرب وقيادتها لحركة معارضة الغرب ، وهى نابعة من خلافات الجمهورية العربية المتحدة الحرة مع بريطانيا ، وتأثير الثقافة المصرية وجامعاتهـا فى العالم الاسلامى • ولذلك فمن المشـكوك فيه أن أية محاولة لتغيير الحكومة أو الشخصيات يمكن أن تحسن علاقات الصداقة بين الجمهـورية العربية المتحدة والغرب أو أن تقلل من تأثير الجمهورية العربيـة المتحدة على شئون الشرق الأوسط خلال الجيل القادم على الأقل •

٧ – ان طبيعة الشرق الأوسط فى الأجيال القادمة سيلعب فيهـا عامل لم يكن موجودا فى القرن الماضى ، هو وجود « اسرائيل » • وينبغى أن تدرك دول العـالم فى الشرق الأوسـط وفى غيره من الأماكن أن « اسرائيل » قد وجدت لتبقى ، وأنها بالرغم من كونها محاطة من كل جانب بالكراهية والحقد وأنهـا تعيش فى جو دائم من التوتر والخوف المستمرين ، فمن المؤكد أنها ستتغلب على هذه الأزمة الحالية ، بل وكل الأزمات المقبلة •

لذا يجب أن تشمل كل المفاوضات التى تدور بين الولايات المتحدة الامريكية والعرب هذه الحقيقة •

ويعتمد مستقبل الشرق الأوسط على تداخل وتفاعل هذه العوامل أو الحقائق السبع معا •

(د) الفجر الجديد :

أحس الاستعمار الغربى فى النهاية وفى مقدمته الولايات المتحـدة الأمريكية أن العالم العربى أصبح اليوم يختلف اختلافا جذريا عما كان عليه فى أوليات القرن الحالى • ولعل الغشاوة التى كانت على أعين شعوب تلك المناطق راجعة أصلا الى نظام الحـكم الذى كانوا تحته منذ ضمتهم الامبراطورية العثمانية تحت الاستعمار التركى وسلطان الخليفة • فلما اضمحل الحكم التركى ووضعت دول الاستعمار الغربية مخططاتها لبناية امبراطورياتها على انقاض الامبراطورية العثمانية ، أبقت شعوب المنطقـة فى المستوى الذى كانت تعانيه تحت ظل الاستعمار التركى • بل ان بعض تلك الشعوب لقيت من الاستعمار الجديد استغلالا أكبر واهمـالا أكثر

لانعدام الصلات الروحية والثقافية بين الاثنين ٠ بل وكان لاختلاف مقاصد الطرفين فى هذا الالتقاء الاجبارى ما وسع الهوة بينهمـــا وزاد من روح التنافر والكراهية فى هذه الشعوب التى لم تلق من هؤلاء المســتعمرين الا أبشع صور الاستغلال وأدنأها ٠ ولجأ المستعمرون الى ضم فئة احترفت الحكم فى تلك البلاد اما عن طريق الولاية عليهـــا أو بخداع شـــعوبها واقتناص حق الملك عليهم ٠

ولما كان هؤلاء بطبيعة الحال لا يعملون الا على دوام ملكهم أو حكمهم، فقد خلقوا فى تلك الشعوب روح الانتهـــازية الفردية وحب الذات ، وأصبحت مصالح الأوطان والشعوب ومقدراتهم لاتجد من يرعاها ٠

وتحالف الاستعمار والحكام معا ، وسارا فى طريق واحد لاستغلال الشعوب كل على حسب اغراضه وأهوائه ، وكلما رأى الاستعمار بوادر نهضة أو اشعاعة من وطنية تومض فى أحد الأقطار أوقعـــه فى معركة داخلية باسم الحرية والديمقراطية ، وفرقه شيعا وأحزابا يعلو ببعضهم يوما ثم يستبدلهم بآخرين ، وبذلك يصرفهم عن القضية الكبرى والأمل الحقيقى والطريق الصحيح للعزة والكرامة ٠

كما نشأ فى ظل هذا الحكم وكنتيجة حتمية له ، نظام طبقى استغنى فيه البعض عن مساندة اخوانهم من عامة الشعب بالعمل فى خدمة الحكام٠ وسخر الاستعمار هذه الطبقة ــ لقربها من مقدرات الحكم والسلطان ــ فى ارهاب الحكام ، ليجعلهم دواما فى حاجة ماسة لحمايته والمحـــافظة على استقرار أوضاعهم ٠

ان امكانيات ومقدرات الشعوب العربية طاقات هائلة يمكن أن تؤثر تأثيرا فعالا على الأحداث لا فى منطقة الشرق الأوسط فحسب ، بل فى جميع أجزاء العالم ، فى أوربا وآسيا وافريقية ٠ ولكن هذه الطـــاقات لا يمكن أن تكون لها فاعليتها الا لو سارت جميعها فى سياسة واحدة حسنة التخطيط والتوجيه نحو الأهداف الصحيحة ، وفى ترتيب وتناسق يمنع الجهود أن تبذل فى غير مواضعها أو فى غير أوقاتها ٠

ومنذ تفجرت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، سارت القافلة العربية فى مصر أولا ثم فى العالم العربى كله بخطى واسعة نحو القوة والكرامة والعزة ، وتخلص معظم أجزاء العـــالم العربى من الاستعمار ، وأصبحت قوته وتضامن شعوبه ووحدة الهدف للجميع من مسببات بروز القوميـــة العربية فى المحيط العالمى ، ودعامة قوية ترتكز عليها قضية فلسطين وعودة

الوطن السليب الى أصحابه • وليس أدل على ذلك مما أحدثه اجتماع القمة للملوك والرؤساء العرب من نتائج بعيدة الأثر فى خدمة هذه القضية •

نعم • ان نجاح العالم العربى ، بل نجاته مما يبيته له الاستعمار هو فى وقوفه صفا واحدا ، مؤمنا بأهداف واحدة ، سالكا طريقا موحدا ضد الاستعمار وعميلته « الدولة اليهودية » ، دون تراخ أو هوادة •

ان موقف العالم العربى من « اسرائيل » يجب أن يظل على ما هو عليه من بذل المحاولات الصادقة واتباع كل الوسائل الفعالة لاقتلاعها من المنطقة ، لأنها بؤرة الشر فيها ، وخط الهجوم الأمامى للقوى المعادية للسلام العالمى ، والمرض العضال الذى أصيب به جسم الشرق الأوسط بأكمله • ولأن التسامح مع « اسرائيل » انما هو تمكين لأعداء السـلام العـالمى ، وتسليم قضية السلام الى أيدى خصومه ، يعرضون الشعوب المحيطة بهم الى نفس مصير شعب فلسطين ، ويعرضون العالم كله لأخطار حرب مدمرة لا تبقى ولا تذر •

وعلاوة على كل ما وضح من الاعتبارات القومية والسياسـية وما للحقوق التاريخية الثابتة لعرب فلسطين فى أرض وطنهم ، فاننا سنعرض فى الجزء الثانى من هذا الكتاب الأسانيد الدينية على بطلان مايدعيه اليهود من أن لهم حقا موروثا وعهدا من الله سبحانه وتعالى فى أرض فلسـطين الطاهرة ، يأخذونهما قسرا وبقوة سلاح المستعمر حتى ولو شردوا أهلها الآمنين •

الجزء الثانى

من الكتاب المقدس

(كتب العهد القديم والعهد الجديد)

فى هذا الجزء حيث يستدل المؤلف بآيات من الكتاب المقدس سواء من أسفار العهد القديم أم أسفار العهد الجديد ٠

تدل الكلمة الواردة بعد كل استدلال على اسم السفر ٠

أما الرقم الأول فيشير الى رقم الاصحاح ٠

والرقم أو الأرقام المتفرعة فهى أرقام الآيات المستدل بها على حسب ترتيب ورودها فى الاصحاح فالمركز (تكوين ٢ : ١ ــ ٤) مثلا يعنى أن الآيات المستدل بها واردة فى سفر التكوين ٠

الاصحاح الثانى

الآيات من ١ الى ٤ ٠٠٠ وهكذا

الباب الاول

ارض الميعاد ووعد الله

(أ) وعد الله لابراهيم :

تردد فى أكثر من موضع من الكتاب المقدس (العهد القديم) أن الله سبحانه وتعالى قطع وعدا على ذاته نحو سيدنا ابراهيم (الخليل) أن يختصه ونسله من بعده ببقعة من الأرض اختارها سبحانه « لأنها تفيض لبنا وعسلا » لتكون مقاما طيبا ينعم فيها سيدنا ابراهيم ولتكون ميراثا لنسله من بعده ٠

وكان أبرام وزوجته ساراى قد نزلوا (نحو ١٩٣٣ق‌م) فى أرض حاران « فأتوا الى حاران وأقاموا هناك » (تكوين ١١ : ٣١) «وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك الى الارض التى أريك» (تكوين ١٢ : ١) ٠ فسار ابراهيم فى الارض على حسب ما أمره الله سبحانه ومعه أهل بيته وكل مقتنياتهم والنفوس التى كانت لهم فى حاران « فأتوا الى أرض كنعان » (تكوين ١٢ : ٥) « وظهر الرب لابرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض ٠ فبنى هناك مذبحا للرب الذى ظهر له » (تكوين ١٢ : ٧) ثم ظل ابراهيم ينتقل فى هذه الأرض الى أن « وحدث جوع فى الارض ٠ فانحدر أبرام الى مصر ليتغرب هناك لان الجوع فى الأرض كان شديدا » (تكوين ١٢ : ١٠) ٠ وفى مصر صار لابراهيم «غنم وبقر وحمير وعبيد وأماء وأتن وجمال » (تكوين ١٢ أ ١٦) . ثم ان فرعون مصر طلب اليه أن يخرج منها « فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامرأته وكل ماكان له ٠ فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ماكان له ٠٠ الى

هكان المذبح الذى عمله هناك أولا . ودعا هنـاك أبرام باسم الرب » (تكوين ١١:٢٠ ، ١٢:١-٤) وذلك (نحو ١٩١٨ق‌م) «وقال الرب لابرام .. ارفع عينيك وانظر من الوضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . لأن جميع الارض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك الى الابد » (تكوين ١٣ : ١٤و١٥) .

ولما كان ابراهيم فى ذلك الوقت شـيخا كبيرا « وكان أبرام ابن خمسة وسبعين سنة لما خرج من حاران » (تكوين ١٢:٤) «وكانت ساراى عاقرا ليس لها ولد» (تكوين ١١ : ٣٠) . فقد تعجب ابراهيم لوعد الله سبحانه له أن يعطى الارض لنسله « صار كلام الرب الى أبرام فى الرؤيا قائلا : لاتخف يا أبرام . أنا ترس لك . أجرك كثير جدا . فقال أبرام أيها السيد الرب ماذا تعطينى وأنا ماض عقيم ومالك بيتى هو اليعـازر الدمشقى . وقال أبرام أيضا انك لم تعطنى نسلا وهو ذا ابن بيتى وارث لى . فاذا كلام الرب اليه قائلا لا يرثك هذا بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك . ثم أخرجه الى خارج وقال : انظر الى السماء وعد النجوم ان استطعت أن تعدها . وقال هكذا يكون نسلك . فآمن بالرب فحسبه له برا » (تكوين ١٥:١-٦) . وبذلك كمل وعد الله سبحانه لخليله ابراهيم بأن يعطيه الارض له ولنسله من بعده وأن يجعل نسله كثيرا جدا «واجعل نسلك كتراب الارض . حتى اذا اسـتطاع أحد أن يعد تراب الارض فنسلك أيضا يعد » (تكوين ١٣:٢٦) وبارك الله سبحانه على ابراهيم « فاجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك . وتكون بركة . وأبارك مباركيك ولاعنك العنه . وتتبارك فيك جميع قبائل الارض » (تكوين ١٢ . ٢و٣) .

ولتتم ارادة الله ومشيئته ويصدق وعده سبحانه « فاخذت ساراى امرأة ابرام هاجر جاريتها ... وأعطتها لابرام رجلها زوجة له . فدخل على هاجر فحبلت » (تكوين ١٥ : ٣و٤) . فلما حبلت هاجر من ابراهيم اختصها الله تعالى هى ونسلها بوعد آخر «وقال لها ملاك الرب . تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنـا وتدعين اسمه اسـماعيل لان الرب قد سمع لمذلتك » (تكوين ١٦ : ١٠و١١) « فولدت هاجر لابرام ابنا . ودعا ابرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر اسماعيل . وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لابرام » (تكوين ١٦ : ١٥و١٦) .

« ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لابرام وقال له

انا الله القدير . سر أمامي وكن كاملا . فاجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا . فسقط ابرام على وجهه . وتكلم الله معه قائلا : أما أنا فهو ذا عهدى معك وتكون أبا لجمهور من الأمم . فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك ابراهيم . لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم . وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما . وملوك منك يخرجون . وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا ابديا . لاكون الها لك ولنسلك من بعدك . وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا . وأكون الههم » (تكوين ١٧ : ١ ــ ٨) . « وقال الله لابراهيم ساراى امرأتك لاتدعو اسمها ساراى بل اسمها سارة . وأباركها وأعطيك منها ابنا ، أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون » (تكوين ١٧ : ١٥و١٦) . ولما غير الله سبحانه اسم خليله الى ابراهيم واسم زوجته الى سارة جدد وعده اليه أن يجعله أبا لجمهور من الامم وأن يثمره كثيرا ويجعله أمما ويخرج ملوك منه وأن يعطى أرض كنعان (الارض التى تغرب فيها ابراهيم) ملكا أبديا لابراهيم ولنسله من بعده وأن يكون سبحانه ربهم والههم . أما عن سارة فباركها الله ووعدها بابن من ابراهيم وان تكون أمما ويخرج ملوك منها أيضا .

ولما سمع ابراهيم كلام الله هذا ووعده «فسقط ابراهيم على وجهه وضحك . وقال فى قلبه هل يولد لابن مئة سنة وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنة . وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش أمامك . فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق . وأقيم عهدى معه عهدا أبديا لنسله من بعده . وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة . ولكن عهدى أقيمه مع اسحق الذى تلده لك سارة » (تكوين ١٧ : ١٧ ــ ٢١) وبذلك شملت بركة الله اسماعيل عليه السلام كما أكد سبحانه وعده لهاجر بتكثير نسلها باسماعيل ويجعله أمة كبيرة . أما عهد الله لابراهيم باعطائه الارض التى وعدت له ولنسله فقد رأى سبحانه أن يقيمه مع اسحق الذى تلده سارة من ابراهيم ومع نسله من بعده .

« وافتقد الرب سارة كما قال . وفعل الرب لسارة كما تكلم . فحبلت سارة وولدت لابراهيم ابنا فى شيخوخته فى الوقت الذى تكلم الله عنه . ودعا ابراهيم اسم الولد الذى ولدته له سارة اسحق » (تكوين ٢١ : ١ ــ ٣) « وكان ابراهيم ابن مئة سنة حين ولد له اسحق ابنه » (تكوين ٢١ : ٥) .

« ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لابراهيم يمزح فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها لان ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى اسحق . فقبح الكلام جدا فى عينى ابراهيم لسبب ابنه . فقال الله لابراهيم لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك . فى كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها . لانه باسحق يدعى لك نسل . وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لانه نسلك . فبكر ابراهيم صباحا وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعا اياها على كتفهـا والولد وصرفها . فمضت وتاهت فى برية بئر سبع . ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احدى الاشجار ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس لانها قالت لا أنظر موت الولد . فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت . فسمع الله صوت الغلام . ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك ياهاجر . لا تخافى لان الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى واحملى الغلام وشدى يدك به لانى ساجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء . فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام فكبر . وسكن فى البرية وكان ينمو رامى قوس . وسكن فى برية فاران . وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر» (تكوين ٢١ : ٩-٢١) .

تركت هاجر وبصحبتها ولدها اسماعيل أرض كنعان (نحو ١٨٩٧ ق م) . وتزوج اسماعيل من مصر وولد له « اثنا عشر رئيسا على حسب قبائلهم» (تكوين ٢٥ : ١٦) « وسكنوا من حويلة الى شور التى أمام مصر حينما تجيء نحو أشور» (تكوين ٢٥ : ١٨) وهى المنطقة شرقى مصر فى جنوب شبه جزيرة العرب وعاشوا فيها الى جوار أبناء عمومتهم ترعاهم بركة الله على اسماعيل ووعده لابراهيم ولهاجر « وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لانه نسلك » (تكوين ٢١ : ١٣) .

وبقى ابراهيم وزوجته سارة وابنهما اسحق وأهلوهم فى أرض كنعان وكانت جزءا من الارض التى اختارها الله سبحانه ووعد ابراهيم ونسله بها « فى ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهيم ميثاقا قائلا : « لنسلك **أعطى هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات** » (تكوين ١٥ : ١٨) وبذلك تكون تلك الارض قد تحددت بحدين . الشرقى منهما وهو نهر الفرات والغربى وهو نهر مصر أى نهر النيل . وهى منطقة بحديها هذين تكون حاليا أجزاء كبيرة من كل من العراق وسورية ثم لبنان وفلسطين والاردن وشمال الجزيرة العربية وصحراء سيناء .(أنظر أيضا الأسفار العدد ٣٤ : ٥ ، اشعياء ٢٧ : ١٢ ، الخروج ٢٣ : ٣١ ، التثنية ١ : ٧) وهى على ذلك النحو منطقة واسعة حرى أن تسكنها أمة

عظيمة وجمهور من الأمم ، وليس « فلسطين » بوضعه الجغرافى الحالى الا قسم من أقسام هذه الأرض الكبيرة الطاهرة ٠

(ب) الوعد لاسحق :

ولما شاخ ابراهيم وتقدم فى الايام كثيرا استدعى عبده كبير بيته واستحلفه بالرب اله السماء واله الارض ألا يأخذ زوجة لابنه اسحق من بنـــات الكنعانيين بل يذهب الى عشيرة ابراهيم وأرضهم ويأخذ لاسحق زوجة من أهل أبيه ٠ « بل الى بيت أبى تذهب والى عشيرتى وتأخذ زوجة لابنى » (تكوين ٣٨:٢٤) ونفذ العبد عهده الى سيده ابراهيم وأتى بابنه ناحور أخ ابراهيم زوجـــة لاسحق وكان اســـمها رفقة وذلك (نحو ١٨٥٧ ق م) ٠

« فلما كملت أيامها لتلد ٠ اذ فى بطنها توأمان فخرج الاول أحمر كله كفروة شعر فدعوا اسمه عيسو وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدعى اســـمه يعقوب » (تكوين ٢٥ : ٢٤ ــ ٢٦) وذلك (نحو ١٨٣٧ ق م) ٠

ولما كبرا ، حدث أن مرض عيسو يوما وتاقت نفسه الى طعام كان يعقوب قد أعده ، وطلب أن يأكل منه ٠ وطلب يعقوب الى عيسو أن يبيعه بكوريته نظير أن يطعمه ممـا اشـــتاقت اليه نفسه فرضى عيسو وباع بكوريته ليعقوب ٠

وحدث جوع فى الأرض غـير الجـــوع الاول الذى كان فى أيام ابراهيم وظهر الرب لاسحق « وقال لا تنزل الى مصر اسكن فى الأرض التى أقول لك ٠ تغرب فى هذه الارض فأكون معك وأباركك لانى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد **وأفى بالقسم الذى أقسمت لابراهيم أبيك** وأكثر نسلك كنجوم السماء واعطى نسلك جميع هذه البلاد **وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض** » (تكوين ٢٦ : ٢ ــ ٤) فجدد الله سبحانه بذلك العهد والوعد الذى سبق أن وعد به ابراهيم الى ابنه اسحق ٠ وأصبح اسحق بلسان الرب له نفسه مستحقا للعهد والوعد له ولنسله من بعده «فظهر له الرب فى تلك الليلة وقال أنا اله ابراهيم ابيك ٠ لا تخف لأنى معك وأباركك وأكثر نسلك من أجل ابراهيم عبدى» (تكوين ٢٤:٢٦) ٠

(ج) الوعد ليعقوب (اسرائيل) :

كانت رفقة زوجة اسحق تؤثر ابنها الاصغر يعقوب بحبها ٠ وكان

عيسو قد نزل مختارا عن بكوريته الى أخيه الاصغر يعقوب · ولما كبر اسحق وشاخ وكلت عيناه احتـــالت رفقة فأخذت البركة من اسحق الى يعقـــوب (انظر سفر التكوين ص ٢٧) · ولم يعرف اسحق انه أعطى البركة ليعقوب « ليستعبد لك شعوب · وتسجد لك قبائل · كن سيدا لاخوتك · وليسجد لك بنو أمك · ليكن لاعنـوك ملعونين · ومباركوك مباركين» (تكوين ٢٧ : ٢٩) ·

فلما عرف اسحق أن بركته ذهبت الى يعقوب «فدعا اسحق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان» (تكوين ١:٢٨) ثبت اسحق بركته الى يعقوب وأمره أن يأخذ له زوجة من بيت لابان أخي أمه · فانطلق يعقوب الى حاران وفى طريقه اليها بات ليلته « ورأى حلما واذا سلم منصوبة على الارض ورأسها يمس السماء · وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها · وهو ذا الرب واقف عليها · فقال أنا الرب اله ابراهيم ابيك واله اسحق · الارض التى انت مضطجع عليها اعطيها لك ولنسلك · **ويكون نسلك كتراب الأرض** وتمتد غربا وشرقا وشـــمالا وجنوبا · **ويتبارك فيك وفى نسلك جميع قبـــائل الأرض** » (تكوين ٢٨ : ١٢ ــ ١٤) ·

ذهب يعقوب الى أرض أهل أمه وأقام عند لابان أخوها شهرا من الزمان يخدمه · وأحب يعقوب ابنة خاله الصغرى راحيل · فلما أراد خاله أن يعطيه أجر خدمته رضى أن يخـدمه سبع سنين نظير أن يزوجه من راحيل · وفى نهاية السنين السبع «وكانت فى عينيه أيام قليلة بسبب محبته لها » (تكوين ٢٠:٢٩) أدخل عليه خاله ليه كبرى البنتين « وفى الصباح اذا هى ليه · فقال للابان ماهذا الذى صنعت بى · أليس براحيل خدمت عندك فلماذا خدعتنى · فقال لابان لا يفعل هكذا فى مكاننا أن تعطى الصغيرة قبل البكر · اكمل اسبوع هذه فنعطيك تلك أيضا بالخدمة التى تخدمنى أيضا سبع سنين أخر · ففعل يعقوب هكذا · فاكمل اسبوع هذه · فاعطاه راحيل ابنته زوجة له» (تكوين ٢٥:٢٩ــ٢٨) ·

وولدت ليه ليعقوب أربع بنين هم رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا · ولما كانت راحيل لم ترزق أبنـــاء بعد فقط أعطت جاريتها بلهة زوجة ليعقوب فولدت له ولدين هما دان ونفتالى · كذلك لما رأت ليه أنها توقفت عن الولادة أعطت هى أيضا جاريتها زلفة زوجة ليعقوب فولدت له ولدين هما جاد وأشير · ثم عادت ليه فولدت ولدين هما يساكر وزبولون وابنة دعت اسمها دينه · وأخيرا ذكر الله راحيل وسمع لها فحبلت وولدت ابنا دعت اسمه يوسف ·

ثم اختلف يعقوب مع خاله وتغيرت معاملة الخال لابن اخته « ونظر يعقوب وجه لابان واذا هو ليس معه كأمس وأول من أمس · وقال الرب ليعقوب ارجع الى أرض آبائك والى عشيرتك فأكون معك» (تكوين ٣١:٣٢)

وعند عودة يعقوب ظهر الله له « وقال له الله اسمك يعقوب · لايدعى اسمك فيما بعد يعقوب **بل يكون اسمك اسرائيل**· فدعا اسمه اسرائيل· وقال له الله انا الله القـــدير · أثمر وأكثر · أمة وجماعة أمم تكون منك وملوك سيخرجون من صلبك · والارض التى أعطيت ابراهيم واسحق لك أعطيها · ولنسلك من بعدك أعطى الارض» (تكوين ٣٥:٩ـ١٣) ·

وكما غير الله سبحانه وتعالى اسم ابرام الى ابراهيم غير اسم يعقوب الى اسرائيل وأصبح بنوه (الذين اكتمل عددهم اثنى عشر ولدا بمولد بنيامين من راحيل التي ماتت عقب ولادته فى طريق العـــودة الى أرض كنعان) والذين سموا أسباط اسرائيل (تكوين ٤٩ : ٢٨) هم الاساس الذى خرج منه « بنو اسرائيل » جميعا ·

الباب الثاني

بنى اسرائيل

(أ) يوسف ويعقوب (اسرائيل) وبنوه فى أرض مصر :

« وسكن يعقوب فى أرض غربة أبيه فى أرض كنعان » (تكوين ٣٧ : ١) وذلك (نحو ١٧٢٩ق‌م) · «وأما اسرائيل فاحب يوسف أكثر من سائر بنيه لانه ابن شيخوخته» (تكوين ٣:٣٧) ولما شعر اخوة يوسف بمحبة اسرائيل له وايثاره اياه أبغضوه « فلما رأى اخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع اخوته أبغضوه » (تكوين ٣٧ : ٤) ورأى يوسف أحلاما ساد فيها على اخوته ووالديه « فقال انى حلمت حلما أيضا واذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لى» (تكوين ٣٧ : ٩)وكانت هذه الأحلام سببا فى تآمر اخوتهعليه ليخلصوا منه « وأخذوه وطرحوه فى البئر · أما البئر فكانت فارغة » (تكوين ٣٧ : ٢٤) وأخرجه قوم تجار فى طريقهم الى مصر وباعوه فيها « وأما المديانيون فباعوه فى مصر لفوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط » (تكوين ٣٧ : ٣٦) ·

وفى مصر «وكان الرب مع يوسف فكان رجلا ناجحا» (تكوين٣٩:٢) وتحدثنا الاصحاحات ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ من سفر التكوين عما حدث ليوسف فى مصر وعن سجنه ظلما وعما آل اليه أمره مع فرعون «ثم قال فرعون ليوسف انظر · قد جعلتك على كل أرض مصر · وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف ·· وجعله على كل أرض مصر » (تكوين ٤١ : ٤١ ــ ٤٣) وذلك (نحو ١٧١٥ ق م) ·

« وولد ليوسف ابنان قبل أن تأتى سنة الجوع ·· ودعا يوسف

البكر منسى .. ودعا الثانى افرايم» (تكوين ٤١ : ٥٠-٥٢) ولما حصلت المجاعة الكبرى (نحو ١٧٠٨ ق م) استقدم يوسف أباه واخوته وعائلاتهم الى مصر «وسكن اسرائيل فى أرض مصر فى أرض جاسان . وتملكوا فيها واثمروا وكثروا جدا » (تكوين ٤٧ : ٢٧) . وعاش يعقوب فى أرض مصر سبع عشرة سنة (مات نحو ١٦٨٩ ق م) .

(ب) البركة ليوسف وأفرايم ابنه والوعد بأرض الميعاد لبنى اسرائيل:

عندما كبر يعقوب وأحس بقرب نهايته جمع اليه كل أولاده وتكلم وتنبأ لهم ، أما عن يوسف فقال « يوسف غصن شجرة مثمرة غصن شجرة مثمرة على عين . أغصان قد ارتفعت فوق حائط . فمررته ورمته واضطهدته أرباب السهام . ولكن ثبتت بمتانة قوسه وتشددت سواعد يديه . من يدى عزيز يعقوب من هناك من الراعى صخر اسرائيل . من اله ابيك الذى يعينك ومن القادر على كل شيء الذى يباركك تأتى بركات السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحت . بركات الثديين والرحم . بركات أبيك فاقت على بركات أبوى . الى منية الاكام الدهرية تكون على رأس يوسف وعلى قمة نذير اخوته» (تكوين ٤٩:٢٢-٢٦) فباركه واختصه ببركته وبركة اله آبائه دون اخوته جميعا .

وحينما علم يوسف باشتداد مرض أبيه أخذ معه ابنيه منسى وافرايم «وقال يعقوب ليوسف الله القادر على كل شيء ظهر لى فى لوز فى أرض كنعان وباركني وقال ها أنا اجعلك مثمرا وأكثرك وأجعلك جمهورا من الامم وأعطى نسلك هذه الارض من بعدك ملكا أبديا . والآن ابناك المولودان لك فى أرض مصر قبلما أتيت اليك الى مصر هما لى . افرايم ومنسى كراؤبين وشمعون يكونان لى . واما أولادك الذين تلد بعدهما فيكونون لك » (تكوين ٤٨ : ٣ - ٦) ثم أن يعقوب (اسرائيل) رأى ابنى يوسف فقربهما اليه فقبلهما واحتضنهما «فمد اسرائيل يمينه ووضعها على رأس افرايم وهو الصغير ويساره على رأس منسى . ووضع يديه بفطنة لان منسى كان البكر . وبارك يوسف وقال الله الذى سار أمامه أبواى ابراهيم واسحق . الله الذى رعانى منذ وجودى الى هذا اليوم . الملاك الذى خلصنى من كل شر . يبارك الغلامين وليدع عليهما اسمى واسم أبوى ابراهيم واسحق . وليكثروا كثيرا فى الارض . فلما رأى يوسف أن أباه وضع يده اليمنى على رأس أفرايم ساء ذلك فى عينيه فأمسك يد أبيه لينقلها عن رأس أفرايم الى رأس منسى وقال يوسف لابيه ليس هكذا يا أبى لان هذا هو البكر . ضع يمينك على رأسه . فأبى أبوه وقال علمت

يا ابني علمت . هو أيضا يكون شعبا وهو أيضا يصير كبيرا . **ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه، ونسله يكون جمهورا من الأمم** . وباركهما في ذلك اليوم قائلا بك يبارك اسرائيل قائلا يجعلك كافرايم ومنسى . فقدم افرايم على منسى » (تكوين ٤٨ : ١٤ـ٢٠) فنقل البركة التي تلقاها الى يوسف وولده افرايم . أما منسى وهو البكر فقال عنه أنه أيضا يكون شعبا ويصير كبيرا . أما عن وعد الله عن أرض الميعاد ، فبقيت لنسل يعقوب جميعا مشاعا مستحقا لجميع الأسباط أبناء يعقوب أو بني اسرائيل ، ولم يختص بها أحد .

(ج) موسى ووعد الله :

« وقال يوسف لاخوته أنا أموت . ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الارض الى الارض التي حلف لابراهيم واسحق ويعقوب . واستحلف يوسف بني اسرائيل قائلا الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا . ثم مات يوسف .. » (تكوين ٥٠ : ٢٤و٢٥) «ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف » (خروج ١ : ٨) وذلك نحو ١٦٣٥ ق م .

وبموت يوسف وقيام ملك جديد بدأت أحداث جديدة لبني اسرائيل في أرض مصر ، فقد كان للمصريين وقت ذاك تقاليد وعبادات تختلف عن عبادة بني اسرائيل ومعرفتهم للرب التي توارثوها عن آبائهم . كذلك كان المصريون ينظرون الى بني اسرائيل وقد أخذوا في التكاثر والتملك نظرتهم الى شعب دخيل عليهم يخشون نموهم وكثرتهم «فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا . هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون اذا حدثت حرب أنهم ينضمون الى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الارض» (خروج ١:٩و١٠) .

وفي سفر الخروج تفصيل لما لاقاه بنو اسرائيل في مصر من عنت وجهد واستعباد حتى أن فرعون أمر بقتل كل مواليدهم من الذكور ساعة ولادتهم . ويحدثنا هذا السفر أيضا عن مولد موسى عليه السلام نحو ١٥٧١ ق م وكيف أنجاه الله من الموت على يد ابنة فرعون . كما يحدثنا عن انتصاره لقومه وعشيرته واضطراره الى الفرار من مصر في نحو ١٥٣١ ق م . «فسمع فرعون عن هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى . فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر» (خروج ٢:١٥) . واشتد الضيق ببني اسرائيل لما لاقوه من اضطهاد وعبودية . «وحدث في تلك الايام الكثيرة أن ملك مصر مات . وتنهد بنو اسرائيل

من العبودية وصرخوا . فصعد صراخهم الى الله من أجل العبـودية . فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثـاقه مع ابراهيم واسـحق ويعقوب » (خروج ٢ : ٢٣و٢٤) .

ونادى الله موسى وكلمه «ثم قال أنا اله أبيك ابراهيم واله اسحق واله يعقوب . فغطى موسى وجهه لانه خاف أن ينظر الى الله . فقال الرب انى قد رأيت مذلة شـعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجـل مسـخريهم . انى علمت أوجاعهم فنزلت لأنقـذهم من أيدى المصريين وأصعدهم من تلك الارض الى أرض جيدة وواسعة . الى أرض تفيض لبنا وعسـلا . الى مكان الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين . والآن هو ذا صراخ بنى اسرائيل قد أتى الى ورأيت أيضا الضيقة التى يضايقهم بهـا المصريون . فالآن هلم فأرسلك الى فرعون وتخرج شعبى بنى اسرائيل من مصر» (خروج ٣:٦ـ١٠) وأرسل معه هرون أخاه «وقال الرب لهرون اذهب الى البرية لاستقبال موسى . فذهب والتقاه فى جبل الله وقبله» (خروج ٤:٢٧) . «ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب . وأنا ظهرت لابراهيم واسحق ويعقوب بأنى الاله القادر على كل شىء . وأما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم . وأيضا أقمت معهم عهدى بأن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التى تغربوا فيها . وأنا أيضا قد سمعت أنين بنى اسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدى . لذلك قل لبنى اسرائيل أنا الرب . وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة . وأتخذكم لى شعبا وأكون لكم الها . فتعلمون أنى أنا الرب الهكم الذى يخرجكم من تحت أثقال المصريين وأدخلكم الى الارض التى رفعت يدى أن أعطيها لابراهيم واسحق ويعقوب وأعطيكم اياها ميراثا » (خروج ٦ : ٢ ـ ٨) .

وبقوة الله سبحانه وبسلطانه وعلى حسب وعده خرج بنو اسرائيل من مصر فى نحو ١٤٩١ ق م « فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس الى سكوت نحو ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الاولاد . وصعد معهم لفيف كثير أيضا مع غنم وبقر ومواش وافرة جدا» (خروج ١٢:٣٧و٣٨)؛ « وكان فى ذلك اليوم عينه أن الرب أخرج بنى اسرائيل من أرض مصر بحسب أجنادهم» (خروج ١٢ : ١٥) .

وتبع فرعون وجنوده موسى وقومه وأدركوهم . ولكن الله تعالى نظر الى بنى اسرائيل وأنجاهم من أيدى فرعون وجنوده وأهلكهم فى البـحر «فخلص الرب فى ذلك اليوم اسرائيل من يد المصريين . ونظر اسرائيل

المصريين أمواتا على شاطىء البحر . ورأى اسرائيل الفعل العظيم الذى صنعه الرب بالمصريين . فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى» (خروج ١٤ : ٣٠و٣١) . وارتحل موسى باسرائيل وخرجوا الى البرية وأتى كل جماعة بنى اسرائيل الى سيناء حيث أطعمهم الله المن فى الصباح والسلوى فى المساء ينزلها عليهم كل صباح وكل مساء يأخذ منها كل واحد أكله . وفى اليوم السادس يأخذون نصيبا مضاعفا لان اليوم السابع عطلة سبت يقدس للرب « وأكل بنو اسرائيل المن أربعين سنة حتى جاءوا الى أرض عامرة . أكلوا المن حتى جاءوا الى طرف أرض كنعان » (خروج ١٦ : ٣٥) .

(د) وصايا الله لبنى اسرائيل :

وفى برية سيناء نزل بنو اسرائيل مقابل الجبل حيث صعد موسى الى الله « وأما موسى فصعد الى الله . فناداه الرب من الجبل قائلا هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى اسرائيل . انتم رأيتم ما صنعت بالمصريين وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم الى . فالآن ان سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب . فان لى كل الارض . وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة . هذه هى الكلمات التى تكلم بها بنى اسرائيل » (خروج ١٩ : ٣ ـ ٦) .

ونزل الرب على جبل سيناء الى رأس الجبل « وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن . ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى تكلم انت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت . فقال موسى للشعب لا تخافوا . لان الله انما جاء لكى يمتحنكم ولكى تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا . فوقف الشعب بعيدا وأما موسى فاقترب الى الضباب حيث كان الله » (خروج ٢٠ : ١٨ ـ ٢١) وتكلم الله سبحانه وتعالى الى موسى بوصاياه وتعاليمه وأحكامه وتشريعاته لبنى اسرائيل وقال : « ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك فى الطريق وليجىء بك الى المكان الذى أعددته . احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه . لانه لا يصفح عن ذنوبكم لان اسمى فيه . ولكن ان سمعت لصوته وفعلت كل ما أتكلم به أعادى أعداءك وأضايق مضايقيك فان ملاكى يسير أمامك ويجىء بك الى الأموريين الحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين فأبيدهم . لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها و لاتعمل كأعمالهم بل تبيدهم وتكسر انصابهم .

وتعبدون الرب الهكم فيبارك خبزك وماءك وأزيل المرض من بينكم لا تكون مسقطة ولا عاقر فى أرضك وأكمل عدد أيامك • أرسـل هيبتى أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتى عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين• وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك • لا أطردهم من أمامك فى سنة واحدة لئلا تصير الارض خربة فتكثر عليك وحوش البرية • قليلا قليلا أطردهم من أمامك الى أن تثمر وتملك الارض•

وأجعل تخومك من بحر سوف الى بحر فلسـطين ومن البرية الى النهر فانى أدفع الى أيديكم سكان الارض فتطردهم من أمامك » (خروج ٢٣ : ٢٠ ـ ٣١) « وقال الرب لموسى اصعد الى الجبل وكن هناك فاعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم » (خروج ٢٤ : ١٢) « ودخل موسى فى وسط السحاب وصعد الى الجبل وكان موسى فى الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة » (خروج : ٢٤ : ١٨) « ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سـيناء لوحى الشـهادة لوحى حجـر مكتوبين بأصبع الله » (خروج ٣١ : ١٨) •

(هـ) ضلال بنى اسرائيل :

كان بنو اسرائيل منذ خروجهم من مصر وفى أثناء سيرهم الى برية سيناء دائمى التذمر تسخطهم أبسط المصاعب وتثيرهم الخطوب والشدائد فتارة يتذمرون لمرارة الماء « فتذمر الشعب على موسى قائلين ماذا نشرب• فصرخ الى الرب • فأراه شـجرة فطرحها فى الماء فصـار الماء عذبا •• » (خروج ١٥ : ٢٤و٢٥) وتارة يتذمرون لقلة الطعام فى البرية « فتذمر كل جماعة بنى اسرائيل على موسى وهرون فى البرية • وقال لهما بنو اسرائيل ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر اذ كنـا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع • فانكما أخرجتمانا الى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع » (خروج ١٦ : ٢و٣) • وتذمروا لقلة الماء والعطش « وعطش هناك الشعب الى الماء • وتذمر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش • فصرخ موسى الى الرب قائلا ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجموننى » (خروج ١٧ : ٣ و ٤) •

وارتكبوا الضلالة الكبرى فتعبدوا لغير الله سبحانه وتعالى وعبدوا الصنم وسجدوا له مخالفين بذلك أول وصايا الله لهم وأصداء كلمـاته

سبحانه ما يزال رنينها يعبق اجواء الجبل والسهل « أنا الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية • لا يكن لك آلهة أخرى أمامى • لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ولا مما فى السماء من فوق وما فى الارض من تحت وما فى الماء من تحت الارض • لا تسجد لهن ولا تعبدهن » (خروج ٢٠ : ١ ـ ٥) ولكن « ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه • فقال لهم هرون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها • فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها الى هرون • فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا • فقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر • فلما نظر هرون بنى مذبحا أمامه ونادى هرون وقال غدا عيد للرب . فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب » (خروج ٣٢ : ١ ـ ٦) • وغضب الله سبحانه وأراد أن يفنيهم فتضرع موسى أمامه وقال له « اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطى نسلكم كل هذه الارض التى تكلمت عنها فيملكونها الى الابد » (خروج ٣٢ : ١٣) • ثم نزل موسى من حضرة ربه « وكان عندما اقترب الى المحلة أن أبصر العجل والرقص فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما فى أسفل الجبل • ثم أخذ العجل الذى صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقى بنى اسرائيل » (خروج ٣٢ : ١٩و٢٠) • وجمع موسى اليه جميع بنى لاوى وحرضهم « فقال لهم • هكذا قال الرب اله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب الى باب فى المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه • ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل» (خروج ٣٢ : ٣٧و٣٨) • ولما رجع موسى الى ربه طلب اليه أن يغفر للشعب ضلالته « فقال الرب لموسى **من أخطأ الى أمحوه من كتابى** • والآن اذهب اهد الشعب الى حيث كلمتك • هوذا ملاكى يسير أمامك **ولكن فى يوم افتقادى أفتقد فيهم خطيتهم** » (خروج : ٣٢ : ٣٣و٣٤) •

وأمر الله سبحانه نبيه موسى أن ينحت لوحين من حجر مثل الأولين ليكتب عليهما سبحانه الكلمات التى كانت على اللوحين اللذين كسرهما

موسى فى ساعة غضبه على قومه . وأمر الله موسى أن يصعد فى الصباح الى جبل سيناء ويقف هناك على رأس الجبل فى حضرة الرب وأمره ألا يدع أحدا يصعد معه وألا يرى أحد فى الجبل كله وحتى الغنم أيضا والبقر لا ترعى الى جهة الجبل . وأطاع موسى أمر ربه وبكر فى الصباح وصعد الى جبل سيناء وأخذ فى يده لوحى الحجر ووقف هناك ونادى باسم الرب « فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب . الرب اله رحيم ورءوف بطىء الغضب كثير الاحسان والوفاء . حافظ الاحسان الى الوف . غافر الاثم والمعصية والخطية . **ولكن لن يبرىء ابراء** . مفتقدا اثم الآباء فى الابناء فى أبناء الأبناء فى الجيل الثالث والرابع . فأسرع موسى وخر الى الأرض وسجد . وقال أن وجدت نعمة فى عينيك أيها السيد فليسر السيد فى وسطنا فأنه شعب صلب الرقبة . واغفر اثمنا وخطيتنا واتخذنا ملكا فقال هأنذا قاطع عهدا قدام جميع شعبك . أفعل عجائب لم تخلق فى كل الأرض وفى جميع الأمم . فيرى جميع الشعب الذى أنت فى وسطه فعل الرب . أن الذى أنا فاعله معك رهيب . احفظ ما أنا موصيك اليوم . هأنذا طارد من قدامك الاموريين والكنعانين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين (خروج ٣٤ : ٦ - ١١) .

(و) نهاية جيل من العصاة المتمردين :

أمر الله سبحانه وتعالى عبده ونبيه موسى عليه السلام أن يصعد بالشعب الذى أخرجه سبحانه من أرض مصر وأن يسير به الى الارض التى وعد بها سبحانه ابراهيم واسحق ويعقوب اسرائيل أن يعطيها لنسلهم . الأرض التى تفيض لبنا وعسلا ووعد سبحانه أن يرسل أمامهم ملاكا وأن يطرد سكان تلك الارض . ولكثرة ما تمرد الشعب وخالف تعاليم الله ووصاياه لم يرتض سبحانه أن يسير فى وسطهم « وكان الرب قد قال لموسى قل لبنى اسرائيل انتم شعب صلب الرقبة . **ان صعدت لحظة واحدة فى وسطكم أفنيتكم** » (خروج ٣٣ : ٥) .

وسار موسى والشعب . وطوال تلك المسيرة وبالرغم من الوصايا والاحكام والشرائع التى كان الله سبحانه يمليها على نبيه موسى فينقلها الى بنى اسرائيل فى حينها « وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى اسرائيل وقل لهم . أنا الرب الهكم مثل عمل أرض مصر والتى سكنتم فيها لا تعملوا ومثل عمل أرض كنعان التى أنا آت بكم اليها لا تعملوا وعلى حسب فرائضهم لا تسلكوا . أحكامى تعملون وفرائض تحفظون لتسلكوا

فيها ، (لاويين ١٨ : ١ ـ ٤) • وبالرغم من التهديدات التى القيت اليهم « لكن ان لم تسمعوا لى وتعملوا كل هذه الوصايا • وأن رفضتم فرائضى وكرهت أنفسكم أحكامى فما عملتم كل وصاياى بل نكثتم ميثاقى فأنا اعمل هذه بكم أسلط عليكم رعبا وسلا وحمى تغنى العينين وتتلف النفس وتزرعون باطلا زرعكم فيأكله أعداؤكم وأجعل وجهى ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم وتهربون وليس من يطردكم • وان كنتم مع ذلك لاتسمعون لى أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف خطاياكم » (لاويين ٢٦ : ١٤ ـ ١٨) برغم كل ذلك « وكان الشعب كأنهم يشتكون شرا فى أذنى الرب وسمع الرب فحمى غضبه فاشتعلت فيهم نار الرب وأحرقت فى طرف المحلة • فصرخ الشعب الى موسى فصلى موسى الى الرب فخمدت النار » (عدد ١١ : ١و٢) واشتهوا اللحم وألحوا على موسى فى طلبه « من أين لى لحم حتى أعطى جميع هذا الشعب لانهم يبكون على قائلين اعطنا لحما لنأكل » (عدد ١١ : ١٣) وعاقبهم الله « واذ كان اللحم بعد بين أسنانهم قبل أن ينقطع . حمى غضب الرب على الشعب وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جدا » (عدد ١١ : ٣٣) .

وعندما وصلوا الى برية فاران على مشارف الأرض الموعودين بها كلم الرب سبحانه نبيه وأمره أن يرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان• فأرسل موسى من كل سبط رجلا كل واحد رئيس فيهم على حسب أمر الرب. وأمرهم موسى أن يتجهوا الى الجنوب وأن يصعدوا الجبل ليتجسسوا أرض كنعان ويختبروا طبيعة الارض جيدة هى أم رديئة والشعب الساكن فيها قوى هو أم ضعيف • قليل أم كثير • وما هى المدن المسكونة وهل هى مخيمات أو حصون • وطلب منهم أن يحضروا معهم شيئا من ثمر الأرض. فتجسسوا الأرض وقضوا فى جولتهم هذه أربعين يوما عادوا بعدها ومعهم قطاف من عنب وتين ورمان وقالوا ان الارض تفيض لبنا وعسلا وقالوا أن شعب الأرض الساكن فيها معتز والمدن حصينة وعظيمة والعمالقة يسكنون أرض الجنوب والحثيون واليبوسيون والاموريون يسكنون الجبل والكنعانيون يسكنون عند البحر وعلى جانب الاردن • الا أن بعض من تجسسوا الارض أشاعوا الخوف فى نفوس الشعب قائلين ان جميع من نظروهم من سكان الارض طوال القامة وأن الجبابرة من بنى عناق جعلوهم ينظرون الى أنفسهم كالجراد بالنسبة اليهم « فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة • وتذمر على موسى وعلى هرون جميع بنى اسرائيل وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا فى أرض مصر أو ليتنا

متنا فى هذا القفر • ولماذا أتى بنا الرب الى هذه الأرض لنسقط بالسيف• تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة • أليس خيرا لنا أن نرجع الى مصر • فقال بعضهم لبعض نقيم رئيسا ونرجع الى مصر » (عدد ١٤ : ١ ـ ٤) •

وبرغم محاولات موسى وهرون وأحاديث يشوع بن نون وكالب بن يفنه ممن كانوا تجسسوا الارض وبالرغم من طلبهما الى موسى أن يسير بهم والشعب والرب معهم يدخلهم الارض التى وعدهم بها• وبالرغم من تحذيرهما للشعب عاقبة عصيان وعد الرب والتمرد على مشيئته وبالرغم مما أوضحوه للشعب بأن الرب سيكون معهم وسيجعل من شعب هذه الارض خبزا لبنى اسرائيل. الا أن الجماعة ابت ولجت فى الاباء والعناد وطلبت أن ترجمهما بالحجارة ؛ وغضب الرب « **وقال الرب لموسى حتى متى يهيننى هذا الشعب** • وحتى متى لا يصدقوننى بجميع الآيات التى عملت فى وسطهم • انى أضربهم بالوباء **وأبيدهم وأصيرك شعبا أكبر وأعظم منهم** » • (عدد ١٤: ١١و١٢) • « وأما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الارض » (عدد ١٢ : ٣) فبدأ يستعطف ربه ويطلب صفحه عن الشعب وغفرانه عصيانه كما سبق وغفر له من مصر الى أن وصل الى ذلك الموضع • « فقال الرب قد صفحت على حسب قولك • ولكن حى انا فتملأ كل الارض من مجد الرب • ان جميع الرجال الذين رأوا مجدى وآياتى التى عملتها فى مصر وفى البرية وجربونى الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولى لن يروا الارض التى حلفت لآبائهم • **وجميع الذين أهانونى لا يرونها** » (عدد ١٤ : ٢٠ ـ ٢٣) •

وحكم الله سبحانه وتعالى وهو خير الحاكمين أن جميع الذين تذمروا عليه من ابن عشرين سنة فصاعدا لن يدخلوا الأرض التى رفع يده سبحانه ليسكنهم اياها • وحكم أن يظلوا فى القفر أربعين سنة كعدد الأيام التى تجسسوا فيها الأرض كل يوم بسنة ، حتى تفنى جثثهم فى القفر ، وحكم أن يعمل بنوهم رعاة فى القفر طول هذا الزمان « كعدد الأيام التى تجسستم فيها الأرض أربعين يوما للسنة يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادى ، أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة على • **فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون** » (عدد ١٤ : ٣٤و٣٥) •

ولما أخبر موسى بنى اسرائيل بحكم الله فيهم بكى الشعب كثيرا • وعلى عادتهم فى التمرد والعصيان وعلى الرغم من تحذير موسى لهم • بأن

الرب لن يكون معهم · فقد بكروا صباحا وصعدوا الى رأس الجبل يطلبون الموضع الذى كان الرب وعد به فنزل العمالقة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم ضربا عظيما فانهزم بنو اسرائيل أمامهم · وذلك نحو ١٤٩٠ ق·م·

ظل بنو اسرائيل فى القفر يرتحلون فيه من مكان الى مكان وفى نحو ١٤٥٣ ق·م· مات هرون (عدد ٢٠ : ٢٨) وطلب موسى من الله ربه أن يسمح له أن يعبر ويرى الأرض الجيدة التى فى عبر الأردن ولبنان ولكن الله سبحانه – وبسبب غضبه على بنى اسرائيل – لم يسمح· وقال له « كفاك · لا تعد تكلمنى أيضا فى هذا الامر · أصعد الى رأس الفسجة وارفع عينيك الى الغرب والشمال والجنوب والشرق وانظر بعينيك ولكن لا تعبر هذا الأردن · وأما يشوع فأوصه وشدده وشجعه لأنه هو يعبر أمام هذا الشعب وهو يقسم لهم الارض التى تراها » (تثنيه ٣ : ٢٦ – ٢٨) ·

وظل الرب سبحانه يعلم نبيه موسى الفرائض والأحكام والشرائع التى يجب أن يعمل بها بنو اسرائيل لكي يحيوا ويدخلوا ويمتلكوا الأرض التى وعدهم بها · وكان موسى ينقل كلما يعلمه الرب له الى الشعب أولا بأول · وقد ضم سفر التثنيه كل هذه الفرائض والأحكام والشرائع التى أوجبها الله على بنى اسرائيل عند دخولهم أرض الميعاد وفى وجودهم بها · الأرض التى وعد بها الآباء ابراهيم واسحق ويعقوب اسرائيل · « وصعد موسى من عربات موآب الى جبل بنو الى رأس الفسجة الذى قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد الى دأن وجميع نفتالى وأرض أفرايم ومنسى وجميع أرض يهوذا الى البحر الغربى والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل الى صوغر · وقال له الرب هذه هى الارض التى أقسمت لابراهيم واسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها · قد أريتك اياها بعينيك ولكنك الى هناك لا تعبر » · (تثنيه ٣٤ : ١ – ٤

ومات موسى نحو ١٤٥١ ق·م· وخلفه يشوع بن نون على بنى اسرائيل « ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة اذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو اسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى » (تثنيه ٣٤ : ٩) ·

(ز) الوفاء بالوعد :

قبل أن نتكلم عن دخـول بنى اسرائيل الى الارض التى وعد بهـا آباؤهم ابراهيم واسحق ويعقوب اسرائيل يجب أن تتبين أن الله سبحانه وتعالى وقد سطر الثواب والعقاب وجعل التوبة سبيلا الى المغفرة أراد ألا يأخذ الأبرياء بذنب المسيئين • فما أن مضت أيام الجـزاء وفنى جيـل المعصـية والتمـرد حتى كان سبحانه قد أكمل للجيل الجـديد وصاياه وتعاليمه وأحكامه وشرائعه التى وضعها لهم ليسـيروا على هديها وقضى موسى بقية حياته منذ خروج بنى اسرائيل من أرض مصر الى أن عاد الى ربه راضيا مرضيا والى أن حل موعد دخول بنى اسرائيل أرض الميعـاد يردد عليهم تعـاليم الله ووصاياه • فكان موسى لا يفتأ يبصرهم بطريق الخير « **وأن سمعت سمعا لصـوت الرب الهك** لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التى أنا أوصيك بها اليوم يجعلك الرب الهك مستعليا على جميع قبائل الارض » (تثنيه ٢٨ : ١) « ويزيدك الرب فى ثمرة بطنك وثمرة بهائمك وثمرة أرضك على الأرض التى حلف الرب لآبائك أن يعطيك » (تثنيه ٢٨ : ١١) • كذلك بصرهم بأجلى بيان سوء المنقلب اذا خالفوا هذه الوصايا وتلك الاحكام عقاب العاصى من لا ايمان له ولا رجاء فيـه « **ولكن أن لم تسمع لصوت الرب الهك** لتحرص ان تعمل بجميع وصاياه وفرائضـه التى أنا أوصيك بها اليـوم تأتى عليك جميع هذه اللعنـات وتدركك » (تثنيه ٢٨ : ١٥) و « يجعلك الرب منهزما أمام أعدائك • فى طريق واحدة تخرج عليهم وفى سبع طرق تهرب أمامهم وتكون قلقـا فى جميع مسالك الأرض » (تثنيه ١٨ : ٢٥) •

ولقد تبينا غضب الله على الشعب كلما تمرد على الله سبحانه أو نقض تعاليمه ووصاياه بل أن هذا الغضب بلغ فى بعض المواقف حـدا جعل الله سبحانه يهم بافناء هذا الشعب وخلق شعب جديد غيره « وقال الرب لموسى رأيت هذا الشـعب واذا هو شـعب صلب الرقبة • فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم فأصيرك شعبا عظيما » (خروج ٣٢ : ٩و١٠) • وبرغم تكرار أخطائهم وبشاعة الكثير منها لم يفنهم الله بسبب رجوات وتضرعات نبيـه موسى عليـه السـلام ولمنزلته عند ربه « فقال الرب لموسى هذا الأمر أيضا الذى تكلمت عنه أفعله • لأنك وجدت نعمة فى عينى وعرفتك باسمك » (خروج ٣٣ : ١٧) ولأن موسى كان يذكر الله بوعـده الأول لابراهيم ذلك الوعـد الذى حفظـه الرب الى اسحق ويعقوب (اسرائيل) ونسله • فلما عصى الشعب أمر ربه فى دخول الارض

الموعود بها وقتال ساكنيها أبى سبحانه أن تظل ذلك الجيل سماء ارض الميعاد بل حكم عليه بالفناء جائلا فى القفر حتى فنى كله • وحتى موسى نبى الله وصفيه وكليمه أصابه غضب الله على بنى اسرائيل فى ذلك الجيل فلم يكتب له أن يستقر فى الارض الموعودة ويتمتع بخيراتها وكان حظه منها أن رآها بعينيه ولكن لم تمسس قدميه أرضها • ولله جل شأنه مايشاء •

« وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا • موسى عبدى قد مات • فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب الى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبنى اسرائيل • **كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى** • من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم » (يشوع ١ : ١ ـ ٤)•

ووفى الله سبحانه وتعالى بوعده لبنى اسرائيل ، الوعد الذى نزل اليهم خلال آبائهم ابراهيم واسحق ويعقوب اسرائيل فدخلوا الأرض تحت يشوع بن نون وأسكنهم الله حيث وعد • فاستقر قسم منهم « بيت اسرائيل » وفيهم نسل أفرايم ومنسى ورأوبين وشمعون ودان ونفتالى وجاد وأشير ويساكر وزبولون • وكان هذا البيت الذى يضم الأكثرية من الأسباط وعلى رأسهم نسل يوسف الذى نال البركة والبكورية أيضا « وبنو رأوبين بكر اسرائيل • لانه البكر ولأجل تدنيس فراش ابيه أعطيت بكوريته لبنى يوسف بن اسرائيل فلم ينسب بكرا • لان يهوذا اعتز على أخوته ومنه الرئيس وأما البكورية فليوسف » (اخبار الأيام الاول ٥ : ١ر٢) ـ وسكنوا المنطقة الشمالية من الارض من البحر الكبير غربا ممتدة نحو الشرق عبر نهر الاردن •

واستقر القسم الثانى « بيت يهوذا » وفيهم نسل يهوذا ـ الذى منه الرياسة ـ ولاوى وبنيامين وهو يضم الأقلية واختص بالقداسات وخدمة الهيكل لان فيه نسل لاوى • وسكنوا المنطقة الجنوبية من الأرض من البحر الكبير غربا الى البحر الميت شرقا • وفى سفر يشوع تفصيل واضح عن دخول بنى اسرائيل الى الارض الموعودين بها والحروب التى دارت والشعوب التى غلبت أمام بنى اسرائيل والاماكن التى نزل بها الأسباط والحدود بينهم جميعا « فأخذ يشوع كل الأرض على حسب كل ما كلم به الرب موسى وأعطاها يشوع ملكا لاسرائيل على حسب فرقهم وأسباطهم• واستراحت الارض من الحرب » (يشوع ١١ : ٢٣) •

وبصراحة وباسهاب يقرر يشوع بن نون الذى عهد اليه ادخال بنى اسرائيل الى الارض الموعودة وكان شاهدا على تقسيمها عليهم على حسب ما وعد الله سبحانه « فأعطى الرب اسرائيل جميع الارض التى أقسم أن يعطيها لآبائهم **فامتلكوها وسكنوا بها** . فأراحهم الرب حواليهم على حسب كل ما أقسم لآبائهم ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم بل دفع الرب جميع أعدائهم بأيديهم **لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذى كلم به الرب بيت اسرائيل بل الكل صار** » (يشوع ٢١ : ٤٣ ـ ٤٥) .

وكان ذلك نحو ١٤٤٤ ق.م.

الباب الثالث

اسرائيل ويهوذا

(أ) انقسام بني اسرائيل وشرورهم

فى نهاية أيام يشوع بن نون جمع جميع أسباط اسرائيل ودعا شيوخهم ورؤساءهم وقضاتهم وعرفاءهم • وخاطب يشوع جميع الشعب وذكرهم بكل ما كان منذ أخذ الرب ابراهيم من بين أهله وعشيرته وأسكنه أرض كنعان الى نزوح يعقوب اسرائيل وبنوه الى مصر ، وأوضح لهم كيف أرسل الرب نبيه موسى وأخاه هرون فأخرجهم من أرض مصر وما عمل الرب سبحانه من معجزات حتى أدخلهم الى الارض التى وعد بها آباءهم « وأعطيتكم أرضا لم تتعبوا عليها ومدنا لم تبنوها لتسكنوا بها ومن كروم وزيتون لم تغرسوها تأكلون فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكل كمال وأمانة » (يشوع ٢٤ : ١٣و١٤) « فأجاب الشعب وقالوا حاشا لنا أن نترك الرب لنعبد آلهة أخرى » (يشوع ٢٤ : ١٦) وحذرهم يشوع وأنذرهم وأشهدهم على أنفسهم « فقال يشوع للشعب لا تقدرون أن تعبدوا الرب لانه اله قدوس واله غيور هو • لا يغفر ذنوبكم وخطاياكم • واذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة يرجع فيسيء اليكم ويفنيكم بعد أن أحسن اليكم • فقال الشعب ليشوع لا • **بل الرب نعبد** • فقال يشوع للشعب أنتم شهود على أنفسكم انكم قد اخترتم لانفسكم الرب لتعبدوه • **فقالوا نحن شهود** » (يشوع ٢٤ : ١٩ ــ ٢٢) • ومات يشوع بن نون نحو ١٤٢٧ ق•م•

« وعبد الشعب الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين

طالت أيامهم بعد يشوع الذين رأوا عمل الرب العظيم الذى عمل لاسرائيل » (قضاة ٢ : ٧) • ولما انتهى ذلك الجيل خلفه جيل آخر لم يكن يعرف الأعمال الكبار التى صنعها الرب لبنى اسرائيل • ويحدثنا « سفر القضاة » الذين قادوا بنى اسرائيل فى هذا الجيل وعملوا على توجيههم ، كيف تمادى الشعب فى عمل الشر « وأقام الرب قضاة فخلصوهم من ناهبيهم • ولقضاتهم ايضا لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها •• وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضى وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضى •• **وعند موت القاضى كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم** بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها • لم يكفوا عن أفعالهم وطريقهم القاسية » (قضاة ٢ : ١٦ – ١٩

وغضب عليهم الرب غضبا شديدا ورأى سبحانه آنهم ماداموا قد نبذوا وصاياه وأحكامه أن يبقى الشعوب التى كانت لاتزال تسكن الأرض والذين بقوا بها حتى موت يشوع « لكى أمتحن بهم اسرائيل أيحفظون طريق الرب ليسلكوا بها كما حفظها آباؤهم أم لا • فترك الرب أولئك الأمم ولم يطردهم سريعا ولم يدفعهم بيد يشوع » (قضاة ٢ : ٢٢ر٢٣) بل جعلهم سيف نقمة وقصاص يعاقب بهم بنى اسرائيل كلما حادوا عن طريقه •

« وفعل بنو اسرائيل الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب اله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها واغاظوا الرب » (قضاة ٢ : ١١ر١٢) « فحمى غضب الرب على اسرائيل فدفعهم بأيدى ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم » (قضاة ٢ : ١٤) وذلك نحو ١٤٠٦ قم •

« وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب فشدد الرب عجلون ملك موآب على اسرائيل لانهم عملوا الشر فى عينى الرب » (قضاة ٣ : ١٢) وذلك نحو ١٣٥٤ قم •

« وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب بعد موت اهود . فباعهم الرب بيد يابين ملك كنعان الذى ملك فى حاصور ورئيس جيشه سيسرا وهوا ساكن فى حروشة الأمم » (قضاة ٤ : ١) وذلك نحو ١٣١٦ قم •

« وعمل بنو اسرائيل الشر فى عينى الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين • فاعتزت مديان على اسرائيل » (قضاة ٦ : ١ر٢) • وذلك نحو ١٢٥٦ قم .

« وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه • فحمى غضب الرب على اسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بنى عمون » (قضاة ١٠ : ٦ر٧) ثم عاد بنو اسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة » (قضاة ١٣ : ١) وذلك نحو ١١٦١ ق•م•

بل أن النزاع والفرقة دبت بين بنى اسرائيل انفسهم ففى نحو ١٤٠٦ ق . م • تنازع بنو بنيامين مع أخوتهم بنى اسرائيل وحاربوهم « فلم يرد بنو بنيامين أن يسمعوا لصوت اخوتهم بنى اسرائيل • فاجتمع بنو بنيامين من المدن الى جبعة لكى يخرجوا لمحاربة بنى اسرائيل » (قضاة : ٢٠ : ١٣ر١٤) وفى ذلك يقول النبى زكريا على لسان الرب « فقلت لا أرعاكم • من يمت فليمت • ومن يبد فليبد والبقية **فليأكل بعضها لحم بعض** » (زكريا ١١ : ٩) بل أن الرب سبحانه فى كلامه هذا مع زكريا نقض عهده للأسباط صراحة « فأخذت عصاى نعمة وقصفتها **لأنقض عهدى الذى قطعته مع الاسباط** » (زكريا ١١ : ١٠) كما نقض الاخاء بين بيت اسرائيل وبيت يهوذا « ثم قصفت عصاى الاخرى حبالا **لأنقض الاخاء بين يهوذا واسرائيل** » (زكريا ١١ : ١٤) وفى نحو ٧٤٠ قم قرب نهاية بنى اسرائيل فى الارض الموعودة حارب بيت اسرائيل بيت يهوذا « فدفعه الرب الهه ليد ملك أرام • فضربوه وسبوا منه سبيا عظيما وأتوا بهم الى دمشق • ودفع أيضا ليد ملك اسرائيل فضربه ضربة عظيمة . وقتل فقح بن رمليا فى يهوذا مئة وعشرين الفا فى يوم واحد (أخبار الملوك الثانى ٢٨ : ٥ر٦) •

وكان بنو اسرائيل عند دخولهم أرض الميعاد قد انقسموا الى بيتين كما سبق بيان ذلك وبمرور الزمن أصبح كل بيت قسما منفصلا عن الآخر تماما وخرج من كل بيت ملوكا ملكوا عليه أو عليهما معا ولكنهما لم يتوحدا ، حتى انه فى أيام داود الملك فى نحو ١٠١٧ ق•م• عندما أمر الملك باحصاء بنى اسرائيل أحصى كل قسم على حدة « فكان بنو اسرائيل ثمانمائة ألف رجل ذوى بأس مستلى السيوف ورجال يهوذا خمسمائة الف

رجل » (صموئيل الثانى : ٢٤ : ٩) وحتى فى أيام ملك سليمان الحكيم وعلى الرغم من أنه كان « متسلطا على جميع الممالك من نهر الفرات الى أرض فلسطين وتخوم مصر » (الملوك الاول ٤ : ٢١) فان بيتى يهوذا واسرائيل ظلا منفصلين « وسكن يهوذا واسرائيل آمنين **كل واحد تحت كرمته وتحت تينته** من دان الى بئر سبع كل أيام سليمان » (الملوك الاول ٤ : ٢٥) .

وليس أدل على أن كل بيت منهما أصبح منفصلا عن الآخر ما ورد على لسان الكاهن حزقيال فى رؤياه « وكان الى كلام الرب قائلا • وأنت يا ابن آدم خذ لنفسك عصا واحدة واكتب عليها ليهوذا وبنى اسرائيل رفقائه . وخذ عصا أخرى واكتب عليها ليوسف عصا أفرايم وكل بيت اسرائيل رفقائه » (حزقيال ٣٧ : ١٥و١٦) وفى نفس الرؤيا أعلن الرب على لسان حزقيال هذا الانفصال « وكان الى كلام الرب قائلا . يا ابن آدم كان امرأتان ابنتا ام واحدة » (حزقيال ٢٣ : ١) ولكنهما كلاهما اشتركا فى فعل الشر وارتكاب الآثام والخطايا والخروج على أحكام الرب ووصياه وشرائعه وصار لهما باذن الله مصير محتوم .

تكررت اخطاء بنى اسرائيل وكثر ارتكابهم للاثم والمعصية اخطأوا فى حق الرب كثيرا « كيف صارت القرية الأمينة زانية • ملآنة حقا كان العدل يبيت فيها . وأما الآن فالقاتلون . صارت فضتك زغلا وخمرك مغشوشة بماء • رؤساؤك متمردون ولغفاء اللصوص • كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا . لايقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل اليهم » (اشعياء ١ : ٢١ — ٢٣) « وقال الرب فى أيام يوشيا الملك . هل رأيت ما فعلت **العاصية اسرائيل** • انطلقت الى كل جبل عال والى كل شجرة خضراء وزنت هناك . فقلت بعد ما فعلت كل هذه . ارجعى الى فلم ترجع • فرأت أختها الخائنة يهوذا • فرأيت انه لاجل كل الاسباب اذ زنت العاصية اسرائيل فطلقتها واعطيتها كتاب طلاقها لم تخف الخائنة يهوذا اختها بل مضت وزنت هى ايضا وكان من هوان زناها انها نجست الارض وزنت مع الحجر ومع الشجر » (ارميا ٣ : ٦ — ٩) ، « لانه خيانة خاننى بيت اسرائيل وبيت يهوذا يقول الرب » (ارميا ٥ : ١١) ، « لانهم من صغيرهم الى كبيرهم كل واحد مولع بالربح » (ارميا ٦ : ١٣) « فمن اليوم الذى خرج فيه اباؤكم من ارض مصر الى هذا اليوم أرسلت اليكم كل عبيدى الأنبياء مبكرا كل يوم ومرسلا • فلم يسمعوا لى ولم يميلوا أذنهم بل صلبوا رقابهم . اساءوا اكثر من آبائهم » (ارميا

٧ : ٢٥، ٢٦) . « فتقول لهم من اجل أن آباءكم قد تركونى يقول الرب وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوها وسجدوا لها واياى تركوا وشريعتى لم يحفظوها (ارميا ١٦ : ١١) . « لان بنى اسرائيل وبنى يهوذا انما صنعوا الشر فى عينى منذ صباهم . لأن بنى اسرائيل انما أغاظونى بعمل أيديهم يقول الرب » (ارميا ٣٢ : ٣٠) وعن بيت اسرائيل « حقا انه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتمونى يا بيت اسرائيل يقول الرب » (ارميا ٣ : ٢٠) « يا ابن آدم ان بيت اسرائيل لما سكنوا أرضهم نجسوها بطريقهم وبافعالهم » (حزقيال ٣٦ : ١٧) ، « انك الآن زنيت يا أفرايم . قد تنجس اسرائيل » (هوشع ٥ : ٣) .

« واسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة بيت اسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم . وعن بيت يهوذا الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلمون بالأجرة » (ميخا ٣ : ٩ — ١١) ، « أما أنتم فحدتم عن الطريق وأعثرتم كثيرين بالشريعة أفسدتم عهد لاوى قال رب الجنود » (ملاخى ٢ : ٨) .

(ب) العدل الالهى :

أحب الله خليله ابراهيم لأنه عرف الرب وسار فى طريقه عاملا على مرضاته سبحانه ، فباركه وبارك نسله ووعده واياهم من بعده أرضا اختارها لهم تفيض لبنا وعسلا سكن فيها ابراهيم وذاق حلاوتها . وبارك نسله اسماعيل ووعده ان يكون أمة كبيرة واثنى عشر رئيسا يلد . كما بارك اسحق ووعده ونسله بالارض المختارة ، فعاش فيها اسحق أيضا وذاق حلاوتها . ثم بارك يعقوب وأسماه اسرائيل وبارك نسله ووعده ونسله بالارض الموعودة وعاش فيها يعقوب أيضا وذاق حلاوتها . ثم استدعاه يوسف الى أرض مصر حيث عاش وبنوه فى ظل حب الله ليوسف الى أن مات يوسف مبارك ومبارك نسله افرايم ، حلت عليه البركة بيد اسرائيل أبيه . وأرسل الله نبيه موسى الى بنى اسرائيل فى أرض مصر ليخرجهم من الذل والعبودية ويقودهم الى أرض الميعاد وليوف الله بالوعد الذى كتبه على نفسه .

ولكن هذا الشعب الذى وصفه سبحانه انه صلب الرقبة سرعان ما نسى ربه ووصاياه واحكامه بل ونسى آياته الكبرى ومعجزاته التى اخرجه بها من أرض مصر فارتكب الضلالة الكبرى وتعبد لغير الله سبحانه

بل وسجد للصنم الذى صنعه من الذهب ، وعاقبهم الله . وأصبح سبحانه كلما حاد الشعب عن طريقه يرده بالعقاب يدخل به فى نفوسهم خشيته سبحانه ويريهم قدرته فيهم الى أن وصلوا الى مشارف أرض الميعاد وتجسسوها .

وارتكب الشعب المعصية **وعصى أمر الله بدخول الارض وقتال ساكنيها وطردهم منها** ، وهم سبحانه أن يبطش بهم ويفنيهم ويجعل من نبيه موسى شعبا جديدا لولا شفاعة موسى فيهم . وعاقبهم الله بالتشريد فى القفر حتى فنى جيل التمرد والمعصية ، فأدخلهم تحت نبيه يشوع بن نون الارض التى تفيض لبنا وعسلا وأوفى لهم بوعده . وأشهدهم يشوع على أنفسهم أنهم رضوا بالله ربا ، كما شهد يشوع بنفسه تمام وعد الله لهم ووزع عليهم الارض ورعاهم طول حياته كما سبق أن رعاهم موسى فى حياته .

وعاش بنو اسرائيل فى الارض وانقسموا على انفسهم وعملوا الشر أيضا وقلدوا الامم التى كانت فى الأرض وسلطهم الله بعضهم على بعض وسلط عليهم أمم الارض يعاقبونهم كلما طفح كيل شرورهم . وأرسل اليهم أنبياء وشيوخا وقضاة وملوكا منهم كانوا يردونهم الى حظيرة الله ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

وكان الله سبحانه طوال ذلك الزمان يلقى اليهم بأحكامه وتعاليمه وشرائعه يدعوهم لطريقه وطاعته ورحمته محذرا ومنذرا مكررا مبكرا كل يوم ومرسلا .

ففى نحو ٩٩٢ قم بنى الملك سليمان بيتا عظيما للرب « وكان كلام الرب الى سليمان قائلا : هذا البيت الذى أنت بانيه **ان سلكت فرائضى وعملت أحكامى وحفظت كل وصاياى للسلوك بها** ، فانى أقيم معك كلامى الذى تكلمت به الى داود أبيك . وأسكن فى وسط بنى اسرائيل ولا أترك شعبى اسرائيل » (الملوك الأول ٦ : ١١ — ١٣) . ويحذر بنى اسرائيل وينذرهم مخاطبا سليمان « **ان كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائى ولا تحفظون وصاياى** وفرائضى التى جعلتها أمامكم بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى تسجدون لها فانى أقطع اسرائيل عن وجه الأرض التى أعطيتكم اياها والبيت الذى قدسته لاسمى أنفيه من أمامى ويكون اسرائيل مثلا وهزأة فى جميع الشعوب . وهذا البيت يكون عبرة . كل من يمر عليه يتعجب ويصفر ويقولون لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض

ولهذا البيت • فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب الههم الذى أخرج آباءهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها لذلك جلبَ الرب عليهم كل هذا الشر » (الملوك الأول ٩ : ٦ ـ ٩) •

ويظل الشعب ماضيا فى شروره وآثامه وينقلب تحذير الله سبحانه لهم الى وعيد « لذلك يقول السيد رب الجنود عزيز اسرائيل آه انى أستريح من خصمائى وأنتقم من أعدائى » (أشعياء ١ : ٢٤) ، « وهلاك المذنبين والخطاة يكون سواء **وتاركوا الرب يفنون** » (أشعياء ١ : ٢٨) ، « فان لرب الجنود يوما على كل متعظم وعال وعلى كل مرتفع فيوضع وعلى كل أرز لبنان العالى المرتفع وعلى كل بلوط باشان » (أشعياء : ٢ : ١٢) ، « فانه هوذا السيد رب الجنود ينزع من أورشليم ومن يهوذا السند والركن كل سند خبز وكل سند ماء • الجبار ورجل الحرب • القاضى والنبى والعراف والشيخ • رئيس الخمسين والمعتبر والمشير والماهر بين الصناع والحاذق بالرقية • وأجعل صبيانا رؤساء لهم وأطفالا تتسلط عليهم (أشعياء ٣ : ١ ـ ٤) • وقال لهم الرب على لسان أرميا الكاهن « لذلك هكذا قال الرب اله الجنود • من أجل أنكم تتكلمون بهذه الكلمة• هأنذا جاعل كلامى فى فمك نارا وهذا الشعب حطبا فتأكلهم » (ص ٥ : ١٤) ، « لذلك هكذا قال الرب هأنذا جاعل لهذا الشعب معثرات فيعثر بها الآباء والأبناء معا• الجار وصاحبه يبيدان » (ص٦:٢١) ، « لسانهم سهم قتال يتكلم بالغش • بفمه يكلم صاحبه بسلام وفى قلبه يضع له كمينا **أفما أعاقبهم على هذه يقول الرب أم لا تنتقم نفسى من أمة كهذه** » (ص ٩ : ٨و٩) ، « أما ترى ما تكلم به هذا الشعب قائلا ان العشيرتين اللتين اختارهما الرب قد رفضهما » (ص ٣٣ : ٢٤) • وقال لهم على لسان هوشع « وقد أذلت عظمة اسرائيل فى وجهه فيتعثر اسرائيل وأفرايم فى اثمهما ويتعثر يهوذا أيضا معهما » (ص ٥ : ٥) ، « جاءت أيام العقاب • جاءت أيام الجزاء » (ص ٩ : ٧) • ويتوعد بيت يهوذا « ويل للمتجردة النجسة المدينة الجائرة لم تسمع الصوت • لم تقبل التأديب • لم تتكل على الرب • لم تتقرب الى الهها » (صنفيا ٣ : ١و٢) • ويتوعد كهنة اسرائيل « فأنا أيضا صيرتكم محتقرين ودنيئين عند كل الشعب كما أنكم لم تحفظوا طرقى بل حابيتم فى الشريعة » (ملاخى ٢ : ٩) • ولم ينفع وعيد الله سبحانه فنبذهم « قائلا اذا طلق رجل امرأته فانطلقت من عنده وصارت لرجل آخر فهل يرجع اليها بعد» (أرميا ٣ : ١) ، « فرأيت أنه لأجل كل الأسباب اذ زنت العاصية

اسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب طلاقها » (ارميا ٣ : ٨) ، « **هوذا من أجل آثامكم قد بعتم ومن أجل ذنوبكم طلقت أمكم** » (أشعياء ٥٠ : ١) ٠

ورأى الله سبحانه وتعالى أن يجـازيهم جزاء يتناسب ليس مع شرورهم وآثامهم فقط بل مع اصرارهم على الشر وباب التوبة مفتوح ومع تماديهم في الاثم وصوت الله يدعوهم اليه ٠ وحدد الله جزاءه لهم : « لأنه قبل أن يعرف الصبى أن يدعو يا أبى ويا أمى تحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة قدام ملك أشور » (أشعياء ٨ : ٤) ، « فيقطع الرب من اسرائيل الرأس والذنب النخل والاسل فى يوم واحـد » (أشعياء ٩ : ١٤) ، « هأنذا أجلب عليكم أمة من بعد يا بيت اسرائيل يقول الرب ٠ أمة قوية أمة منذ القديم أمة لا تعرف لسانها ولا تفهم ما تتكلم به ٠ جعبتهم كقبر مفتوح كلهم جبابرة ٠ فيأكلون حصادك وخبزك الذى يأكله بنوك وبناتك يأكلون غنمك وبقرك ٠ يأكلون جفنتك وتينتك ٠ يهلكون بالسيف مدنك الحصينة التى أنت متكل عليها » (ارميا ٥ : ١٥ ــ ١٧) ٠

« ويكون حين تقولون لماذا صنع الرب الهنا بنا كل هذه ٠ تقول لهم تركتمونى وعبدتم آلهة غريبة فى أرضكم هكذا تعبدون الغرباء فى أرض ليست لكم » (ارميا ٥ : ١٩) ، « هكذا قال الرب ٠ هوذا شعب قادم من أرض الشمال وأمة عظيمة تقوم من أقاصى الأرض ٠ تمسـك القوس والرمح ٠ هى قاسية لا ترحم صوتها كالبحر وعلى خيل تركب مصطفة كانسان لمحاربتك يا ابنة صهيون » (ارميا ٦ : ٢٢ ــ ٢٣) « لذلك هكذا قال السيد الرب ٠ ها غضبى وغيظى ينسكبان على هـذا الموضع على الناس وعلى البهـائم وعلى شـجر الحقـل وعلى ثمر الأرض فيتقدان ولا ينطفئان » (ارميا ٧ : ٢٠) ، « على الجبال أرفع بكاء ومرثاة وعلى مراعى البرية ندبا لأنها احترقت فلا انسان عابر ولا يسمع صوت الماشية ٠ من طير السموات الى البهائم هربت مضت ٠ وأجعل أورشـليم رجما ومأوى بنات آوى ومدن يهوذا أجعلها خرابا بلا ساكن » (ارميا ٩ : ١٠ ــ ١١) ، « فأطردكم من هذه الأرض الى أرض لم تعرفوها أنتم ولا آباؤكم فتعبدون هناك آلهة أخرى نهـارا وليلا حيث لا أعطيكم نعمة » (ارميا ١٦ : ١٣) ، « لتجعل أرضهم خرابا وصفيرا أبديا ٠ كل مار فيها يدهش وينغض رأسه ٠ كريح شرقية أبددهم أمام العدو ٠ أريهم القفا لا الوجه فى يوم مصيبتهم » (ارميا ١٨ : ١٦ ــ ١٧) ، « هكذا يأكل بنو اسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم اليهم » (حزقيال ٤ : ١٣) ، « وقل ياجبال اسرائيل اسمعى كلمة السيد الرب ٠ هكذا قال

السيد الرب للجبال وللآكام للأودية وللأوطئة هأنذا أنا جالب عليكم سيفا وأبيد مرتفعاتكم » (حزقيال ٦ : ٣) ، « قد فزعتم من السيف فالسيف أجلبه عليكم يقول السيد الرب · وأخرجكم من وسطها وأسلمكم الى أيدى الغرباء ، وأجرى فيكم أحكاما · بالسيف تسقطون فى تخم اسرائيل أقضى عليكم فتعلمون أنى أنا الرب ··· فى تخم اسرائيل أقضى عليكم فتعلمون أنى أنا الرب الذى لم تسلكوا فى فرائضه ولم تعملوا بأحكامه بل عملتم على حسب أحكام الأمم الذين حولكم » (حزقيال ١١ : ٨ ــ ١٢) ، « أنا الرب تكلمت وسأفعل · وأبددك بين الأمم وأذريك فى الأراضى وأزيل نجاستك منك وتتدنسين بنفسك أمام عيون الأمم وتعلمين أنى أنا الرب » (حزقيال ٢٢ : ١٤ ــ ١٦) ، « لأنه هكذا قال السيد الرب · انى أصعد عليهما جماعة وأسلمهما للجور والنهب · وترجمهما الجماعة بالحجارة ويقطعونهما بسيوفهم ويذبحون أبناءهما وبناتهما ويحرقون بيوتهما بالنار » (حزقيال ٢٣ : ٤٦ ــ ٤٧) ·

وحدد الله سبحانه وتعالى السبى عقابا لبنى اسرائيل : « قل أنا آية لكم · كما صنعت هكذا يصنع بهم · **الى الجلاء الى السبى يذهبون** » (حزقيال ١٢ : ١١) ، « **فأسبيكم** الى ما وراء دمشق قال الرب اله الجنود اسمه » (عاموس ٥ : ٢٧) ، « لأنه هكذا قال عاموس · يموت يربعام بالسيف **ويسبى اسرائيل** عن أرضه » (عاموس ٧ : ١١) ، « أغلقت مدن الجنوب وليس من يفتح · سبيت يهوذا كلها سبيت بالتمام » (ارميا ١٣ : ١٩) ، وعن ملك بيت اسرائيل « وهو أيضا يجلب الى آشور هدية الملك عدو · يأخذ أفرايث خزيا ويخجل اسرائيل على رأيه » (هوشع ١٠ : ٦) ، وعن أورشليم : « لأنى قد جعلت وجهى على هذه المدينة للشر لا للخير يقول الرب : ليد ملك بابل تدفع فيحرقها بالنار » (ارميا ٢١ : ١٠) ، « هأنذا أدفع هذه المدينة ليد الكلدانيين وليد نبوخذ راصر ملك بابل فيأخذها · فيأتى الكلدانيون الذين يحاربون هذه المدينة **فيشعلون هذه المدينة بالنار ويحرقونها** » (ارميا ٣٢ : ٢٨ ــ ٢٩) · وعن مصير أورشليم وملك بيت يهوذا : « هكذا قال الرب اله اسرائيل · اذهب وكلم صدقيا ملك يهوذا وقل له · هكذا قال الرب هأنذا أدفع هذه المدينة ليد ملك بابل فيحرقها بالنار وأنت لا تفلت من يده بل تمسك امساكا وتدفع ليده وترى عيناك عينى ملك بابل وتكلمه فما لفم وتذهب الى بابل » (ارميا ٣٤ : ٢ ــ ٣) ·

(ج) العقاب والجزاء :

في سفر هوشع من العهد القديم للكتاب المقـــدس يحدثنا النبى هوشع بن بثيرى عما صار اليه كلام الرب ســـبحانه فيما انتواه لبنى اسرائيل من أحداث وقد ملأت شرورهم وخطاياهم الأرض ولم يفد فيهم تحذير ولا انذار أو وعيد • فكانت أول اشارة من الله سبحانه : « أول ما كلم الرب هوشع قال الرب اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى **لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب** » (هوشع ١ : ٢) وقد عنى الله سبحانه بكلامه هذا أن بنى اسرائيل جميعا أصبحوا أهل الخطيئة والآثام وأن شرورهم عمت الأرض كلها وأنهم ابتعـدوا عن طريق الله وأحكامه وتعاليمه ولم يعد يرجى منهم رجوع أو توبة •

« فذهب وأخذ جومو بنت دبلايم فولدت وولدت له ابنا • فقال له الرب ادع اسمه يزرعيل (١) لأننى بعد قليل أعاقب بيت ياهو على دم يزرعيل **وأبيد مملكة بيت اسرائيل** • ويكون فى ذلك اليوم أنى أكسر قوس اسرائيل فى وادى يزرعيل » (هوشع ١ : ٣ ــ ٥) وقد عنى الله سبحانه بذلك قرب نهاية بيت اسرائيل واقتلاعهم من الأرض وتبديدهم فى بلاد المملكة التى يسبون اليها ولا تكون لهم عودة الى أرض الميعاد •

« ثم حبلت أيضا وولدت بنتا فقال ادع اسمها لورحامه (٢) لانى **لا أعود أرحم بيت اسرائيل** أيضـــا بل انزعهم نزعا . واما بيت يهـــوذا فأرحمهم واخلصهم بالرب الههم ولا أخلصهم بقوس وبسيف وبحرب وبخيل وبفرســـان » (هوشـــع ١:٦ر٧) وكلام الله فيما يختص ببيت اسرائيل واضح تماما • أما بيت يهوذا فقد كان مسطورا أن يعود بعضهم الى الارض المقدسة ليخلصوا بظهور السيد المسيح فيهم وباتباعهم لرسالة العهد الجديد وليس بالقوة والحرب •

« ثم فطمت لورحامة وحبلت فولدت ابنـــا • فقـــال ادع اســـمه لوعمى (٣) **لانكم لستم شـــعبى وأنا لاأكـــون لكم** • لكن يكون عـــدد بنى اسرائيل كرمل البحر الذى لا يكال ولا يعد ويكون عوضا عن أن يقال لهم لستم شعبى **يقـــال لهم أبنـــاء الله الحى** » (هوشع ١ : ٨ ــ ١٠) وعنى

---

(١) ومعناه يبدد أو يفرق •

(٢) ومعناه ــ بلا رحمة •

(٣) ومعناه ــ ليس شعبى •

الله سبحانه بذلك أنه نبذ بنى اسرائيل نهائيا فلم يعد هو ربهم ولم يصبحوا بعد شعبه الحبيب ولكن الشعب الذى يؤمن برسالة السيد المسيح فادى اسرائيل سيكون شعبا عظيما لا يحصى لكثرته وهذا الشعب لن يرفضه الله بل سيكون الشعب الحبيب اليه الذى سيعتبره أبناءه المقبولين فى حظيرته لايمانهم برسالة مخلصهم وفاديهم السيد المسيح .

فى نحو ٧٧١ ق . م بدا ضعف مملكة بيت اسرائيل وكان منحيم ابن جادى ملكا عليهم « فجاء فول ملك اشور على الارض فأعطى منحيم لفول ألف وزنة من الفضة لتكون يداه معه ليثبت المملكة فى يده » (الملوك الثانى ١٥ : ١٩) .

وفى نحو ٧٤٠ ق.م حدث أول ضيق وسبى لبيت اسرائيل «فى أيام فقح ملك اسرائيل جاء تغلث ملك أشور وأخذ عيون وآبل بيت معكه ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل كل أرض نفتالى وسباهم الى أشور » (الملوك الثانى ١٥ : ٢٩) . وحدثت فتنة فى بيت اسرائيل قتل فيها فقح بن رمليا ملك بيت اسرائيل ، قتله هوشع بن ايله وملك فى مكانه وأرسل رسلا الى ملك مصر يستعديه على أشور وامتنع عن دفع الجزية التى كانت مفروضة عليهم . وفى نحو ٧٢٣ ق.م «وصعد ملك أشور على كل الارض وصعد الى السامرة وحاصرها ثلاث سنين . فى السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك أشور السامرة وسبى اسرائيل الى اشور واسكنهم فى حلح وخابور نهر جوزان وفى مدن مادى » (الملوك الثانى ١٧ : ٥و٦) وبذلك لم يبق فى أرض بنى اسرائيل الا سبط يهوذا وكانوا قد اشتروا صداقة ملك أشور بالمال (الملوك الثانى ١٦ : ٨) .

« فغضب الرب جدا على اسرائيل ونحاهم من أمامه **ولم يبق الا سبط يهوذا وحده** . ويهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الرب الههم بل سلكوا فى فرائض اسرائيل التى عملوها . فرذل الرب كل نسل اسرائيل واذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه » (الملوك الثانى ١٦ : ١٨ — ٢٠) .

ولما كان الله سبحانه قد كتب على بيت اسرائيل نزعا بلا عودة « حتى نحى الرب اسرائيل من أمامه كما تكلم عن يد جميع عبيده الأنبياء . **فسبى اسرائيل من أرضه الى أشور الى هذا اليوم** . وأتى ملك أشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة سفروايم وأسكنهم فى مدن السامرة عوضا عن بنى اسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا فى مدنها »

(الملوك الثانى ــ ١٧ : ٢٣ر٢٤) . وبذلك انتهت صفحة بيت أسرائيل فى الأرض التى أوفى الله سبحانه بوعده بها اياهم الى آبائهم ابراهيم واسحق ويعقوب اسرائيل وضيعتها آثام الأبناء وشرورهم ... وأصبح القوم الذين جاء بهم ملك أشور فامتلكوا السامرة وسكنوا مدنها حائلا دون عودة بيت اسرائيل الى هذه الارض . وبذلك يصدق كلام الرب على لسان هوشع « قد ابتلع اسرائيل . الآن صاروا بين الأمم كاناء لا مسرة فيه . لأنهم صعدوا الى أشور مثل حمار وحشى معتزل بنفسه » (ص ٨ : ٩ر٨) وعلى لسان عاموس « سقطت عذراء اسرائيل لا تعود تقوم . انطرحت على أرضها ليس من يقيمها » (ص ٥ : ٢) وأيضا على لسان ميخا « فأنا جعلت جروحك عديمة الشفاء مخربا من أجل خطاياك (ص ٦ : ١٣) .

وبالمثل بدات ضربات العقاب تنزل ببيت يهوذا ففى نحو ٧٤٢ ق.م وفى عهد ملكهم آحاز بن يوثام « فدفعه الرب الهه ليد ملك آرام فضربوه وسبوا منه سبيا عظيما وأتوا به الى دمشق . ودفع أيضا ليد ملك اسرائيل فضربه ضربة عظيمة ... وسبى بنو اسرائيل من اخوتهم مئتى الف من النساء والبنين والبنات ونهبوا أيضا منهم غنيمة وافرة واتوا بالغنيمة الى السامرة » (الأيام الثانى ٢٨ : ٥ ــ ٨) . وتكاثرت على بيت يهوذا المحن «فان الادوميين اتوا أيضا وضربوا يهوذا وسبوا سبيا . واقتحم الفلسطينيون مدن السواحل وجنوبى يهوذا وأخذوا بيت شمس وايلون وجديروت وسوكو وقراها وتمنه وقراها وجمزو وقراها وسكنوا هناك » (الأيام الثانى ٢٨ : ١٧ر١٨) فلجأ الملك آحاز الى ملوك أشور يضع نفسه وشعبه تحت رحمتهم وحمايتهم بدلا من أن يعود وقومه الى حظيرة الرب ورحمته « فى ذلك الوقت أرسل الملك آحاز الى ملوك أشور لكى يساعدوه » (الأيام الثانى ٢٨ : ١٦) .

ومات الملك آحاز بعد أن أصبح اكثر من نصف مملكته خرابا أو فى ايدى الاعداء . وملك بعده الملك حزقيا ابنه . وفى نحو ٧١٣ قم « وبعد هذه الامور وهذه الامانة اتى سنحاريب ملك أشور ودخل يهوذا ونزل على المدن الحصينه وطمع باخضاعها لنفسه » (الايام الثانى ٣٢ : ١ » ولكن الملك حزقيا اتجه للرب « ثم تواضع حزقيا بسبب ارتفاع قلبه هو وسكان أورشليم فلم يأت عليهم غضب الرب فى أيام حزقيا » (الايام الثانى ٣٢ : ٢٦) . وعندما ملك منسى ابنه لم يسر فى طريق الرب واضل يهوذا « وكلم الرب منسى وشعبه فلم يصغوا . فجلب الرب عليهم رؤساء الجند

الذين لملك اشور فأخذوا منسى بخزامة وقيدوه بسلاسل وذهبوا به الى بابل . ولما تضايق طلب وجه الرب الهه وتواضــع جدا أمام اله آبائه • صلى اليه فاستجاب له وسمع تضرعه ورده الى أورشـــليم الى مملكته ، فعلم منسى أن الرب هو الله » (الأيام الثـــانى ٣٣ : ١٠ ــ ١٣) •

وفي نحو ٦١٠ ق م فى عهد يهو آحاز حارب ملك مصر مملكة يهوذا وأنهى ملك يهو آحاز « وملك ملك مصر الياقيم (١) اخاه على يهــوذا وأورشليم وغير اسمه الى يهوياقيم • وأما يوآحاز أخوه فأخذه نخو (٢) واتى به الى مصر (الايام الثانى ٣٦:٤) وفى عهد يهوياقيــم أصبحت مملكة يهوذا من الضعف والهوان حتى أن نبوخذ ناصر ملك بابل أخــذ بعض آنية بيت الرب فى أورشليم ونقلها الى هيكله فى بابل وكاد أن يسبى الملك أيضا الى بابل • ولما ملك ابنه يهوياكين • وكان ابن ثمانى عشرة ســنة • أرســل الملك نبوخذ ناصر فأخــذه وأخذ آنية بيت الرب الثمينة الى بابل وملك صدقيا أخاه على يهوذا وأورشليم •

وفى نحو ٥٩٠ ق‌م فى عهد الملك صدقيا أتت نهاية مملكة يهوذا . فانه تمرد على الملك نبوخذ ناصر كما أنه عمل أيضا الشر فى وجه الرب « فأصعد عليهم ملك الكلدانيين **فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم** ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده . وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصــغيرة وخــزائن بيت الرب وخــزائن الملك ورؤســائه أتى بها جميعا الى بابل • **وأحــرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم** واحرقوا جميع قصورها بالنار واهلكوا جميع آنيتها الثمينـــة • وسبى الذين بقــوا من الســيف الى بابل • **فكانوا له ولبنيه عبيدا الى أن ملكت مملكة فارس** » (الأيام الثـانى ٣٦ : ١٧ ــ ٢٠) •

وأحرق بيت الرب نحو ٥٨٨ ق م • وتم كلام الرب فى مملكة يهوذا وفى ملكها صدقيا وفى أورشليم وفى بيت الرب • تم كلمة حسبما تكلم على لســـان جميع الأنبيــاء • **وانتهت أيضا مملكة بيت يهــوذا فى أرض الميعاد .**

---

(١) أخ يهوآحاز •

(٢) فرعون ملك مصر •

الباب الرابع

اليهـــود

(أ) نشأة اليهود :

فى نحـو ٧٤٢/٧٤١ ق‌م فى عهد فقح بن رمليا ملك اسرائيل وآحاز بن يوثام ملك يهوذا حاربت مملكة اسرائيل مملكة يهـوذا اتمـاما لكلام الله سبحانه : «ثم قصفت عصاى الأخرى حبالا لانقض الاخـاء بين يهوذا واسرائيل» (زكريا ١١ : ١٤) وفى ذلك العهد أيضا انضم رصين ملك آرام الى فقح ملك اسرائيل فى غزوهم مملكة يهوذا ولأول مرة فى أسفار العهد القديم يشــار الى بيت يهوذا باسم **اليهود** لانتسـابهم «الى ذلك البيت « فى ذلك الوقت أرجع رصـــين ملك آرام ايله للارآميين وطرد **اليهود** من ايله وجاء الأراميون الى ايله وآقاموا هنـــاك الى اليوم» (الملوك الثـانى ١٦ : ٦) • بل أن لغة بيت يهوذا عرفت أيضا باليهودية فى ذلك الزمن• فان جيوش سنحاريب ملك آشور حينما حاصرت أورشليم «وصرخوا بصوت عظيم **باليهودى** الى شعب أورشليم الذين على السور لتخويفهم وترويعهم لكى يأخذوا المدينة » (الأيام الثانى ٣٢ : ١٨) ، « ثم وقف ربشاقى ونادى بصـــوت عظيم **باليهودى** وقال • اســـمعوا كلام الملك العظيم ملك أشور » (اشعياء ٣٦ : ١٣) كذلك سماهم الملك صدقيا ملك يهوذا بهذا الاسم أثناء حصـار جيوش ملك بابل لأورشليم فى عهده « فقال صدقيا الملك لأرميـا انى أخاف من **اليهـــود** الذين قد سقطوا للكلدانيين لئلا يدفعونى ليدهم فيزدروا بى » (أرميا ٣٨ : ١٩) • وعرف بهذا الاسم « **اليهود** » فى أسفار العهد الجديد من الكتاب المقدس كل من

كان بتلك الأرض عند ظهور السيد المسيح أو فى الزمان السابق على مولده سواء كانوا ممن بقوا فى الارض عند السبى أو ممن عادوا من السبى فى زمن الملك كورش ملك فارس فى نحو ٥٣٦ ق م ·

ذلك انه عندما رأى الله سبحانه وتعالى أن يرذل بنى اسرائيل وان يخرجهم من رحمته ومحبته ومن الارض التى أدخلهم اليها استبقى بعضا من ساكنى أرض يهوذا لم يكن فيهم كبير أو ذو خطر · فعندما غزا نبوخذ ناصر بيت يهوذا فى عهد الملك يهوياكين « وسبى كل اورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف سبى وجميع الصناع والاقيان· **لم يبق أحد الا مساكين شعب الأرض** · وسبى يهوياكين الى بابل وأم الملك ونساء الملك وخصيانه وأقوياء الارض سباهم من أورشليم الى بابل · وجميع أصحاب البأس سبعة آلاف والصناع والاقيان الف وجميع الابطال أهل الحرب **سباهم ملك بابل الى بابل** » (الملوك الثانى ٢٤ : ١٤ ــ ١٦) · وبعد حوالى عشر سنين غزا نبوخذ ناصر بيت يهوذا ثانية وقتل أبناء الملك وسبى الملك صدقيا ثم « وفى الشهر الخامس فى سابع الشهر وهى السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذ ناصر ملك بابل جاء نبوزرادان رئيس الشرط عبد الملك بابل الى اورشليم وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار وجميع أسوار أورشليم مستديرا هدمها كل جيوش الكلدانيين الذين مع رئيس الشرط · وبقية الشعب الذين بقوا فى المدينة والهاربون الذين هربوا الى ملك بابل وبقية الجمهور سباهم نبوزرادان رئيس الشرط · ولكن رئيس الشرط **أبقى من مساكين الارض كرامين وفلاحين** » (الملوك الثانى ٢٥ : ٨ ــ ١٢) ويقول فى ذلك شاهد عيان هو ارميا الكاهن « فقتل ملك بابل بنى صدقيا فى ربله أمام عينيه وقتل ملك بابل كل أشراف يهوذا · وأعمى عينى صدقيا وقيده بسلاسل نحاس ليأتى به الى بابل . أما بيت الملك وبيوت الشعب الذين بقوا فى المدينة والهاربون الذين سقطوا له وبقية الشعب الذين بقوا سباهم نبوزر ادان رئيس الشرط الى بابل . **ولكن بعض الشعب الفقراء الذين لم يكن لهم شىء أتركهم نبوزرادان رئيس الشرط فى أرض يهوذا وأعطاهم كروما وحقولا فى ذلك اليوم** » (**ارميا ٣٩ : ٦ ــ ١٠**) ·

وكان الله سبحانه وتعالى حين قدر السبى على بيت يهوذا والخراب على أورشليم والبيت الذى بناه سليمان الحكيم قد أشار الى نيته اعادة بناء أورشليم وبيته بها ؛ والى عودة بعض سبايا بيت

يهوذا الى الارض ليقيموا بها الى أن يتم رسالته بالسيد المسيح « انه هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل عن الانية الباقية فى بيت الرب وبيت ملك يهوذا وفى اورشليم . يؤتى بها الى بابل وتكون هناك الى يوم افتقادى اياها . يقول الرب فأصعدها وأردها الى هذا الموضع (ارميا ٢٧ : ٢١ - ٢٢) وقدر الله سبحانه الا يعيد عمار أورشليم ويرد بعض القوم الى أرضهم الا بعد أن يفنى جيل الشر هذا وقدر سبحانه لذلك سبعين عاما » لانه هكذا قال الرب « **انى عند تمام سبعين سنة لبابل** أتعهدكم وأقيم لكم كلامى الصالح **بردكم الى هذا الموضع** » (ارميا ٢٩ : ١٠) . وكان بعض بيت يهوذا قد فروا الى مصر وفيهم يقول الله سبحانه « لذلك اسمعوا كلمة الرب يا جميع يهوذا الساكنين فى أرض مصر . هأنذا قد حلفت باسمى العظيم قال الرب ان اسمى لن يسمى بعد بفم انسان ما من يهوذا فى كل أرض مصر قائلا حى السيد الرب هأنذا أسهر عليهم للشر لا للخير فيفنى كل رجال يهوذا الذين فى أرض مصر بالسيف والجوع حتى يتلاشوا . والناجون من السيف يرجعون من أرض مصر الى أرض يهوذا نفرا قليلا فيعلم كل بقية يهوذا الذين أتوا الى أرض مصر ليتغربوا فيها كلمة أينا تقوم » (ارميا ٤٤ : ٢٦ - ٢٨) وعن رد سبى يهوذا «لانه فى تلك الايام وفى ذلك الوقت عندما أرد سبى يهوذا وأورشليم » (يوئيل ٣ : ١) « ويكون الساحل لبقية بيت يهوذا عليه يرعون فى بيوت أشقلون عند المساء يربضون لأن الرب الههم يتعهدهم ويرد سبيهم » (صنفيا ٢ : ٧) وعن اعادة بناء بيت الرب « لذلك هكذا قال الرب قد رجعت الى أورشليم بالمراحم فبيتى يبنى فيها يقول رب الجنود ويمد المطمار على أورشليم (زكريا ١ : ١٦) ويؤكد الرب زمن خراب أورشليم «أنا دانيال فهمت من الكتب عدد السنين التى كانت عنها كلمة الرب الى ارميا النبى لكمالة سبعين سنة على خراب أورشليم» (دانيال ٩ : ٢) .

(ب) عودة السبايا من بيت يهوذا (اليهود) :

عندما سبى الملك نبوخذ ناصر ملك بابل بيت يهوذا قبل دمار أورشليم واحراق بيت الرب ، أرسل النبى ارميا الذى كان شاهد عيان لتلك الأحداث رسالة من أورشليم الى السبايا فى بابل ينقل اليهم فيها مشيئة الله فيهم «هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل لكل السبى الذى سبيته من أورشليم الى بابل . ابنوا بيوتا واسكنوا واغرسوا جنات

وكلوا ثمرها . خذوا نساء ولدوا بنين وبنات وخذوا لبنيكم نساء
واعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات أكثروا هناك ولاتقلوا . واطلبوا
سلام المدينة التي سبيتكم اليها وصلوا لاجلها الى الرب لانه بسلامها
يكون لكم سلام» (ص ٢٩ : ٤ — ٧) .

كذلك أراه الله سبحانه وتعالى رؤيا تعبر عن نواياه نحو سبايا
بيت يهوذا فقال « أراني الرب واذا سلتا تين موضوعتان أمام هيكل
الرب بعد ما سبى نبوخذ ناصر ملك بابل يكنيابن يهويا قيم ملك يهوذا
ورؤساء يهوذا والنجارين والحدادين من أورشليم وأتى بهم الى بابل ،
في السلة الواحدة تين جيد جدا مثل التين الباكوري وفي السلة الاخرى
تين رديء جدا لا يؤكل من رداءته . فقال لي الرب ماذا أنت راء يا ارميا .
فقلت تينا . التين الجيد جيد جدا والتين الرديء رديء جدا لا يؤكل من
رداءته ثم صار كلام الرب لى قائلا . هكذا قال الرب اله اسرائيل .
**كهذا التين الجيد . هكذا انظر الى سبى يهوذا الذى أرسلته من هذا الموضع
الى أرض الكلدانيين للخير** . وأجعل عيني عليهم للخير وأرجعهم الى
هذه الأرض وأبنيهم ولا أهدمهم وأغرسهم ولا أقلعهم . وأعطيهم قلبا
ليعرفوني أني أنا الرب فيكونوا لى شعبا وأنا أكون لهم الها لأنهم
يرجعون الى بكل قلبهم . وكالتين الرديء الذى لا يؤكل من رداءته
هكذا قال الرب هكذا أجعل صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه وبقية أورشليم
الباقية في هذه الارض والساكنة في أرض مصر . وأسلمهم للقلق والجوع
والوباء حتى يفنوا عن وجه الأرض التى أعطيتهم وآباءهم اياها (ارميا
ص ٢٤) .

والتعبير في هذه الرؤيا واضح وجليل وبليغ فان سبايا بيت يهوذا
غدا نفر يخصهم الله جل شأنه بالسبي الى أرض الكلدانيين — وكذلك
الذين فروا الى مصر خوفا من السبي هلاكا يهلكون ولا يرجعون الى الارض
التي أخرجهم الله منها . أما النفر الذين خصهم الله بالسبي الى أرض
الكلدانيين فسيتطهرون بالسبي وتحن قلوبهم الى ربهم ويرجعون اليه بها
فيعيدهم الى الارض التى أخرجهم منها ليكونوا حفظة على شريعة الرب التى
ألقاها الى موسى والنبيين من بنى اسرائيل وشهودا على نبوءات وأسفار
العهد القديم وأحداثه ، ولتبقى كلمة الله محمولة محفوظة بأيدى المتطهرين
التائبين وعلى الارض التي وعد بها آباءهم ابراهيم واسحق ويعقوب اسرائيل.
ولتتم فيهم وبهم وبنسلهم النبوءات التى بشرت بمولد السيد المسيح من
بيت يهوذا « لأن يهوذا اعتز على اخوته **ومنه الرئيس** » (الأيام الأولى ٥ :

٢) : « **فقال اسمعوا يا بيت داود** · هل قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا الهي أيضا · ولكن يعطيكم السيد نفسه آية · ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل » (اشعياء ٧ : ١٣ – ١٤) وأيضا « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا أبا أبديا رئيس السلام · لنمو رياسته وللسلام لا نهاية **على كرسي داود على مملكته** ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الأبد غيره رب الجنود تصنع هذا » (أشعياء ٩ : ٦ – ٧) ، « ها أيام تأتى يقول الرب **وأقيم لداود** غصن بر فيملك ملك وينجح ويجرى حقا وعدلا فى الأرض · فى أيامه يخلص يهوذا ويسكن اسرائيل آمنا وهذا هو اسمه الذى يدعونه به الرب برنا » (آرميا ٢٣ : ٥ – ٦) ، « ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم الكلمة الصالحة التى تكلمت بها الى بيت اسرائيل والى بيت يهوذا · فى تلك الأيام وفى ذلك الزمان **انبت لداود غصن البر** فيجرى عدلا وبرا فى الأرض · فى تلك الأيام يخلص يهوذا وتسكن أورشليم آمنة وهذا ما تتسمى به الرب برنا » (ارميا ٣٣ : ١٤ – ١٦) والذى قيل عنه بالتنبؤات والرؤى والوحى الالهى « هو ذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم · لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفىء · الى الأمان يخرج الحق · لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الارض وتنتظر الجزائر شريعته » (اشعياء ٤٢ : ١ – ٤) ، « هو ذا على الجبال قدما مبشر مناد بالسلام · عيدى يا يهوذا أعيادك أوفى نذورك فانه لا يعود يعبر فيك أيضا المهلك · قد انقرض كله » (ناحوم ١ : ١٥) ، « ابتهجى جدا يا ابنة صهيون اهتفى يابنت أورشليم هو ذا ملكك يأتى اليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن اتان ··· ويتكلم بالسلام للأمم **وسلطانه من البحر الى البحر ومن النهر الى أقاصى الأرض** » (زكريا ٩ : ٩ – ١٠) وفى رؤيا دانيال النبى لتحديد الأزمنة « سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم وليؤتى بالبر الابدى ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين : فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها الى **المسيح الرئيس** سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا يعود ويبنى سوق وخليج فى ضيق الازمنة» (دانيال ٩: ٢٤–٢٥) ·

ولتتم مشيئة الله سبحانه وارادته ففى نحو ٥٣٦ ق.م « وفى السنة الأولى لكورش ملك فارس لأجل تكميل كلام الرب بفم ارميا **نبه الرب**

روح كورش ملك فارس فأطلق نداء فى كل مملكته وكذا بالكتـابة قائلا هكذا قال كورش ملك فارس ان الرب اله السماء قد أعطانى جميع ممالك الارض وهو أوصـــانى أن أبنى له بيتا فى أورشليم التى فى يهوذا » (الايام الثانى ٣٦:٢٢ـ٢٣) « من منكم من كل شعبه ليكن الهه معه ويصعد الى أورشليم التى فى يهوذا فيبنى بيت الرب اله اسرائيــل • هو الاله الذى فى أورشليم وكل من بقى فى أحد الاماكن حيث هو متغرب فلينجده أهل مكانه بفضة وبذهب وبأمتعة وبهائم مع التبرع لبيت الرب الذى فى أورشليم » (عزرا ١:٣ـ٤) •

« فقام رءوس آباء يهوذا وبنيامين والكهنة واللاويون مع كل من نبه الله روحه ليصعدوا ليبنوا بيت الرب الذى فى أورشليم وكل الذين حولهم أعانوهم بآنية فضة وبذهب وبأمتعة وبهائم وبتحف فضلا عن كل ماتبرع به • والملك كورش أخرج آنية بيت الرب التى أخرجهـا نبوخذناصر من أورشليم وجعلها فى بيت آلهته » (عزرا ١:٥ـ٦) •

وفى نحو ٥٣٦ ق‌م عـــاد الذين أراد الرب عودتهـم ونبه روحهم وعزيمتهم على العودة كما عادت آنية بيت الرب « وسكن رؤساء الشعب فى أورشليم • وألقى سائر الشعب قرعا ليأتى بواحد من عشرة للسكنى فى أورشليم مدينة القدس والتسعة أقســـام فى المدن • وبارك الشعب جميع القوم الذين انتدبوا للسكنى فى أورشليم • وهؤلاء هم رءوس البلاد الذين سكنوا فى أورشليم وفى مدن يهوذا • سكن كل واحد فى ملكه فى مدنهم من اسرائيل الكهنـة واللاويين والنثينيم وبنـو عبيد سليمـان • وسكن فى أورشـــليم من بنى يهـــوذا ومن بنى بنيـامين •• (نحمية ١١ : ٤) •

وما أن استقر العائدون حتى شرعوا فى بناء بيت الرب • ولــكن الشعوب التى كانت ساكنة فى الأرض معهم وخصوصا السامريين الذين كانوا يحتلون مدن بيت اسرائيل قبل سبيهم تخوفوا من بناء بيت الرب وأقاموا العراقيل فى سبيل اتمام البناء واشتكوهم الى حكام ذلك الزمان •

وفى نحو ٥٢٠ ق م ملك داريوس حكم فارس وحين رفع اليه أمر بناء بيت الرب بحث عن الامر ببنائه واتضح له أن الملك كورش كان قد أصدر الامر بذلك فاصدر أمرا مشددا بالسماح لليهود وشيوخهم ببناء بيت الرب وأمر بمساعدتهم وتقديم المعونة لهم • فتم بنـــاء بيت الرب ثانية فى السنة السادسة من حكم الملك داريوس فى نحو ٥١٥ ق‌م •

وعاش اليهود فى الارض في المدن التى كان يقيم فيها بيت يهوذا بقيل سبيهم واختلطوا بشعوب الارض التى كانت قد حلت بهـــا أيام سبيهم • وقبـــل ان تمضي سنين طويلة وباختـــلاط الكهنة والشـــعب بالكنعـــانيين والحثيين والفرزيين واليبوســـيين والعمونيين والموآبيين والمصريين والاموريين وآلهم لهم عادات ونقاليد وعبادات وآلهة مختلفة زاغ الشعب بل وفسد الكهنة «فوجد بين الكهنة من اتخذ نساء غريبة» (عزرا ١٠ : ١٨) « وفي تلك الأيام رأيت في يهوذا قوما يدوسون معاصر فى السبت ويأتون بحزم ويحملون حميرا وأيضا يدخلون أورشليم فى يوم السبت بخمر وعنب وتين وكل ما يحمل فاشهدت عليهـــم يـوم بيعهم الطعام » (نحميا ١٣ : ١٥) ، « فى تلك الأيام أيضا رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودى ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى بل بلسان شعب وشعب » (نحميا ١٣ : ٢٣ ـ ٢٤) بل ان كهنتهم أيضا ساكنوا نساء أجنبيات من الشعوب المختلطة بهم « اذكرهم يا الهى لأنهم نجسوا الكهنوت وعهد الكهنوت واللاويين » (نحميا ١٣ : ٢٩) واذ هكذا أصبح حال الكهنة أهل الدين والحفظة لعهود الرب وكلماته فماذا اذن كان حال الشعب ؟ واذا كان مايصفه نحميا الكاهن هو حال كهنة الشعب فى أيامه ، أيام اعادة بناء بيت الرب فماذا كان حالهم بعد حوالى ٥٠٠ عام وكيف كان حال الشعب تحت قيادتهم ؟

(ج) العهد الجديد :

ولد السيد المسيح فى بيت لحم اليهودية (فى أرض يهوذا) فى أيام هيرودس الملك • ولما سمع هيرودس بمولده انزعج جدا لان المجوس الذين رأوا نجمه فى المشرق وأتوا ليســـجدوا له جاءوا الى أورشليم يسألون « **قائلين أين هو المولود ملك اليهود** » (متى ٢ : ٢) فجمع هيرودس كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح « فقالوا له فى بيت لحم اليهودية • لانه هكذا مكتوب بالنبى • وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصـــغرى بين رؤســـاء يهوذا **لأن منك يخـــرج مدبر يرعى شـــعبى اسرائيل** » (متى ٢ : ٥ ـــ ٦) وسعى هيرودس لاهلاك المولود ، ولكن ملاك الرب نبه يوسف فخرج به وبأمه مريم العذراء الى أرض مصر •

وبعد موت هيرودس عاد يوسف ومريم ومعهما المولود الى الأرض المقدسة وسكن فى نواحى الجليل « وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة • لكى يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصريا » (متى ٢ : ٣)

أتى السيد المسيح ليكمل رسالة موسى النبى وليكمل الناموس الالهى (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء · **ما جئت لأنقض بل لأكمل** · فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والارض **لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» (متى ١٧:٥ ـ ١٨)** ·

وكان مجىء السيد المسيح برسالته ليتم به وفيه غفران خطـايا الشعب التى ارتكبها فى الارض المقدسة وبذلك يصبح مستحقا أن يكون شعب الله تجوز له النعم التى وعده بها سبحانه «اذهب وناد بهذه الكلمات نحو الشمال · وقل ارجعى أيتها العاصية اسرائيل يقول الرب · لا أوقع غضبى بكم لأنى رءوف يقول الرب · **لا أحقد آلى الأبد** · اعرفى فقط أنك الى الرب الهك أذنبت وفرقت طرقك للغرباء تحت كل شـجرة خضراء ولصوتى لم تسمعوا يقول الرب · ارجعوا أيها البنون العصاة يقول الرب لانى سدت عليكم فآخذكم واحدا من المدينة واثنين من العشيرة وآتى بكم الى صهيون وأعطيكم رعاة حسب قلبى فيرعونكم بالمعرفة والفهم » (ارميا ١٢:٣ـ١٥) وبعد أن تغفر لهم خطاياهم بالمسيح « فى تلك الايام يذهب بيت يهوذا مع بيت اسرائيل ويأتيان معا من أرض الشمال الى الأرض التى ملكت آباءكم اياها» (ارميا ١٨:٣) ولكن يقول السيد المسيح « وينبغى أن يكرز أولا بالانجيل فى جميع الامم » (مرقس ١٣ : ١٠) .

وعرفت رسالة السيد المسيح برسـالة الفداء وبرسـالة التوبة «**ومفديو الرب** يرجعون ويأتون الى صهيون بترنم وفرح أبدى على رءوسهم ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهد » (اشعياء ٣٥ : ١٠) ، « **هكذا يقول الرب فاديكم** قدوس اسرائيل » (اشعياء ٤٣ : ١٤) وأيضا « **ويأتى الفادى** الى صهيون **والى التائبين** عن المعصية فى يعقوب يقول الرب » (اشعياء ٥٩ : ٢٠) ·

كما عرفت أيضا برسالة البر وبرسـالة الخلاص « وقال لى انما بالرب البر والقوة اليه يأتى ويخزى جميع المغتاظين عليه · **بالرب يتبرر ويفتخر كل نسل اسرائيل** » (اشعياء ٤٥ : ٢٤ ـ ٢٥) ، « ذكرنى فنتحاكم معا · **حدث لكى تتبرر** · أبوك الأول أخطأ ووسطاؤك عصوا على» (اشعياء ٢٦:٤٣ـ٢٧) « هو ذا **الرب قد أخبر** الى أقصى الارض قولوا لابنة صهيون **هوذا مخلصك** آت ها أجرته معه وجزاؤه أمامه · ويسمونه شعبا مقدسا مفديى الرب وأنت تسـمين المطلوبة المدينة غير المهجـورة » (اشعية ٦٢ : ١١ـ١٢) ، « ها أيام تأتى يقول الرب **واقيم لداود غصن** بر فيملك

ملك وينجح ويجرى حقا وعدلا فى الارض· فى أيامه يخلص يهوذا ويسكن اسرائيل آمنا وهذا هو اسمه الذى يدعونه به الرب برنا · لذلك ها أيام تأتى يقول الرب ولا يقولون بعد حى هو الرب الذى أصعد بنى اسرائيل من أرض مصر · بل حى هو الرب الذى أصعد وأتى بنسل بيت اسرائيل من أرض الشمال ومن جميع الاراضى التى طردتم اليها فيسكنون فى أرضهم» (ارميا ٢٣:٥–٨) ، «احتمل غضب الرب لانى أخطأت اليه حتى يقيم دعواى ويجرى حقى سيخرجنى الى النور سأنظر بره » (ميخا ٧:٩) وأيضا قال عنه ملاك الرب عند مولده «فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب· انه ولد لكم اليوم فى مدينة داود **مخلص هو المسيح الرب** » (لوقا ٢ : ١٠ – ١١) ·

كما سميت رسالة السيد المسيح بالعهد الجديد « ها أيام تأتى يقول الرب وأقطع مع بيت اسرائيل وبيت يهوذا **عهدا جديدا** · ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى فرفضتهم يقول الرب · بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت اسرائيل بعد تلك الايام يقول الرب · **أجعل شريعتى** فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم الها وهم يكونون لى شعبا » (ارميا ٣١ : ٣١ – ٣٣) ·

وبذلك يكون اتباع رسالة السيد المسيح شرطا واجبا لتمحى ذنوب بنى اسرائيل جميعا سواء كانوا من بيت اسرائيل أو بيت يهوذا ويدخلون فى العهد الجديد مع الرب «أنا أولا قلت لصهيون هاهم ولأورشليم جعلت مبشرا» (اشعياء ٤١:٢٧) ، «لانه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الارض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطى زرعا وخبزا للآكل. هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى لا ترجع الى فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح فيما أرسلتها له » (اشعياء ٥٥:١٠–١١) ، « هكذا قال الرب · امنعى صوتك عن البكاء وعينيك عن الدموع لانه يوجد جزاء لعملك يقول الرب فيرجعون من أرض العدو · ويوجد رجاء لآخرتك يقول الرب · فيرجع الابناء الى تخمهم » (ارميا ٣١:١٦–١٧) ، « وأردسبى يهوذا وسبى اسرائيل وأبنيهم كالاول وأطهرهم من كل اثمهم الذى اخطأوا به الى وأغفر كل ذنوبهم التى اخطأوا بها الى والتى عصوا بها على» (ارميا ٣٣:٧–٨) ، « فآخذكم من بين الامم وأجمعكم من جميع الاراضى وآتى بكم الى أرضكم · وأرش عليكم ماء طاهرا فتطهرون من كل نجاستكم ومن كل أصنامكم أطهركم وأعطيكم قلبا جديدا وأجعل روحا جديدة فى داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم »

(حزقيال ٣٦ : ٢٤ ـ ٢٦) ، «هكذا قال السيد الرب فى يوم تطهيرى اياكم من كل آثامكم أسكنكم فى المدن فتبنى الخرب ..» (حزقيال ٣٦:٣٣) ، « وقل لهم هكذا قال السيد الرب . هأنذا آخذ بنى اسرائيل من بين الامم التى ذهبوا اليها وأجمعهم من كل ناحية وآتى بهم الى أرضهم . وأصيرهم أمة واحدة فى الارض على جبال اسرائيل **وملك واحد يكون ملكا عليهم** ولا يكونون بعد أمتين ولا ينقسمون بعد الى مملكتين . ولا يتنجسون بعد بأصنامهم ولا برجاساتهم ولا بشىء من معاصيهم بل أخلصهم من مساكنهم التى فيها اخطأوا وأطهرهم فيكونون لى شعبا وأنا أكون لهم الهـا » (حزقيال ٣٧ : ٢١ـ٢٣) ، «ولا أحجب وجهى عنهم بعد **لانى سكبت روحى على بيت اسرائيل يقول السيد الرب**» (حزقيال ٢٩:٣٩) وأيضا « ترنمى يا ابنة صهيون اهتف يا اسرائيل افرحى وابتهجى بكل قلبك يا ابنة **أورشليم . قد نزع الرب الاقضية** عليك . أزال عدوك **ملك اسرائيل الرب فى وسطك** . لاتنتظرين بعد شرا » (صنفيا ٣ : ١٤ ـ ١٥) .

(د) اليهود والسيد المسيح :

قبل أن يعلن السيد المسيح رسالته كان يوحنا المعمدان الذى جاء بروح ايليا النبى وقوته « هأنذا أرسل اليكم ايليا النبى قبل مجىء يوم الرب» (ملاخى ٤:٥) وعنه يقول السيد المسيح «ولكننى أقول لكم ان ايليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا . كذلك ابن الانسان أيضا سوف يتألم منهم . **حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان**» (متى ١٧:١٢ـ١٣) يدعو اليهود الى التوبة والصلاح مبشرا بقرب قيام السيد المسيح برسالته « قائلا توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات ، فان هذا هو الذى قيل عنه باشعياء النبى القائل صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب . اصنعوا سبله مستقيمة» (متى ٢:٣ـ٣) وقال لهم محذرا اياهم من اصرارهم على الضلال «فاصنعوا ثمارا تليق بالتوبة . ولا تفكروا **أن تقولوا فى أنفسكم لنا ابراهيم أبا** لانى أقول لكم **ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لابراهيم**» (متى ٨:٣ـ٩) .

وبدأ السيد المسيح رسالته فى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول « قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مرقس ١ : ١٥) .

والأصل فى رسالة السيد المسيح أنها موجهة الى بنى اسرائيل لردهم الى حظيرة الرب « فأجاب وقال لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل

الضالة » (متى ١٥ : ٢٤) وحين جمع المسيح تلاميذه وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسه حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف « لأؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا • بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة» (متى ١٠:٥-٦) ولما عير الفريسيون تلاميذ المسيح بأنه يأكل مع العشارين والخطاة «فلما سمع يسوع قال لهم لا يحتاج الاصحاء الى طبيب بل المرضى • فاذهبوا وتعلموا ما هو • انى أريد رحمة لا ذبيحة لانى لم آت لادعو أبرارا بل خطاة الى التوبة» (متى ٩:١٢-١٣) •

وكانت رسالة السيد المسيح عن المحبة وأولها محبة الرب « فأجابه ان أول كل الوصايا هى اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية الاولى » (مرقس ١٢:٢٩-٣٠) وعن المحبة بكل معانيها السامية «قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا نقتل • ومن قتل يكون مستوجب الحكم • وأما أنا فأقول لكم ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم» (متى ٥:٢١) ، «سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم • باركوا لاعنيكم • أحسنوا الى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم» (متى ٥:٤٣-٤٤) ،

وكانت رسالته أيضا عن الطهر والعفة «قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن وأما أنا فأقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنا فى قلبه» (متى ٥:٢٧-٢٨) ، « وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق • وأما أنا فأقول لكم ان من طلق امرأته الا لعلة الزنا يجعلها تزنى • ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى» (متى ٥:٣١-٣٢) •

وعن السلام والتسامح « سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن • وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر • بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر أيضا» (متى ٥:٣٨-٣٩) ، «وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم» (متى ٦ : ١٥) •

وعن البر بالفقراء « من سألك فاعطه • ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده» (متى ٥:٤٢) وأيضا «قال له يسوع ان أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى » (متى ١٩ : ٢١) •

وعن التواضع وصفاء النفس « وأما أنت فمتى صنعت صدقة

فلا تعرف شمالك ما تفعـــل يمينك · لكى تكون صدقتك فى الخفاء · فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك علانية» (متى ٦:٣ـ٤) ، « وبل من أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن لـــكم خادما · ومن أراد أن يكون فيكم أولا فليكن لكم عبدا » (متى ٢ : ٢٦ ـ ٢٧) « وأكبركم يكون خادما لكم فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع » (متى ٢٣ : ١١ ـ ١٢) وأيضا « وقال الحق أقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (متى ١٨ : ٣) ·

وعن الزهد فى المال ابتغاء وجه الله « لايقدر أحد أن يخدم سيدين لانه اما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » (متى ٦ : ٢٤) ·

وآمن كثيرون من عامة الشعب برسالة السيد المسيح لأنها كانت قريبة الى نفوسهم والى مشـــاعرهم « وتبعته جموع كثيرة فشـــفاهم جميعا » (متى ١٢ : ١٥) وكان لتعاليمه ومعجزاته أثر طيب فى عامة الشعب حتى كاد الشعب كله يصـير اليه ويتبع تعاليمه · ممـا أثار ثائرة رؤساء الكهنة وأتباعهم من الكتبة والفريسيين الذين كانوا يحتكرون صناعة الدين يتخذون منها حرفة للمكسب وسلطانا على الشعب « فانهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على اكتاف النـــاس وهم لا يريدون أن يحركوها بأصابعهم » (متى ٢٣ : ٤٠) « ويحبون المتكأ الاول فى الولائم والمجالس الاولى فى المجامع والتحيات فى الاسواق وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى » (متى ٢٣ : ٦ ـ ٧) ·

وعرف الشعب صوت الرب واحس برحمته وحبه خلال رســـالة المسيح « قال لهم وأنتم من تقولون أنى أنا · فاجاب سمعان بطرس وقال **أنت هو المســـيح ابن الله الحى** » (متى ١٦ : ١٥ :) وأيضـــا عندما دخل الى أورشليم راكبا الأتان « **فقالت الجموع هـذا يسوع النبى** الذى من ناصرة الجليل » (متى ٢١ : ١١) ·

· ولما دخل المسيح الى أورشليم « ودخل يسوع الى هيكل الله وأخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام وقال لهم · **مكتوب بيتى بيت الصلوة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص** » (متى ٢١ : ١٢ ـ ١٣) ·

وغضب رؤساء الكهنة والكتبة لان النصيب الاكبر فى تلك التجارة كان لهم ولاقاربهم ومن يلوذ بهم من التوابع ؛ وزاد من غضبهم ماعمله

المسيح من معجزات فى ذلك الوقت « وتقدم اليه عمى وعرج فى الهيكل فشفاهم » (متى ٢١ : ١٤) وأيضا مارأوه فى الشعب من حب له وتعلق برسالته • وتقدم اليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب يســـألون « باى سلطان تفعل هذا ومن أعطاك هذا السلطان » (متى ٢١ : ٢٣) فسألهم بدوره عن معمودية يوحنا من أين كانت من الســماء أم من الناس • فأفحمهم وأسكتهم لأنهم لم يؤمنوا بيوحنا أيضا ولكنه كان عند الشعب مثل نبى ، « وقال لهم يســوع الحق أقول لكم ان العشارين والزوانى يسبقونكم الى ملكوت الله » (متى ٢١ : ٤٣) وقال لهم أيضا « لذلك أقول لكم **ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره**» (متى ٢١: ٤٣) « ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه يتكلم عليهم • واذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبى (متى ٢١ : ٤٥ ــ ٤٦) •

ولما اقترب عيد الفصح « حينئذ اجتمع رؤســاء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب الى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع ويقتلوه » (متى ٢٦ : ٣ ــ ٤) •

وأصبح اسم يهوذا الأسخريوطى علما على الخيانة والغدر بأوسع معانيهما ولأدنأ المقاصد • ففى مساء عيد الفصح كان يهوذا يأكل مع السيد المسيح وفى الليل أسلمه الى أعداء الرب • « وفيما هو يتكلم اذ يهوذا واحد من الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من **عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب** » (متى ٢٦ : ٤٧) •

وأصبحت قبلة يهوذا رمزا أبديا لخيانته « والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا **الذى أقبله هو هو** • أمسكوه » (متى ٢٦ : ٤٨) •

ولما أمسكوا السيد المسيح « واذا واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه » (متى ٢٦ : ٥١) فقال له يسوع « سيفك الى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون » (متى ٢٦ :٥٢) •

ومضــوا بالمسيح الى قيــافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ « ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه فأوثقوه ومضوا به ودفعوا به الى بيلاطس البنطى الوالى » (متى ٢٧ : ١ ــ ٢) ولما وجد الوالى أن المسيح لم يرتكب ذنبا يؤخذ به أراد أن يطلقه « وكان الوالى معتادا فى العيد أن يطلق للجميع

أسيرا واحدا من أرادوه » (متى ٢٧ : ١٥) « ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع » (متى ٢٧ : ٢٠) « قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح • قال له الجميع ليصلب » (متى ٢٧ : ٢٢) •

ولما رأى الوالى أن لا نتيجة الا زيادة الشغب أخذ ماء وغسل يديه أمام الجمع المحتشد « قائلا **انى برىء من دم هذا البار** • أبصروا أنتم » (متى ٢٧ : ٢٤) « فأجاب جميع الشعب وقالوا **دمه علينا وعلى** أولادنا » (متى ٢٧ : ٢٥) •

الباب الخامس

سفك الدم المقدس

(أ) لماذا رفض اليهود رسالة المسيح ؟

ان الشعب الذى خرج منه « دزرائيلى » بالرأسمالية الامبراطورية، هو الشعب الذى خرج منه « كارل ماركس » بالشيوعية ، وهو الشعب نفسه الذي كان « قيافا » عنوان الزندقة والخيانة والكذب رئيساً لكهنته عند ظهور السيد المسيح وتبشيره برسالته • وكان اليهود قد مضى عليهم زهاء خمسة قرون فى أرض يهوذا بعد عودتهم من السبى ، وكان الكهنة وأتباعهم من الكتبة والفريسيين والصدوقيين هم المتسلطون على الشعب يسيرون حياته ومقدراته وفق شريعة موسى وأحكام الله التى نقلها اليهم النبييون ، واعتبروا أنفسهم الحفاظ على الشريعة وعلى تنفيذها • كما كانوا يقومون بأعمال القضاة بين الناس من شعبهم وجباية العشور منهم ، وكذلك الاشراف على القرابين والذبائح بيعا وشراء وتقديما • بل انه كان لهم سلطة الحياة أو الموت على أفراد شعبهم •

وظهر السيد المسيح ، وبدأ رسالته وبدأ تعاليمه واتجه بها جميعا الى الشعب رأسا ، الى الفقراء والمحتاجين والعشارين والخطاة • اتجه اليهم يعلمهم رسالة المحبة والسلام ويصنع لهم وفيهم المعجزات « العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون » (متى ١١ : ٥) لايبالى أن صنع ذلك فى السبت المقدس أو داخل هيكل الرب المقدس • لا يطلب عن ذلك أجرا الا رد الخطاة والضالين الى حظيرة الرب ليعملوا بأحكامه ووصاياه ، لا بحرفياتها

الجامدة كما يصر الكهنة والكتبة ، ولكن بروحانياتها ومعانيها السامية ٠

وكان المسيح فقيرا متواضعا لا سلطان له من مال أو جاه ، واتخذ له تلاميذ من الصيادين وعامة الشعب ، وكانت الجموع التى تحيط به وتستمع اليه من صميم الشعب ٠ وصار يعلمهم بالحكمة والأمثال وكانوا يحبون تعاليمه ويصغون الى كلماته « لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة » (متى ٧ : ٢٩) « فتبعته جموع كثيرة من الجليل والمدن العشر وأورشليم واليهودية ومن عبر الأردن » (متى ٤ : ٢٥) وأصبح نجاح رسالته يهدد الكهنة بتضاؤل نفوذهم وقرب زوال النعمة عنهم وعن تابعيهم ٠

ورأى المسيح أن الكهنة والكتبة والفريسيين والصدوقيين هم علة ضلال هذا الشعب « لما رأى الجموع تحنن عليهم اذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها » (متى ٩ : ٣٦) فوجه الى الكهنة وأتباعهم سهام نقده « لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون **لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس** فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون » (متى ٢٣ : ١٣) ، وأنذرهم « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون لأنكم تعشرون النعنع والشبت والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والايمان ٠ كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك ٠ أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل » (متى ٢٣ : ٢٣ر٢٤) ٠ وكشف عن حقيقتهم للشعب « هكذا أنتم من خارج تظهرون للناس أبرارا ولكنكم من داخل مشحونون رياء واثما » (متى ٢٣ : ٢٨) ٠ واستمطر عليهم وعلى جيلهم عاقبة شرورهم واثمهم وشرور آبائهم وآثامهم « لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الارض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح ٠ **الحق أقول لكم أن هذا كله يأتى على هذا الجيل** » (متى ٢٣ : ٣٥ ــ ٣٦) ٠ كما أشهد الجموع على معصية الجيل واصرارهم على المضى فى تمردهم ، وتنبأ بالعقاب الذى كان حريا أن ينزل بأورشليم وبخراب بيت الرب فيها « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ٠ **هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا** » (متى ٢٣ : ٣٧ ر٣٨) وعن هيكل بيت الرب « فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه ٠ الحق أقول لكم انه لا يترك هنا حجر على حجر لا ينقض » (متى ٢٤ : ٢) ٠

ولما دخل المسيح هيكل الرب فى أورشليم أخرج منه الباعة والمشترين وقلب موائد الصيارفة وانتهرهم جميعا لأنهم أحالوا هيكل الرب وبيت الصلاة الى سوق تجارة مارسوا فيه الربح والمساومة ·

وحاول الكهنة والكتبة والفريسيون والصدوقيون كل بدوره أن يجادلوا المسيح فى تعاليمه أو أن يخطئوه فى أعماله ولكن كان من المحال أن يتطاول منطقهم المادى الهزيل الى مقام الرسالة السماوية مما جعلهم يتضاءلون وتضيع هيبتهم فى الشعب أمام اجابات المسيح البليغة وأسئلته المعجزة « فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة · ومنذ ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله البتة » (متى ٢٢ : ٤٦) ·

وحاولوا أن يوقعوا بين تعاليم المسيح وبين أحكام الحكام ، وكانت البلاد تحت حكم الرومان تدفع الجزية لقيصر ، فسألوه أن كان يجوز دفع الجزية لقيصر فكان جوابه على سؤالهم هذا حكمة خالدة « فقال لهم اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (متى ٢٢ : ٢١) ·

ولاقت رسالة السيد المسيح ولاقت تعاليمه وبشارته نجاحا سريعا كان حريا أن يقضى على سلطة الكهنة وكتبة الشعب والفريسيين والصدوقيين ومن سار فى ركابهم متاجرا بالدين · ان أجيالالم ترمعجزات المسيح آمنت برسالتة بعد سنين طويلة من انقضاء زمان وجوده علىالأرض، فليس غريبا أن يؤمن الجيل الذى عاين المعجزات بنفسه وسمع العظات بأذنيه أو عاصرهما بالرسالة والمنزل بهاء وبالفعل أصبح المسيح فى عيون الشعب مثل نبى (متى ٢١ : ٤٥) · وحينما تآمر رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ليمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه خافوا أن يقدموا على ذلك فى العيد وعلى الملأ أو فى وضح النهار لئلا يكون شغب فى الشعب (متى ٢٦ : ٥) « وكان يعلم كل يوم فى الهيكل وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه الشعب يطلبون أن يهلكوه · ولم يجدوا ما يفعلون لأن الشعب كله كان متعلقا به ويسمع منه » (لوقا ١٩ : ٤٧ و ٤٨) ·

وكان الكهنة يعلمون تمام العلم أن رسالة السيد المسيح حق لا مرية فيها وكانت الأجيال تنتظر المسيح « ملك اسرائيل » على حسب النبؤات الكثيرة المتلاحقة التى تنبأ بها أنبياء بنى اسرائيل ومن كلام الرب سبحانه على أفواه هؤلاء الأنبياء · كذلك كانوا هم أنفسهم شهود عيان لما يجرى تحت أبصارهم من معجزات وما ينتهى الى آذانهم من حكم وعظات · ولكن النظرة المادية التى أصبحت تسيطر على عقول هؤلاء الكهنة وأفكارهم ، والتي أصبحت مقياسا لصلاتهم بالعالم أو قرت في أذهانهم أنه سيكون

ملكا أرضيا بسلطان عظيم وجنود وسيوف تقيمه وتحميه ، كما صورت لهم ما سيكون عليه حالهم تحت هـذا الحـكم من منعـة السـلطان وزيادة النفوذ وعلو المكانة في الشعب وزيادة فى الجاه والمال • وأضـلهم الله فنسوا ما قاله سبحانه عن خلاص بيت يهوذا بعد رجوعهم من السبى «وأما بيت يهوذا **فأرحمهم وأخلصهم بالرب آلههم** ولا أخلصهم بقوس وبسيف وبحرب وبخيل وبفرسان » (هوشع ١ : ٧) •

وتغلبت الماديات على الروحانيات وبلغ الحقد والكره بالكهنة للسيد المسيح ورسالته أن رسموا الخطة للخلاص منه « وكان قيافا هو الذى أشار على اليهود أنه خير أن يموت انسان واحد عن الشعب » (يوحنا ١٨ : ١٤) • فالقوا على يهوذا الأسخريوطى أحد تلاميذ المسيح شباك مكرهم وأقنعوه بأن يخون معلمه ويسلمه اليهم ليلا •

وخرجوا عليه بالسيوف والعصى « فى تلك الساعة قال يســوع للجموع كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى • كل يوم كنت أجلس معكم أعلم فى الهيكل ولم تمسكونى » (متى ٢٦ : ٥٥) • وكان الكهنة يعلمون أن المسيح الذى نادى برسالة المحبة والسلام لن يقــاوم الشر بالشر • وأن الأمر لو قوبل بالمعجزة لما كان لهذه العصى والسيوف قبل بها « أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب الى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة • فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغى أن يكون » (متى ٢٦ : ٣٥) • ولكن كانت المظاهرة المسلحة لارهاب تلاميذ المسيح وتخويف الشعب « لانه مكتوب أنى أضرب الراعى فتتبدد خراف الرعية » (متى ٢٦ : ٣١) وعندما قبضوا على المسيح حينئذ تركه التلاميذ وهربوا • بل ان بطرس أحد تلاميذه ، وكان قـد تبعه الى بيت رئيس الكهنة ، أنكر أنه حتى يعرف المسيح حينما واجهوه أنه كان مع يسوع الجليلى •

(ب) مسئولية اليهود عن سفك الدم المقدس

بعد مرور قرابة عشرين قرنا من الزمان على رسالة السيد المسيح وامتناع اليهود عن الايمان بها • تحاول الصهيونية العالمية اليوم أن تزيل من سجل تاريخ الاحداث حدثا هاما وجريمة منكرة أنهى بها اليهود رفضهم للرسالة السماوية التى جاء بها السيد المسيح ليعيدهم الى حظيرة الايمان ويكمل بها رسالة الســـماء للبشر • والجريمة التى ارتـــكبها اليهود ليتخلصوا من السيد المسيح ورسالته بأن أسلموه الى الموت لم تكن أول

جريمة سفك لدماء الأنبياء الطاهرة فى تاريخ بنى اسرائيل فان الله سبحانه وتعالى شهد عليهم بذلك « لذلك قل لهم . هكذا قال السيد الرب تأكلون بالدم وترفعون عيونكم الى أصنامكم **وتسفكون الدم** . أفترثون الأرض » (حزقيال ٣٣ : ٢٥) كما شهد عليهم السيد المسيح نفسه فقال وهو يتوعدهم بغضب الله عليهم « لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا **الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح** » (متى ٢٣ : ٣٥) وأيضا وهو ينذر أورشليم بالمصير الذى سيصيبها « يا أورشليم يا أورشليم **يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها** » (متى ٢٣ : ٣٧) .

وتظن الصهيونية أن مرور هذا الوقت الطويل على هذا الحدث الكبير قد يكون عاملا يمكن معه مغالطة العالم فى حقيقة أثبتتها أسانيد من كلام الله سبحانه وما أتى على لسان الأنبياء والمسيح وما رواه الشهود العيان من تلاميذ المسيح .

ولعل ما وصلت اليه الصهيونية من نفوذ وتأثير ، وخصوصا فى العالم الغربى ، قد استطاع أن يحرك بعض النفوس فى محاولة لمحو تلك الوصمة الأبدية التى وصم بها اليهود من سجل شرورهم وآثامهم .

ان العالم الغربى وان كان يضم كثرة من المسيحيين ، الا أنه لايمكن أن ينفرد فيه نفر فى محاولة لتغيير أساس ثابت من أسس الايمان بالعقيدة المسيحية ، كما لا يمكن لجماهير المسيحيين فى العالم أن يسمحوا بالعبث بمقومات عقيدتهم مهما كانت الدوافع الى ذلك .

ان الدين منطق وعقيدة ، منطق يقبله العقل ويستريح اليه ، وعقيدة تتكون مما يرد عنها فى الكتب السماوية ، كلمات الله التى لاتتغير ولا تتبدل . فاذا امتزج المنطق بالعقيدة أصبح الدين ايمانا يسكن القلب ويملأ النفس وتفيض به كل المشاعر النبيلة فى المؤمن .

وفى أسفار العهد الجديد من الكتاب المقدس وصف شامل كامل للأحداث التى صارت وللأقوال التى دارت حول النهاية التى رتبها كهنة اليهود ورؤساء الشعب منهم والتى ساقوا فيها عامة الشعب معهم يؤازرهم للتخلص من السيد المسيح ورسالته على النحو الوارد بها .

ويقول متى الرسول فى انجيله عن هذه اللحظات الحاسمة حينما تقابل رئيس الكهنة قيافا مع السيد المسيح وهو مقبوض عليه فى داره « **وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع**

لكي يقتلوه » (متى ٢٦ : ٤٩) ثم يستطرد « فقام رئيس الكهنة وقال له أما تجيب بشيء • ماذا يشهد به هذان عليك • وأما يسوع فكان ساكتا • **فأجاب رئيس الكهنة وقال له استحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله • قال له يسوع أنت قلت** • وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وأتيا على سحاب السماء • فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا قد جدف • ما حاجتنا بعد الى شهود • ها قد سمعتم تجديفه • ماذا ترون • فأجابوا وقالوا انه مستوجب الموت » • (متى ٢٦ : ٦٢ ـ ٦٦) •

أما لوقا فقال في ذلك « ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه الى مجمعهم • قائلين ان كنت أنت المسيح فقل لنا • فقال لهم ان قلت لكم لاتصدقون • وان سألت لاتجيبوننى ولا تطلقوننى • منذ الآن يكون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله • فقال : الجميع أفأنت ابن الله • فقال لهم أنتم تقولون أنى أنا هو • فقالوا ماحاجتنا بعد الى شهادة لأننا نحن سمعنا من فمه» (لوقا ٢٢:٦٦ـ٧١) •

ويقول يوحنا « فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه • أجابه يسوع أنا كلمت العالم علانية • أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما • وفى الخفاء لم أتكلم بشيء • لماذا تسألنى أنا • اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم • هو ذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا • ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدم كان واقفا قائلا أهكذا تجاوب رئيس الكهنة • أجابه يسوع ان كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردى وان حسنا فلماذا تضربنى • وكان حنان قد أرسله موثقا الى قيافا رئيس الكهنة » (يوحنا ١٨ : ١٩ ـ ٢٤) •

ويقول مرقس الرسول « فمضوا بيسوع الى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة ••• **وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه** فلم يجدوا • لأن كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهاداتهم » (مرقس ١٤ : ٥٣ ـ ٥٦) ويمضى فى كلامه فيقول « فقام رئيس الكهنة في الوسط وسأل يسوع قائلا أما تجيب بشيء • ماذا يشهد به هؤلاء عليك • أما هو فكان ساكتا ولم يجب بشيء • **فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له أأنت المسيح ابن المبارك • فقال يسوع أنا هو** • وسوف تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء • فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال

ما حاجتنا بعد الى شهود • قد سمعتم التجـــاديف ما رأيكم • **فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت** » (مرقص ١٤ : ٦٠ ـ ٦٤) •

أما عن تقديم السيد المسيح الى الوالى فيقول متى الرسول « فوقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلا أأنت ملك اليهود • فقال له يسوع أنت تقول • وبينما كان **رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه** لم يجب بشيء • فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك • فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جدا • وكان الوالى معتـادا فى العيد أن يطلق للجمع أسيرا واحدا من أرادوا • وكان لهم حينئذ أسير مشـــهور يسمى باراباس • ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون أن أطلق لكم • باراباس أو يسوع الذى يدعى المســيح • **لأنه علم أنهم أسلموه حسدا** » (متى ٢٧ : ١١ ـ ١٨) ويمضى متى فى روايته فيقول **ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع** على أن يطلبـــوا باراباس ويهلكوا يسوع • فأجاب الوالى وقال لهم من من الاثنين تريدون أن أطلق لكم • فقالوا باراباس • قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح • **قال له الجميع ليصلب** • فقال الوالى أى شر عمـــل • فكانوا يزدادون صراخا قائلين ليصلب • فلما رأى بيلاطس أنه لاينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا **انى برىء من دم هذا البار** • أبصروا أنتم • **فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا** • حينئذ أطلق لهم باراباس وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب » (متى ٢٧ : ٢٠ ـ ٢٦) •

ويقول لوقا فى ذلك « فقام كل جمهورهم وجاءوا به الى بيلاطس وابتدأوا يشتكون عليه قائلين اننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنـــع أن تعطى جزية لقيصر قائلا انه هو مسيح ملك • فسأله بيلاطس قائلا أنت ملك اليهود • فأجابه وقال أنت تقول • فقال بيلاطس لرؤســاء الكهنة والجموع انى لاأجد علة فى هذا الانسان • فكانوا يشددون قائلين انه يهيج الشعب وهو يعلم فى كل اليهودية مبتدئا من الجليل الى هنا • فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلى • وحين علم أنه من سلطنة هيرودس أرسله الى هيرودس اذ كان هو أيضا تلك الايام فى أورشليم • وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جدا لانه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجى أن يرى آية تصنع منه • وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشىء • ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد • فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباسا لامعا ورده الى بيلاطس » (لوقا ٢٣ : ١ ـ ١١) ويكمل لوقا روايتـــه فيقول

« فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب . وقال لهم . قد قدمتم الى هذا الانسان كمن يفسد الشعب . وهأنذا قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الانسان علة مما تشتكون به عليه . ولا هيرودس أيضا . لانى أرسلتكم اليه . وها لا شيء يستحق الموت صنع منه . فأنا أؤدبه وأطلقه . وكان مضطرا أن يطلق لهم كل عيد واحدا . فصرخوا بجملتهم قائلين خذ هذا واطلق لنا باراباس . وذاك كان قد طرح فى السجن لاجل فتنة حدثت فى المدينة وقتل . فناداهم أيضا **بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع . فصرخوا قائلين اصلبه اصلبه** . فقال لهم ثالثة فأى شر عمل هذا . **انى لم أجد فيه علة للموت** . فأنا أؤدبه وأطلقه . فكانوا يلجون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب . **فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة** . فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم . فاطلق لهم الذى طرح فى السجن لأجل فتنة وقتل الذى طلبوه وأسلم يسوع لمشيئتهم » (لوقا ٢٣ : ١٣ — ٢٥) .

ويقول يوحنا عن ذلك « ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية . وكان صبح . ولم يدخلوا هم الى دار الولاية لكيلا يتنجسوا فيأكلون الفصح . فخرج بيلاطس اليهم وقال أية شكاية تقدمون على هذا الانسان . أجابوا وقالوا له لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه اليك . فقال لهم بيلاطس خذوه أنتم واحكموا عليه على حسب ناموسكم فقال له اليهود لايجوز لنا أن نقتل أحدا . ليتم قول يسوع الذى قاله مشيرا إلى أية ميتة كان مزمعا أن يموت . ثم دخل بيلاطس أيضا الى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود . أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنى . أجابه بيلاطس العلى أنا يهودى . **امتك ورؤساء الكهنة أسلموك الى** . ماذا فعلت . **أجاب يسوع مملكتى ليست من هذا العالم** . لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم الى اليهود . ولكن الآن ليست مملكتى من هنا . فقال له بيلاطس أفأنت اذن ملك . أجاب يسوع أنت تقول انى ملك . لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت الى العالم لأشهد للحق . **كل من هو من الحق يسمع صوتى** . قال له بيلاطس ما هو الحق . ولما قال هذا خرج أيضا إلى اليهود وقال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة . ولكم عادة أن أطلق لكم واحدا فى الفصح . أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود . فصرخوا أيضا جميعهم قائلين ليس هذا بل باراباس . وكان باراباس لصا . فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده . وضفر العسكر اكليلا من شوك ووضعوه على رأسه والبسوه ثوب أرجوان . وكانوا يقولون السلام يا ملك اليهود وكانوا يلطمونه . فخرج بيلاطس أيضا خارجا وقال لهم هأنذا أخرجه

اليكم لتعلموا أنى لست أجد فيه علة واحدة ... **فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين اصلبه اصلبه** . قال لهم بيلاطس خذوه أنتم واصلبوه لانى لست أجد فيه علة . أجابه اليهود لنا ناموس وعلى حسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله . فلما سمع بيلاطس هذا القول ازداد خوفا . فدخل أيضا الى دار الولاية وقال ليسوع من أنت . وأما يسوع فلم يعطه جوابا . فقال له بيلاطس أما تكلمنى . ألست تعلم أن لى سلطانا أن أصلبك وسلطانا أن أطلقك . فأجاب يسوع **لم يكن لك على سلطان البتة** لو لم تكن أعطيت من فوق . **لذلك الذى أسلمنى اليك له خطية أعظم** . من هذا الوقت كان **بيلاطس يطلب أن يطلقه** ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين ان أطلقت هذا فلست محبا لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر . فلما سمع بيلاطس هذا القول أخرج يسوع وجلس على كرسى الولاية .. فقال لليهود هو ذا ملككم . **فصرخوا خذه اصلبه** . قال لهم بيلاطس أأصلب ملككم . أجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك الا قيصر . فحينئذ اسلمه اليهم ليصلب فأخذوا يسوع ومضوا به » (يوحنا ٩ : ٢٨ - ٤٠ ، ١٠ : ١ - ١٦)

ويقول مرقس الرسول « وللوقت فى الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله وأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه الى بيلاطس . فسأله بيلاطس أنت ملك اليهود فأجاب وقال أنت تقول . **وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيرا** . فسأله بيلاطس أيضا قائلا أما تجيب بشىء . انظر كم يشهدون عليك . فلم يجب يسوع أيضا بشىء حتى تعجب بيلاطس .. فأجابهم بيلاطس قائلا أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود . **لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسدا** . فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكى يطلق لهم بالحرى باراباس . فاجاب بيلاطس أيضا وقال لهم فماذا تريدون أن أفعل بالذى تدعونه ملك اليهود . **فصرخوا أيضا اصلبه** . فقال لهم بيلاطس وأى شر عمل . فازدادوا جدا صراخا اصلبه . فبيلاطس اذ كان يريد أن يعمل للجميع ما يرضيهم أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعد ما جلده ليصلب » (مرقس ١٥ : ١ - ١٥) .

وهكذا قبضوا على المسيح ليقتلوه وكان قرارهم بذلك مبيتا ، وخدعوا من كان حاضرا من الشعب وأضلوه ، فاشترك معهم فى اثم الجريمة وحمل معهم دم البار المقدس عليه وعلى الأجيال القادمة من نسله .

ولما رأى بيلاطس البنطى الوالى أن المسيح برىء أراد أن يطلق سراحه ، وأن يخلصه من أيدى هؤلاء القتلة ، ولكنهم لم يمكنوه من ذلك

فقد كان الحقد قد أعمى قلوبهم فانقلبوا الى وحوش ضارية لا ترضى الا أن تلغ في دم الفريسة حتى ولو كان دما مقدسا .

أما الوالي وقد أيقن ببراءة المسيح فقد رفض أن يتحمل وزر ما هم مقدمين عليه فأشهدهم جميعا على تبرئة نفسه من دم هذا البار .

حتى يهوذا الاسخريوطي الذي خان معلمه وأسلمه ، اعترف بالخطأ الذي ساقوه اليه « حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا **قد أخطأت اذ سلمت دما بريئا** . فقالوا ماذا علينا . أنت أبصر » (متى ٢٧ : ٣ و ٤) .

ويشهد عليهم بطرس الرسول فيقول « أيها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال . يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون . هذا أخذتموه مسلما بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه » (أعمال ٢ : ٢٢ و٢٣) .

ويشاركه في هذه الشهادة باقي الرسل فيقولون « فأجاب بطرس والرسل وقالوا ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس . اله آبائنا أقام يسوع الذي أنتم قتلتموه معلقين اياه على خشبة . هذا رفعه الله بيمينه رئيسا ومخلصا ليعطى اسرائيل التوبة وغفران الخطايا . ونحن شهود له بهذه الامور والروح القدس أيضا الذي أعطاه الله للذين يطيعونه » (أعمال ٥ : ٢٩ ــ ٣٢) .

وأما الجنود الذين أسلم اليهم السيد المسيح لينفذوا فيه الحكم الذي صمم عليه الكهنة ورؤساء الشعب وجموعهم ، فانهم لما مضوا بالمسيح الى الموضع المحدد لتنفيذ الحكم فيه « فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لايعلمون ماذا يفعلون » (لوقا ٢٣ : ٣٤) .

الباب السادس

بطلان ادعاءات اليهود

يدعى اليهود أنهم شعب الله المختار كما يدعون أن وعد الله لهم باسكانهم أرض الميعاد لايزال قائما وأن حقهم فى ذلك الوعد مستمر الى نهاية الزمان •

وعلى ضوء مما سبق شرحه من حقـائق يثبت لنـــا بطلان هذين الادعائين لعدم استنادهما على أسباب حقيقية فما هى الا مزاعم ركزت على تحريف واضح للحقائق الكبرى •

فى البدء خلق الله الانسان « وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » (تكوين ١ : ٢٦) وأراد الله سبحانه وتعالى بذلك أن يكون الانسان قريبا الى خالقه محبا له يعمل على مرضاته سبحانه حتى يفوز بالجزاء الحسن « بل كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال انسان ما أعده الله للذين يحبونه » (رسالة بولس الأولى الى كورينثوس ٢ : ٩) •

وأسكن الله آدم وحواء الجنة « وأوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا • وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها • لأنك يوم تأكل منها موتا تموت » (تكوين ٢ : ١٦ و ١٧) • وأغرت الحية حواء فأكلت من الشجرة المحرمة وأعطت آدم أيضا فأكل ، وعلم الله « فأخرجه من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها » (تكوين ٣ : ٢٤) • وكان هذا أول عصيان ارتكبه الانسان نحو الاله خالقه •

وولدت حواء قايين ثم ولدت هابيل . « وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثار الارض قربانا للرب . وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها . فنظر الرب الى هابيل وقربانه . ولكن الى قايين وقربانه لم ينظر . فاغتاظ قايين جدا وسقط وجهه » (تكوين ٤ : ٣ ــ ٥) فقتل قايين هابيل . وكان هذا أول شر صنعه الانسان في الأرض .

وولد لآدم ولد ثالث دعا اسمه شيث « ولشيث أيضا ولد ابن فدعا اسمه أنوش . **حينئذ ابتدىء أن يدعى باسم الرب** » (تكوين ٤ : ٢٦) وكان هذا بدء اعلان الانسان في الارض ارتباطه بالرب خالقه ليعبده سبحانه .

وكثر نسل آدم وحواء في الأرض . وولد نوح عليه السلام « وكان نوح رجلا بارا كاملا في أجياله . **وسار نوح مع الله** » (تكوين ٦ : ٩) . ولكن أيضا كما كثر نسل آدم وحواء في الأرض كثر شر الانسان فيها « ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر في الأرض . وأن تصور أفكار قلبه . انما هو شرير كل يوم » (تكوين ٦ : ٥) فحزن الرب سبحانه وقرر أن يعاقب الانسان على شره « فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الانسان الذى خلقته . الانسان مع البهائم ودبابات وطيور السماء لأنى حزنت أنى عملتهم . وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب » (تكوين ٦ : ٧و٨) وكان نوح عليه السلام أول انسان في الأرض سار في طريق الله فكان بذلك أول من وجد نعمة في عيني الرب سبحانه وأحبه واصطفاه .

وأغرق الله الأرض وما عليها بالطوفان واستحيا نوحا وأهله ، ومن كل حى من الطيور ومن البهائم ومن كل دبابات الارض ذكورا وأناثا . فلما انتهى الطوفان وخرج نوح ومن معه ، بنى مذبحا للرب وقدم له قربانا . فرضى الرب « وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم أثمروا وأكثروا واملئوا الأرض » (تكوين ٩ : ١) ووضع الله حكم الأرض تحت سلطة الانسان ، وأعطاه سلطانا على كل مافيها وأحل له ما عليها من نبات وحيوان ، أما « سافك دم الانسان بالانسان يسفك دمه . لأن الله على صورته عمل الانسان » (تكوين ٩ : ٦) . كذلك أقام الله مع نوح وبنيه ميثاقا لهم ولنسلهم من بعدهم ومع كل الأنفس الحية الخارجين من الفلك « أقيم ميثاقى معكم فلا ينقرض كل ذى جسد أيضا بمياه الطوفان . ولا يكون أيضا طوفان ليخرب الأرض » (تكوين ٩ : ١١) وكان هذا أول وعد وأول عهد أقامه الله سبحانه على نفسه نحو الانسان .

ولما كثرت ذرية نوح وبنيه اجتمعوا ليبنوا برجا على الأرض يتصل بالسماء فبلبل الله ألسنتهم وبددهم شيعا وفرقهم فى الأرض « ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض » (تكوين ١١ : ٩) ٠

ومن ذرية نوح ومن نسل سام اختـــار الله خليله أبرام وأسماه ابراهيم وباركه فأصبح أبا لكل الأنبياء وبارك فى نسله ووعده واياهم أرضا تفيض لبنا وعسلا سكنا لابراهيم ولنسله من بعده الى نهـاية الزمان ٠ وكان هذا ثانى وعد وثانى عهد أقامه الله سبحانه على نفسه نحو الانسان ٠

ووعد الله حق ٠ والله يوفى بوعده ما شاء ٠

وكما ســبق بيانه تفصيــلا أوفى الله بوعــده إلى ابراهيم عليــه السلام فأسكنه الأرض التى وعد وبارك فيه وفى نسله ، اســـــماعيل الذى ارتحل مع هاجر أمه الى أرض فاران (جزيرة العرب) ، فصار أمة كبيرة وعظيمة وولد له رؤساء «اثنا عشر رئيسا على حسب قبائلهم» وكثر نسله فأصبح أبا لكل العرب ٠ واسحق ، أسكنه أيضا الأرض الموعودة وباركه ونقل اليه والى نسله وعده وعهده ٠ ويعقوب الذى أسماه الله « اسرائيل » ومعناها « جندى الرب » ، سكن الارض المختارة وتبارك من الله وولد اثنى عشر ولدا سموا أسباط اسرائيل أو « بنى اسرائيل » ، شملهم جميعا وعد الله بالأرض المختارة واختص منهم يوسف وولده افرايم بالبركة ٠

ودخل بنو اسرائيل جميعـا تحت النبى يشــوع بن نون « أرض الميعاد » وشـــهد بذلك النبى يشوع « **لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذى كلم به الرب بيت اسرائيل بل الكل صار** » (يشوع ٢١ : ٤٥) ٠٠٠ ولكن كان موسى عليه السلام يعلم بالشر الكامن فى نفوس هذا الشعب فبعد أن أكمل كتابة كلمات التوراة فى كتاب الى تمامها أمر اللاويين بوضعها بجانب تابوت عهد الرب لتكون شاهدا على بنى اسرائيل « **لأنى عارف تمردكم ورقابكم الصلبة** ٠ هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب ٠ فكم بالحرى بعد موتى » (تثنيه ٣١ : ٢٧) ٠ وحدث منهم ما توقعه موسى بالرغم من تحذير يشـــوع النبى لهم بعد دخولهم أرض الميعاد « وتعلمون بكل قلوبكم وكل أنفسكم أنه لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذى تكلم به الرب عنكم٠ الكل صار لكم ٠ لم تسقط منه كلمة واحدة ٠ ويكون كما أنه أتى عليكم كل الكلام

الصالح الذى تكلم به الرب الهكم عنكم **كذلك يجلب عليكم الرب كل الكلام الردىء** حتى يبيدكم عن هذه الأرض الصالحة التى أعطاكم الرب الهكم . حينما تتعدون عهد الرب الهكم الذى أمركم به وتسيرون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها يحمى غضب الرب عليكم فتبيدون سريعا عن الارض الصالحة التى أعطاكم . (يشوع ٢٣ : ١٤ - ١٦) ... وهكذا كان .

ان المعاصى تزيل النعم . فبمعصية آدم عليه السلام ، خرج من الجنة واستحق **الموت** .

وبمعصية قايين وبدم هابيل ، وجد الشر في الأرض ، واستحق الانسان العقاب .

وبمعصية قوم نوح وشرورهم ، أغرقت الأرض بالطوفان ، وهلك من عليها جميعا .

وبمعصية بنى اسرائيل ، أخرجهم الله من الارض التى أعطاهم اياها ، وسباهم وشتتهم فى الارض .

ولكن كان هناك قبس من أمل وشعاع من رحمة الله أعده سبحانه للتائبين اليه الذين يعودون لحظيرة الايمان وطريق الرب .. وكان هذا هو العهد الجديد ... وكان موسى قد تنبأ به لبنى اسرائيل « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . **له تسمعون** » (تثنيه ١٨ : ١٥) وأيضا على لسان الرب « أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه **فيكلمهم بكل ما أوصيه به** » تثنيه ١٨ : ١٨) وكان هذا النبى رمز للعهد الجديد لبنى اسرائيل « ها أيام تأتى يقول الرب **وأقطع مع بيت اسرائيل وبيت يهوذا عهدا جديدا** » (ارميا ٣١ : ٣١) ودعوة للحق لجميع الأمم « أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك وأحفظك وأجعلك **عهدا للشعب ونورا للأمم** » (أشعيا ٤٢ : ٦) . أرسله الله سبحانه للذين يتوبون من بنى اسرائيل « **ويأتى الفادى الى صهيون والى التائبين عن المعصية فى يعقوب** يقول الرب » (اشعيا ٥٩ : ١٠) وليرعى شعب الرب « لأن منك يخرج مدبر **يرعى شعبى اسرائيل** » (متى ٢ ٦) فمن يؤمن به وبرسالته يرده الله الى شعبه « لكن يكون عدد بنى اسرائيل كرمل البحر الذى لايكال ولا يعد ويكون **عوضا عن أن يقال لهم لستم شعبى يقال لهم أبناء الله الحى** » (هوشع ١ : ١٠) أما من لايسمع له « ويكون أن الانسان الذى **لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه** » (تكوين ١٨ : ١٩) .

وجاء السيد المسيح فى أرض اليهودية من بيت يهوذا ، وولد فى بيت لحم كما جاء فى النبوءات ، واتجه برسالته للضالين والخطاة من اليهود العائدين من سبايا بيت يهوذا . ففتح عيون العمى ولكن قلوب كهنة اليهود كانت قد عميت ، وأسمع الصم ولكن آذان الكهنة كانت قد وقرت عن صوت الحق ؛ وأحيا الموتى ولكن لا حياة لمن ينادى . فقد جاء عنهم على لسان الرب فى رؤيا حزقيال النبى وهو بين المسبيين « يا ابن آدم ان الساكنين فى هذه الخرب فى أرض اسرائيل يتكلمون قائلين ان ابراهيم كان واحدا وقد ورث الأرض . ونحن كثيرون . لنا أعطيت الارض ميراثا . لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب تاكلون بالدم وترفعون عيونكم الى أصنامكم **وتسفكون الدم . افترثون الأرض** » (حزقيال ٣٣ : ٢٤ر٢٥) وبهذا المنطق وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا من بيت البركة « بيت اسرائيل » وبركة يوسف وافرايم فيه فقد رفض اليهود رسالة الخلاص ولم يدخلوا فى عهد الله الجديد وضاع حقهم فى أن يصبحوا « أبناء الله الحى » وليتهم رفضوا رسالة المسيح بأن أعرضوا عنها ، ولكن وليخرجوا نهائيا من حظيرة الله سفكوا دم ابن الانسان واقترفوا أبشع جريمة فى تاريخ الدنيا منذ قامت والى أن تزول فسفكوا الدم الزكى ، الدم المقدس . وتنبأ لهم ولأورشليم ولنهايتهم السيد المسيح له المجد فقال لتلاميذه « ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها . حينئذ يهرب الذين فى اليهودية الى الجبال . والذين فى وسطها فليفروا خارجا . والذين فى الكور فلا يدخلوتها لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب .. ويقعون بفم السيف ويسبون الى جميع الأمم . وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم » (لوقا ٢١ : ٢٠ ـ ٢٤) . وعوقب هذا الجيل على اثمه هذا ، ولم يؤخذ بآثام آبائه وشرورهم ، لتتم فيهم نبوءة ارميا الكاهن « فى تلك الايام لا يقولون بعد الآباء أكلوا حصرما وأسنان الابناء ضرست . بل كل واحد يموت بذنبه . كل انسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه » (ارميا ٣١ : ٢٩ و ٣٠) . وبذنبهم أخذوا . وفى السنين ٦٦ ـ ٧٠ لميلاد السيد المسيح وفى الجيل نفسه ، تحقق كل ما تنبأ به عليه السلام فاستباحت جيوش روما بلاد اليهودية وقتلوا حوالى ١ر٠٠٠ر٠٠٠ يهودى وخربوا أورشليم وبيت الرب ولم تقم له قائمة . أما من نجا من السيف من اليهود فقد سبته جيوش روما وخرجوا بهم من الأرض عبيدا أرقاء فى امبراطورية روما فى طول الارض . وصدق كلام الله الحق فلم ولن يرثوا الارض .

كان السيد المسيح قبل أن يغيب عن الدنيـــا قد ظهر لتلاميذه « وقال لهم اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها • من آمن واعتمد خلص • ومن لم يؤمن يدن » (مرقس ١٦ : ١٥ و ١٦) • أرسلهم السيد المسيح الى العالم أجمع وأعطاهم سلطانا ببركته وبروح من الله « وامتلاء الجميع من الروح القـــدس وابتدءوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا » (أعمال ٢ : ٤) •

وانطلق الرسل يبشرون برسالة المسيح ويدعون الخطاة الى التوبة، شهودا للسيد المسيح « لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لى شهودا فى أورشليم وفى كل اليهودية والســامرة والى أقصى الأرض » (أعمال ٢ : ٨) مبتدئين بأرض اليهودية ذاتهــا • حيث لاقوا من كهنــة اليهود كل عذاب واضــطهاد • فلما صعد بطرس ويوحنــا الى الهيكل يبشرون الشعب برســالة المسيح ويبصرونهم بما فعلوا « ان اله ابراهيم واسحق ويعقوب اله آبائنا مجد فتاه يسوع الذى أسلمتوه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس وهــو حاكم باطلاقه • ولــكن أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل • ورئيس الحيوة قتلتموه الذى أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك » (أعمال ٣ : ١٣ ــ ١٥) ويطلبون توبتهم ناسبين خطأهم السابق الى الجهالة « والآن أيها الاخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما عمل رؤساؤكم أيضا ••• فتوبوا وارجعــوا لتمحى خطاياكم لــكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب ••• أنتم أبنــاء الانبياء والعهــد الذى عاهد به الله آباءنا قائلا لابراهيم وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض • اليكم أولا أقام الله فتاه يسوع أرسله يبارككم برد كل واحد منكم عن شروره » (أعمال ٣ : ١٧ ــ ٢٦) • هاج عليهما الكهنة « وبينما هما يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيــكل والصدوقيون متضجرين من تعليمهما الشعب وندائهما فى يسوع بالقيامة من الأموات• فالقوا عليهما الايادى ووضعوهما فى حبس الى الغد لأنه كان قد صار المساء » (أعمال ٤ : ١ ــ ٣) • وآمن كثيرون ودخلوا فى العهد الجديد للرب « وكثيرون من الذين سمعوا الكلمة آمنوا وصار عدد الرجال نحو خمسة آلاف » (أعمال ٤ : ٤) • كما آمن كثيرون من الأمم الأخرى كاليونانيين والسامريين والرومانيين وغيرهم وانتشرت كلمــة الله وتكاثر « أبنــاء الله الحى » ممن اختــارهم الله • « وأعطيهم قلبا ليعرفونى أنى أنا الرب فيكونوا لى شعبا وأنا أكون لهم الها لأنهم يرجعون الى بكل قلبهم » (أرميا ٢٤ : ٧) ، « التى أيضــا دعانا نحن اياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضا • كما يقول في هوشع أيضا سأدعو الذى ليس شعبي،

شعبي والتي ليست محبوبة ، محبوبة • ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم شعبي أنه هناك يدعون أبناء الله الحي » (رومية ٩ : ٢٤ ـ ٢٦) بدون أي تفرقة بين الجميع « لانه لا فرق بين اليهودي واليوناني لأن ربا واحدا للجميع غنيا لجميع الذين يدعون به • لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص » (رومية ١٠ : ١٢ و ١٣) •

وانتشرت رسالة المسيح عليه السلام في الأرض وأصبح المؤمنون به وبرسالته كثرة ساحقة ، أمما ، وشعوبا ، وجمهورا من الأمم وقبائل الأرض ، أعداد كرمل البحر الذي لا يكال ولا يعد •

أما اليهود فهم حفنة قليلة • ضل آباؤهم من قبل وشهد عليهم السيد المسيح فقال « لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية • **وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم** • الذي يبغضني يبغض أبي أيضا • لو لم أكن عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية • وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي • لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم أنهم أبغضوني بلا سبب » (يوحنا ١٥ : ٢٢ ـ ٢٥) •

وما زالوا في ضلالهم هذا حتى الآن ، يرفضون الاعتراف برسالة الخلاص والغفران كما ينكرون مجيء السيد المسيح الى العالم برسالته ، وينتظرون عبثا ••• المسيح المخلص • وفي ذلك يقول له المجد « انظروا لا يضلكم أحد• فان كثيرون سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح **ويضلون كثيرون** » (متى ٢٤ : ٤ و ٥) وأيضا « **حينئذ ان قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا** • لأن سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا • ها أنا قد سبقت وأخبرتكم • فان قالوا لكم ها هو في البرية فلا تخرجوا • ها هو في المخادع **فلا تصدقوا** » (متى ٢٤ : ٢٣ ـ ٢٦) •

وعلى أساس صحيح من الدين ، فان الآباء ابراهيم واسحق ويعقوب اسرائيل لم يكونوا يهودا • ولكنهم ، كأبيهم نوحا عليه السلام ، كانوا سائرين مع الله خالقهم، يعرفونه ويحبونه ، يعملون على طاعته ويعبدونه، فأحبهم سبحانه ورعاهم وعاهدهم وأوفى لهم ولنسلهم من المؤمنين بما وعد وعاهد • **ان وعد الله حق** •

وعلى أساس من الدين ، فان منطق المؤمنين وعقيدتهم لا يسمحان لهم أن يخدعوا بالاباطيل ، فليس صحيحا أن اليهود شعب الله المختار •

وليس صحيحا ان بين الله سبحانه وتعالى وبين **اليهود وعد أو عهد قائم** .

أما عن السيد المسيح الذى رفضه اليهود ورفضوا الايمان برسالته ، فقد بشر به ملاك الرب سبحانه « فقال لهـا الملاك لا تخافي يا مريم لانك وجدت نعمة عند الله . وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع . هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى وبعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه . **ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية** » (لوقا ١ : ٣٠ ـ ٣٣) .

وأما عن بيت قدس الرب(١) الذى يدعى اليهود حقهم فى الانفراد به ، فيقول الله سبحانه عنه « وأبناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه وليحبوا اسم الرب ليكونوا له عبيـدا كل الذين يحفظون السبت لئـلا ينجسوه ، وهم يتمسكون بعهدى . آتى بهم الى جبل قدسى وأفرحهم فى بيت صـلاتى وتكون محـرقاتهم وذبائحهم مقبـولة على مذبحى **لان بيتى بيت الصلوة يدعى لكل الشعوب** » (اشعياء ٥٦ : ٦ و٧) .

وفى نهاية المطاف . بقى ادعاء أخير مزعوم غالطت فيه الصهيونية كل العالم بجرأة وافتئات . فكما ادعت أن لليهود حقا فى أرض فلسطين العربى ركزته على تحريف واضح ومغـالطات مكشوفة أوضحنا حقيقتها مؤيدة بالبراهين الصادقة من الكتاب المقدس ، كذلك زيفت الصهيونية أيضا اسما للدولة التى أقامتها لاتباعها من اليهود الذين استغلتهم لتنفيذ سياستها الاستعمارية فى هذا الجزء من العالم . فأطلقت على اليهود الذين حشدتهم فى فلسطين اسم « دولة اسرائيل » . وتريد الصهيونية بهذا الاسم واكمـالا لمغالطاتها أن تربط بين هـذا الحشد المتنافر وبين مزاعم عقائدية لا يرتبطون فى الحقيقة بها ، وأن تكسبهم صفة لا حق لهم فيها .

ان نسبة هؤلاء اليهود الى « دولة اسرائيل » أريد به ايهام العالم أن هـذه الحفنـة الضالة لا تزال « جنـد الرب » . وهو الاسم الذى أراد الله سبحانه وتعالى أن يضفيه على سيدنا يعقوب حين لقبه « باسرائيل » بعد أن أصبح أبا للاسباط « فقال له ما اسمك . فقال يعقوب . فقال لا يدعى اسمك فيمابعد يعقوب بل اسرائيل . **لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت** (تكوين ٣٢ : ٢٧ ــ ٢٨) . وعلى هـذا اللقب سمي نسل يعقوب « بني اسرائيل » .

---

(٢) بيت المقدس (اورشليم) .

ولكن بمجيء السيد المسيح الى العالم وتبشيره برسالته نزع هـذا الاسم «اسرائيل» عن عصبة الضلال التى أصرت على عدم الاعتراف بنبوته وعدم الايمان برسالته ، نزعه الله تعالى عنهم وأضفاه على من دخل حظيرته سبحانه على هدي من رسالة المسيح الذى أرسل من الله ليرعى شعبه وجنوده . وفى ذلك يقول سبحانه بلسان النبوة عن « بيت لحم » الذى ولد فيه المسيح عليه السلام « لأن منك يخرج **مدبر يرعى شعبى اسرائيل**» (متى ٢ : ٦) .

ومن الواضح أن شعب الرب وجنده الذين أرسل المسيح ليرعاهم هم الذين آمنوا ويؤمنون بمجيئه الى العالم مسيحا مرسلا من الله ، فاعترفوا ويعترفون برسالته . أما الذين ضلوا فأسلموه الى الموت منكرين نبوته ورفضوا ويرفضون الاعتراف برسالته فلا يمكن أن يكونوا من شعب الله أو ينسبوا اليه سبحانه ، ولا يمكن أن يستحقوا الانتساب الى «اسرائيل» أو « جند الرب » .

وهذه الدولة التى اغتصبت أرض فلسطين الطاهرة هى أولا وأخيرا وليدة مؤامرات وتدبير الصهيونية العالمية نبتت على أسس من تحالف الاستعمار مع مكائد الصهيونية وغشها وخداعها . لذلك فقد أكملت العصبة المارقة سبك أكاذيبها . فاختارت للدولة التى سعت الى غرسها فى الشرق الأوسط وفى فلسطين العربى اسما مزيفا تدعى به لها أمام العالم زعما لا سند له من حق أو عقيدة وارتباطا بماض ليس بينها وبينه أي رباط .

فهرست

الموضوع	الصفحة


الدار القومية للطباعة والنشر



الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٢٩٦

الثمن ٥

١٩٦٥/١/٢٢